الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

كلية أصول الدين

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم التسلسلي:. .....

تخصص: حوار الأديان

رقم التسجيل:.....

عنوان البحث :

الوسيط الكهنوتي في الفكر المسيحي وأثره في الفكر الإسلامي

. دراسة تحليلية نقدية .

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في مقارنة الأديان

–تخصص حوار الأديان –

إعداد الطالب:

ناجي علوي

إشراف الأستاذ الدكتور :

عبد الله بلمهدي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ د / صالح بوجمعة	أ د	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة	رئيسا
د / عبد الله بلمهدي	د	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة	مشرفا ومقررا
د / مسعود بودربالة	د	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة	عضوا مناقشا
أ د / عبد الحفيظ لعمش	أ د	جامعة محمد البشير الإبراهيمي . برج بوعريريج	عضوا مناقشا
د / اسمهان بوعيشة	د	جامعة الحاج لخضر . باتنة	عضوا مناقشا
د / سفيان شتيوي	د	جامعة الحاج لخضر . باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1445-1446هـ/2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا
أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

آل عمران : **64**

إهداء

إلى روح والدي العزيز وأختاي نجاة وبركات رحمهم الله تعالى جميعا

إلى والدتي الكريمة إلى زوجتي وأبنائي وكل الأهل

إلى كل سالك طريقا يطلب فيه علما أهدي هذا العمل المتواضع سائلا المولى عز

وجل أن يمن علي فيه بالسداد والتوفيق وأن ينفع به .

شكر وعرفان

في البدء والانتهاء ، أحمد الله تعالى على منته وفضله عليَّ بتوفيقي لإتمام هذا البحث ، وعملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** " رواه الترمذي وقال حسن صحيح

فإنني أتقدم بخالص الشكر والعرفان بالجميل لكل من :

. الأستاذ الدكتور : **عبد الله بلمهدي** ، الذي أشرف علي في هذا البحث ، فأفادني بملاحظاته القيمة فجزاه الله تعالى خير الجزاء .

. الأستاذ الدكتور : كمال معزي ، الذي أشرف علي في مرحلة الماجستير وكان مشرفا علي في مرحلة الدكتوراه في بداية المشوار .

.كما لاأنسى فضيلة الأستاذ الدكتور : صالح بوجمعة الذي كان سندا قويا لي في هذا البحث ، وخاصة في مراحله الأخيرة فله مني خالص الدعاء بكل خير .

. ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر كلا من الزميلين الفاضلين : الدكتور : عبد الحق حارش ، والدكتور : أحمد فولان اللذان شكلا دعما معنويا كبيرا لي جزاهما الله خيرا .

مقدّمة

مقدّمة:

الحمد لله وبه نستعين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن مما قرره الباحثون في تاريخ الأديان أنه لم توجد عبر الأزمنة المختلفة جماعة بشرية تخلو من الفكرة الدينية، فقد كانت النفس الإنسانية ـ ولا تزال ـ تواقة إلى حد بعيد إلى معرفة ما وراء قدرات العقل، والارتباط بقوة غيبية غير محدودة، وهنا نجد أن الأديان السماوية قد جاءت لتشبع هذه الرغبة الجياشة وتربط الإنسان بمصدر إلهي قادر على إجابته على كل تساؤلاته الوجودية بعيدا عن شتى الخرافات التي شابت التصور البشري للحقيقة الإلهية، فجعلته يعتقد اعتقادات و يتخذ أشكالا من الطقوس والشعائر تنتهي به إلى الشرك وتنأى به عن التوحيد الذي يعد الغاية الأكبر في كل الديانات السماوية في أصلها الأول، ولعل من أبرز القضايا التي يدور حولها الكثير من الجدل في هذا السياق، قضية الوسائط التي اتخذها البشر ـ على اختلاف مشاربهم ـ لتكون حلقة وصل تربطهم بالقوة الأعلى وتسهل لهم الوصول إلى الله .

والحقيقة أن هذه القضية لم تقتصر على المجتمعات البدائية التي قدست الظواهر الطبيعية وغمرتها تجاهها مشاعر الرغبة والرهبة ولكنها تعدت إلى غيرها، إذ إننا نجد أنواعا من هذه المظاهر ضاربة أطنابها حتى لدى المجتمعات التي كانت محلا لتلقي الرسالات الإلهية، وذلك ما يبدو جليا في الفكر العقدي اليهودي، وكذا في تقديس الأقانيم في المسيحية إلى سلطة رجال الدين والكهنوت الكنسي، وقد انتقلت العدوى إلى الكثير من الاتجاهات الفكرية الإسلامية كالمتصوفة والشيعة على سبيل المثال .

كما أننا نجد نماذج مختلفة لهذه القضية على مرّ التاريخ البشري، نذكر بعضا منها للإشارة إليها، وسنحاول الرجوع إليها بعد ذلك من خلال فصول البحث.

ففي الفكر الديني الفارسي القديم نجد فكرة الثالوث المقدس، مثل: مثلث الإله " ميترا " والذي يتألف من إله الشمس المحاط ب " كوتيس " و " كوتو باتيس " حاملي المشاعل.

وفي الهند ثالوث " ميترا، فارونا، أريامان "، وفي إيران ثالوث "أهورا مزادة، أنا هيتا، ميترا "، وفي بابل " سين، شمس، عشتار "، كما نجد في اليونان ثالوث " زيوس، هيرا، ديونيزوس ".

كما كانت هذه الفكرة معروفة لدى المصريين القدامى، حيث نجد ثالوث " بتاح الإله الخالق، وكلمته توت، وروحه القدس حورس " ، وما التثليث إلا تكريس لفكرة الوساطة حيث يضطر الإله لاتخاذ وسائط حتى لاينزل من مرتبته العلية من أجل الاتصال بالخلق .

هذا وقد كانت للكهنة في بلاد ما بين النهرين سلطة واضحة، حيث يقوم هذا الأخير بتنظيم شؤون الاحتفالات الدينية وأداء الواجبات وتقديم القرابين، والتطهير والمسح بالزيت المقدس، وتلاوة الترانيم والتعاويذ لتهدئة الإله الغاضب .

وظهرت فكرة تقديس الكواكب وجعلها واسطة بين البشر والله، وممن اشتهر بذلك الصابئة - وهم طوائف - وخلاصة آرائهم أن الخالق مقدس، ولا يصح أن ينزل من عليائه إلى مستوى السفليات ويتصل بالبشر، ولهذا ينبغي التقرب إليه بالمتوسطات، وهي أمور روحانية مقدسة، ويقولون أن الكواكب هي التي تليق بهذه المهمة .

وحتى السحر الذي امتزج بمسحة دينية عند الكثير من المجتمعات البدائية، فإنه لم يخل من هذه الفكرة، حيث يقوم الساحر بدور الوسيط بين الناس وبين القوى الخارقة، ومن أبرز ما يستخدمه في هذه الوساطة تلك الطقوس والترانيم والطلاسم غير المفهومة لدى العامّة ويزعم الساحر بهذا تحسين العلاقة بين المصاب وبين القوى الخفية، واستعطافها لرفع الأذى والغضب عن هذا الأخير .

أما عن فكرة الوساطة في المسيحية فإننا نجد جذورها متأصلة منذ البدايات، انطلاقا من الأسرار الكنسية والتي منها سر التجسد، والذي وردت الإشارة إليه في فاتحة إنجيل يوحنا ": في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله... " يوحنا (1: 1)، ويتابع بأن الكلمة قد صار جسدًا، وحلّ بيننا.

فمحبة الله تقتضي وجود محبوب لسعادته لذلك كان أقنوم الابن (الكلمة)، الذي يكون وسيطا بين الآب والبشر، حيث افتداهم من الخطيئة الأصلية بابنه الحبيب، كما اقتضى ذلك أن يكون هناك وسيط ثانٍ هو روح القدس و الذي يعتبر انبثاقه من الآب عند الأرثودكس ومن الآب والابن عند الكاثوليك.

ثم انتقلت الوساطة بعد المسيح إلى الرسل، وتجسد ذلك فيما يعرف بيوم الخمسين، حينما نزل عليهم روح القدس في علية صهيون.

وقد انتقلت فكرة الوساطة بعد ذلك لتشمل البابوات ورجال الدين المسيحي، ففي مجمع رومة المنعقد سنة 1869 م تم إقرار عصمة البابا، ومنحه حق التشريع.

ثم تطورت هذه الفكرة لتشمل النظام الكنسي العام، حيث نجدها بارزة لدى الكنيسة، حين يعطى الكهنة سلطة إقامة الطقوس كالقداس الإلهي، والأسرار السبعة المقدسة، كما يخولون حق الوعظ والإرشاد من خلال تفسير الكتاب المقدس، و كذلك يمنحون حق غفران الخطايا.

ونختم القول في هذه الفقرة بما ورد في إنجيل: " متى " ـ كدليل على أصالة مبدأ الكهنوت في الفكر الديني المسيحي ـ وذلك حين يقول عيسى لخليفته بطرس: " وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماء " [1]

ولأن هذه الدراسة ستكون دراسة مقارنة، فلا بد من الحديث عن هذه الفكرة في الإسلام وموقفه منها.

فإذا نظرنا إلى الأصل الأول وهو القرآن الكريم فسنجده يحمل حملة شعواء على هذه الفكرة مقتلعا إياها من جذورها رافضا لها بشدة، فهي الفكرة الكبرى التي واجهها وعمل على إثبات نقيضها، إذ إن رسالته الأولى تعمل على تقرير مبدأ توحيد الله ونفي الشركاء والأنداد عنه، فرد على اليهود والمسيحيين في قوله: " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله فأنى يؤفكون " [2]

ويقول عن اتخاذهم للأحبار وسائط وأربابا من دون الله: " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"[3]

وقال عن المسيح عليه السلام: " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل " [4]

وبنفس اللهجة أو أشد رد على العرب المشركين الذين كانوا معاصرين لبدايات دعوته، حيث كان هؤلاء يعدون الأوثان وسائط توصلهم إلى الله، فمن الأمثلة على ذلك نقرأ قوله تعالى: " ألا

---

[1] متى : 16 / 19 .

[2] التوبة : 30 .

[3] التوبة : 31

[4] المائدة : 75

لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون " [1]

وفي خلاصة القول عن موقف الإسلام من فكرة الوساطة نجد قوله تعالى: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان " [2]

إلا أن الإشكال المطروح يكمن في بعض اتجاهات الفكر الإسلام ، حيث نلمس فيه تأثرا كبيرا بالفلسفة اليونانية على وجه الخصوص، فها هو" ابن سينا " يقول بنظرية الفيض والصدور والتي ملخصها: أن الواحد الأول لا يصدر عنه إلا واحد وهو: العقل الأول، والكثرة إنما تبدأ في هذا العقل، ويبدو واضحا تأثر ابن سينا في هذه النظرية بنظرية الفيض لدى أفلوطين

ونجد الفارابي أيضا يتحدث عن الإنسان الإلهي الذي يجب أن يكون معصوما من نقائص العالم الأرضي وأن لا يشابهه أحد في صفاته وخصائصه، ولعل هذه الفكرة تأخذنا إلى قضية الإمامة عند الشيعة الإمامية، والتي تعتبر الإلهام أحد المصادر الأساسية والأصول المهمة في تلقي الدين، وترى أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قد وصل إلى مرتبة الكمال والعصمة من الخطأ، فصار قوله وفعله وتقريره بإلهام من الله فلا يخطئ.

كما أن الأئمة لهم علم مطلق، وهم خزان العلم وأن عندهم علم الغيب، فلا يخطئون.

وقريبا من هذه الفكرة يدور الحديث حول ما يسمى ب: " القطبية "، هذه الفكرة التي كان لها الأثر البالغ على الحياة الدينية لدى المتصوفة، فالمريد لا يتدين إلا كما يأمره القطب ويرشده، فيكون في مقام الطاعة والإذعان المطلقين، كما لا يخفى تأثر المتصوفة وعلى رأسهم ابن عربي والحلاج والسهروردي وغيرهم بالفكر المسيحي خاصة فيما يتعلق بالكلمة والروح والأقطاب والحقيقية المحمدية وغيرها.

وقد تطور هذا المفهوم كدلالة وساطية، إلى أن صار له من المعاني ما يضفي عليه طابع التقديس الذي يخول لشيخ الطريقة أو القطب سلطة التشريع والتكليف، كما لا يمكن الوصول إلى مقامات الإحسان إلا عبر ذات هذا الشيخ الكامل.

---

[1] الزمر : 03

[2] البقرة : 186

ولهذا فقد جاء هذا البحث ليكون محاولة منا للغوص في أعماق فكرة الوساطة الدينية ومناقشة آراء كل فريق ومحاولة تبيان وجه الحق، محاولين في ذلك تحري الموضوعية والتجرد.

الإشكاليـــة:

ونظرا لما تكتسيه فكرة الوساطة من غموض وإشكال لاسيما على المستوى العقدي، وما لذلك من تأثير على اتجاهات الناس الدينية سلوكا وانتماء، ومن خلال تحليلنا لمضمون هذه الإشكالية أمكننا طرح السؤال الآتي :

كيف تأثرت بعض مذاهب الفكر الإسلامي بالكهنوت المسيحي واتخذت مؤسسيها ورموزها وسطاء ؟

وتحت هذا السؤال الرئيس تندرج تساؤلات فرعية أخرى ، نذكر منها ما يلي :

. ما مفهوم الوساطة الكهنوتية ؟

. ما هي جذور فكرة الوساطة الكهنوتية عبر التاريخ البشري ؟

. وما مدى تأثر الفكر الديني المسيحي على اختلاف مذاهبه بهذه الفكرة ؟

. ما هي أبرز مدارس الفكر الإسلامي تأثرا بالفكر المسيحي في ذلك ؟

هذه التساؤلات وأخرى ، سنحاول الإجابة عنها . قدر الإمكان . من خلال هذا البحث .

أسباب اختيار الموضوع :

وعن الأسباب التي دعتنا للبحث في هذا الموضوع نقول أنها أسباب موضوعية، وأسباب ذاتية.

- **أسباب موضوعية** :تتعلق بالموضوع نفسه من حيث مكانته في الفكر الديني والإشكالات المتعلقة به، وضرورة توضيحها وتحليل حيثياتها.

✓ مدى تأثر معتنقي الأديان والمذاهب العقدية بفكرة الوساطة الدينية.

✓ دور هذه الفكرة في توجيه سلوك أصحابها ونظرتهم إلى الآخر.

✓ حاجة الإنسان إلى فهم صحيح للدين، ومحاولة إبراز ما شاب الأديان السماوية من أفكار غريبة لا تمت إلى جوهرها النقي بصلة.

وأسباب ذاتية: وتكمن في رغبتنا في التعمق أكثر في دراسة الاتجاهات الدينية المختلفة ومعرفة الصحيح من السقيم منها، ومحاولة وضع بصمة خاصة في مثل هذه الدراسات.

أهمية الموضوع: وأما عن أهمية الموضوع فمن الناحية العلمية نقول أنه موضوع ذو حساسية بالغة، تختلط فيه الأفكار بالأهواء والتعصب وهذا ما يشوه الحقيقة ويجانب الصواب فيكون ذلك مدعاة للتضليل والتصادم، ونحن في أمس الحاجة إلى الوضوح والتحاور.

ولأن كل دراسة لا بد لها من أهداف تعمل على تحقيقها، فإن الهدف من وراء هذا البحث يكمن أساسا في محاولة إرجاع الأفكار إلى جذورها الصحيحة، بعيدا عن المؤثرات الزمانية والمكانية.

الدراسات السابقة: لم نجد ـ على حسب علمنا واطلاعنا ـ دراسة أكاديمية معمقة تناولت فكرة الوساطة الكهنوتية في الفكر المسيحي وأثرها في الفكر الإسلامي، إلا أننا سنشير إلى البعض مما وقعت عليه أيدينا كالآتي:

ـ كتاب: الكهنوت للبابا شنودة، ويتحدث فيه عن الكهنوت كسر من أسرار الكنيسة الأرثودوكسية، وباعتبار المؤلف مسيحيا فإنه ينظر إليه كعقيدة لا بد من الالتزام بها.

أما فيما يتعلق بالفكر الإسلامي فلم نجد بحثا تعرض لفكرة الوساطة تحديدا إلا ما وجدناه عند الشيعة والمتصوفة من الغلو في الأئمة والأولياء.

إلا أن الملاحظ على البعض منها تأثر صاحبها بمذهبه، وانتصاره له في الكثير من الأحيان ومما لا شك فيه، أن هذا الأمر يوجه الأفكار توجيها براغماتيا، يخدم الرأي المراد تقريره.

كما أنها تحدثت بصفة عامة عن الفكر الديني والفلسفي، ولم تتطرق بالتفصيل لفكرة الوسيط الكهنوتي كفكرة عقدية.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى أن هناك بعض الدراسات تطرقت إلى مواضيع مشابهة لموضوعنا نذكر منها. على سبيل المثال لا الحصر. : رسالة دكتوراه للباحثة الزهرة لحلح والموسومة **بالعالم والإنسان في فلسفة إخوان الصفا**، والتي تطرقت فيها إلى نظرية الفيض، التي رأت فيها جماعة إخوان الصفا " الأسلوب الأمثل لتفسير مأتى الكثرة عن الله الواحد دون أن تمس وحدته أو يدخل عليها معاني الكثرة، فاستعاروا لذلك واحد أفلوطين الذي تفيض عنه الكائنات بطريقة اشتقاقية يكون السابق منها علة للتالي، وهي في مجملها وسائط متفاوتة الفضل " [1]

كما أن هناك رسالة دكتوراه للأستاذ بشير كردوسي، تحت عنوان: **المصادر الإسلامية في نقد النصرانية** ، استفدنا من بعض فصولها فيما يتعلق بالحوار مع النصارى .

الصعوبات:

لا شك أي عمل بشري تعترضه صعوبات عديدة، ومن أبرز ما واجهنا منها في بحثنا هذا نذكر:

. عدم وجود فكرة الكهنوت في الفكر الإسلامي من أساسها، ولذلك كان من الصعب ربطها بما يقابلها في الفكر المسيحي.

. تكرار المادة العلمية في مختلف المصادر والمراجع، مما اضطرنا. في كثير من الأحيان. إلى الاكتفاء بما ورد في بعضها ما دامت نفس الفكرة.

منهج البحث:

وكما هو معلوم فإن طبيعة الموضوع تفرض طبيعة المنهج المتبع، ولذلك فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، فيما يتعلق بتحليل النصوص واستقراء دلالاتها ومعانيها وكذا تحليل مختلف الأقوال والآراء الفكرية.

واعتمدنا أيضا على المنهج المقارن، لما تقتضيه المقارنة بين الآراء، وعرض مواطن الاتفاق والاختلاف.

---

[1] الزهرة لحلح ، العالم والإنسان في فلسفة إخوان الصفا ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 1429 هـ. 1430 هـ / 2008 م. 2009 م ، ص : 26 .

ولأننا سنتطرق إلى الجانب التاريخي وإلى مختلف الأدوار التي مرت بها هذه الفكرة، فإننا اعتمدنا على المنهج التاريخي أيضا.

خطة البحث:

انطلاقا من الإشكالية الرئيسية وما تفرع عنها من تساؤلات، واعتمادا على المنهج المتبع في هذا البحث فقد اعتمدنا خطة نسير وفقها تتمثل في الآتي:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول ، يحتوي كل فصل منها على عدة مباحث ، ثم الخاتمة .

ففي المقدمة تم إبراز إشكالية البحث ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، وأهدافه والدراسات السابقة ، وكذا منهج البحث ، وما تعلق به من إجراءات .

أما الفصل الأول فقد جاء عبارة عن مدخل ، قسمته إلى عدة مباحث ، ففي المبحث الأول قمت بتحليل مفردات العنوان ، وذلك من خلال تفصيلها في عدة مطالب .

المطلب الأول بينت فيه مفهوم الوسيط الكهنوتي ، وفي المطلب الثاني مفهوم الفكر المسيحي ، وأما المطلب الثالث فقد تطرقت فيه إلى مفهوم الفكر الإسلامي .

وفي المبحث الثاني من هذا الفصل ، كان الحديث عن فكرة الوساطة الكهنوتية لدى القدماء ، وذلك من خلال تفصيلها عدة مطالب .

ففي المطلب الأول تحدثت عن الفكرة في العصور القديمة ، وفي المطلب الثاني عند الرومان والفرس وفي الثالث تحدثت عنها عند البابليين والصابئة وعند البراهمة في المطلب الرابع ، وفي الخامس تحدثت عن فكرة الوساطة عند مشركي العرب في الجاهلية .

ثم جاء المبحث الثالث من هذا الفصل ، والذي الحديث فيه كان عن الوساطة الكهنوتية في الفكر الديني اليهودي ، وقد قسمت المبحث إلى مطلبين ، الأول رجعت فيه إلى بعض نصوص التوراة وتتبعت في هذه النصوص مدى ورود فكرة الوساطة من عدمه ، ليأتي بعده المطلب الثاني ، والذي تحدثت فيه عن تأثر الفكر الديني اليهودي لاحقا بهذه الفكرة .

وهنا يأتي الفصل الثاني ، وقد تم الحديث فيه عن الوسيط الكهنوتي في الفكر المسيحي ، وقد قسمته إلى مباحث عدة .

المبحث الأول ذكرت فيه : فكرة الوساطة في بدايات المسيحية ، وقد فصلت فيها من خلال عدة مطالب .

ففي الأول عن المسيح وطبيعته في بعض نصوص الكتاب المقدس .

وذكرت في المطلب الثاني اختلاف النصارى حول طبيعة المسيح ، لأتطرق بعدها في المطلب الثالث إلى المجامع المسيحية ودورها في إقرار هذه الفكرة .

ثم في المطلب الرابع كان الحديث عن عن النظام الكنسي وتكريس فكرة الوساطة ، ليليه المطلب الخامس الذي كان عن أبرز الأسرار الكنسية ، ثم المطلب السادس وفيه موقف المذهب البروتستانتي تجاه الوساطة الكهنوتية .

وفي المبحث الثاني تحدثت عن تأثر الفكر المسيحي بغيره من الفلسفات والأديان ، وقسمته هو الآخر إلى مطالب .

المطلب الأول عن الفلسفات والأديان القديمة ، والثاني عن الفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة .

وأما المطلب الثالث ففيه الحديث عن فيلون السكندري وفكرة الوسيط ، ثم في المطلب الرابع إلى أفلوطين السكندري و مدى تأثيره على الفكر المسيحي .

ويأتي بعد ذلك الفصل الثالث ، والذي عنونته بـ : الوسيط الكهنوتي في الفكر الإسلامي ، وقد قسمته أيضا إلى مباحث .

الأول عن فكرة الوساطة في مصادر الإسلام الأولى ، وهو مقسم إلى مطالب .

المطلب الأول تحدثت فيه عن فكرة الوساطة في القرآن والسنة ، وفي المطلب الثاني تطرقت إل حوار القرآن الكريم العقدي حول هذه الفكرة ، وأما في المطلب الثالث فتطرقت إلى بداية تأثر الفكر الإسلامي بغيره من الأفكار والفلسفات على اختلاف مشاربها .

وتعرضت في المبحث الثالث إلى الوساطة في الفكر الشيعي ، وفصلت الحديث في ذلك في عدة مطالب .

ففي المطلب الأول ذكرت ذلك عند عموم الشيعة ، وفي الثاني أشرت إلى لمحة عن فكرة الوسيط عند بعض فرق الشيعة ، وفي المطلب الثالث ذكرت سلطة الإمام عند الشيعة الإسماعيلية .

وأما المطلب الرابع فقد تمت الإشارة فيه إلى أن الإمامة ركن من الدين عند الشيعة .

ثم في المطلب الخامس تحدثت عن تأثر الفكر الشيعي بالأفلاطونية المحدثة ، وفي المطلب السادس والأخير من هذا المبحث ذكرت إخوان الصفا وفكرة الوساطة .

وفي المبحثالرابع الذي جاء تحت عنوان الوساطة في الفكرالصوفي، تناولت الفكرة في مطالب أربعة .

ففيالأول ذكرت مفهوم التصوف ، وفي المطلب الثاني أشرت إلى أصله ونشأته.

وأما في المطلب الثالث فكان الحديث عن مكانة الأولياء و الشيوخ عند الصوفية . ليليه المطلبالرابع عن تأثر الفكر الصوفي بالفلسفة والأفلاطونية المحدثة .

وفي الختام جاء المبحث الرابع تحت عنوان : الفلسفة الإسلامية وفكرة الوساطة ، وقد تطرقت من خلاله إلى نموذجين في الفكرالإسلامي تمثلا فيكل من الفارابي و ابنسينا.

وفي المطلب الأول من هذا المبحث تحدثت عن الفارابي وفكرة الوساطة، وعن ابنسينا في المطلب الثاني ، ليكون الختام بالحديث عن الغنوصية في المطلب الثالث .

وقدأنهيت بحثي هذا بخاتمة ألمحت فيها إلىأبرز النتائج التيتوصلت إليها مردفة ببعض التوصيات ، ثم أعقبت ذلك بجملة من فهارس البحث ، مع ملخصات للموضوع باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية .

مصادر البحث ومراجعه

يعد موضوع الوسيط الكهنوتي في الفكر المسيحي وأثره في الفكر الإسلامي من الموضوعات الشائكة ، والتي تتنوع مصادرها بين القديم و المعاصر، انطلاقا من الكتب المقدسة ، وأيضا كتب اللغة والتراجم ، وكذا كتب مقارنة الأديان ، ولا ننسى الكتب الفكرية على اختلاف مذاهب أصحابها ودياناتهم ومشاربهم الفكرية .

وفيالأخيرفإنه من المعلوم أن العملالبشري مشوب بالنقص والقصورمهما حاولنا التدقيق وبذل الجهد ، ولكننا في طريق الطلب و البحث عن الحقيقة نسأل المولى القدير أن يمن علينا فيه بالتوفيق والسداد .

الفصل الأول: مدخل

المبحث الأول: تحليل مفاهيم مفردات العنوان:

المطلب الأول: مفهوم الوسيط الكهنوتي:

1 . لغة :

الوسيط: جاء في لسان العرب: وسط: وسط الشيء: ما بين طرفيه. [1]

الكهانة: كهَن له ويكهُنُ، و كهُنَ كهانة، تكهّنَ تكهُّنا و تكهينا: قضى له بالغيب، وكهُن كهانة: إذا صار كاهنا.

ورجل كاهن من قوم كهنة وكُهّان وحرفته الكِهانة، والكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار.

وقد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن، ورئيا يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العرّاف.

والكاهن أيضا في كلام العرب:

الذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته والقيام بأسبابه.

والعرب تسمي كل من يتعاطى علما دقيقا كاهنا، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهنا"[2]

2 . اصطلاحا: نجد هذا المعنى في الفكر المسيحي، **فالوسيط** هو: " من يستطيع بنفسه أن يمثل الله للإنسان، وأن يمثل الإنسان أمام الله، كما كان يجب أن يكون هو نفسه بلا خطية، وإلا لفقد الأهلية للوساطة، ولا يتوفر كل هذا إلا في يسوع المسيح الله الذي ظهر في الجسد فهو الله والإنسان " [3]

وفي هذا السياق يقول بولس الرسول: " يوجد إله واحد ووسيط بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع " [4]

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، دط ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، مج 2 ، ص 4831 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 3949 . 3950 .

[3] وليم وهبة بباوي وآخرون ، دائرة المعارف الكتابية ، ط 1 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 2001 ، ج 8 ، ص 203 .

[4] تيموثاوس، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 ـ 6 .

كما أن هناك وسطاء آخرون، فقد جاء في دائرة المعارف الكتابية: " ونرى في العهد القديم صورا بسيطة من الوساطة بين الله والإنسان قام بها ملائكة وأنبياء، نقلوا إلى الإنسان كلام الله كما أن الكهنة كانوا يمثلون الإنسان أمام الله والملوك كانوا يمثلون الله في حكم الإنسان " [1]

كما أن " جوهر الكهنوت هو الوساطة بين الله والناس والعمل الرئيسي للكاهن هو أن يتوسط ويتشفع للناس أو لشعبه عند الله، فيكون حلقة الوصل بين الإنسان والله لكي يجلب لشعبه رضى الله عنهم وغفرانه لخطاياهم، ويتوسط لهم عنده لكي يقبل عطاياهم وتقدماتهم أو ذبائحهم أو خدمتهم أو طاعتهم لوصاياه " [2]

. الكهنوت:

لم نجد . على حد علمنا . هذه اللفظة في المصادر والمراجع الإسلامية التي تمكنا من الاطلاع عليها. ولذلك فإننا سنقتصر على ذكر مدلولها عند اليهود والنصارى كالآتي:

. عند اليهود: " الكاهن في العبرية هو " كوهين " ويعتبر الأداة المقدسة المختارة للوساطة بين الإنسان والخالق، ويرتبط تاريخ الكهانة بين العبرانيين بظهورهم في التاريخ، إذ يبدو أن كل رب أسرة عبرانية وأول الذكور فيها كانا يقومان بدور الكاهن، وقد ظل هذا الوضع قائما حتى زمن الخروج من مصر، حينها انحصرت الكهانة في سبط اللاويين لأن قادتهم رفضوا عبادة العجل الذهبي " [3]

. عند النصارى: جاء في دائرة المعارف الكتابية ما يلي:

" الكاهن هو الشخص المعين للقيام بالخدمات الدينية، وبخاصة تقديم الذبائح على المذبح والعمل وسيطا بين الناس والله " [4]

و " كاهن، كهنوت: وهو خادم دين، وفي اصطلاح الكتاب المقدس الشخص المخصص لتقديم الذبائح... وكانت واجبات الكهنة الذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية، وعدا ذلك فإنهم كانوا يخدمون في الاحتفالات والتطهير، ويعتنون بالآنية المقدسة "[5]

---

[1] وليم وهبة بباوي وآخرون ، مرجع سابق ، ج 8 ، ص 203 .

[2] حنين عبد المسيح ، بدعة كهنوت الإكليروس ، ط 1 ، د م ن ، د ب ن ، 2009 ، ص 37 .

[3] عمر أمين مصالحة ، اليهودية ديانة توحيدية أم شعب الله المختار ، ط 1 ، دار الجليل ، عمان . الأردن ، 2005 ، ص 158 .

[4] وليم وهبة بباوي وآخرون ، مرجع سابق، ج 6 ، ص 402 .

[5] بطرس عبد الملك وآخرون ، قاموس الكتاب المقدس ، ط 10 ، دار الثقافة ، القاهرة ، د س ن ، ص 791 .

وعرفه بعضهم بقوله: " بأنه سر يقلد ولاية روحية ويخول نعمة مباشرة الخدم الكنسية كما ينبغي "[1]

يقول البابا شنودة: " إذن الكهنوت هو وضع إلهي، أسسه الرب بنفسه وبدأه بالرسل بأشخاص اختارهم بنفسه، ورسم لهم عملهم وعين لهم المكان الذي يعملون فيه، وأعطاهم سلطانا وبركة " [2]

ويقول في موضع آخر: " والكاهن ليس شخصا منفصلا في عمله عن الله إنما هو مفوض ليقوم بهذا العمل كوكيل لله " [3]

واستدل بما ورد في إنجيل متى: " واستدعى تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطة" [4]

كما استدل بالعبارة الواردة في إنجيل مرقص: " وقال لهم هذه تمثل دمي الذي للعهد الذي يسكب من أجل كثيرين" [5]

وغيرها من المواضع على أن: " عبارة الدم المسفوح تعني أن هناك ذبيحة، وما دامت هناك ذبيحة بدم مسفوك وجسد مكسور مبذول، إذن لا بد من وجود مذبح، والمذبح يحتاج إلى خادم للمذبح، أي إلى كاهن، هو الذي يقدم الذبيحة، على أن هناك نقطة هامة جدا في هذه الذبيحة وهذا الدم المسفوك، وهي أن ذلك لمغفرة الخطايا " [6]

والكهنوت هو سر من أسرار الكنيسة وله علاقة وطيدة بسر الاعتراف فللكاهن منزلة النبي وهو " مؤتمن على أسرار الدين، وأنه يغفر الذنوب للناس وهي درجة لا ينالها حتى الأنبياء " [7]

---

[1] حبيب جرجس ، أسرار الكنيسة السبعة ، ط 4 ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، د س ن ، ص 150 .

[2] البابا شنودة الثالث ، الكهنوت ، ج 1 ، ط : 3 ، المكتبة القبطية على الأنترنت ، يناير 1989 ، ص 19 . 20 .

[3] المرجع نفسه ، ص 112 .

[4] متى ، الإصحاح 10 ، الفقرة : 1 .

[5] مرقص ، الإصحاح 14 ، الفقرة : 24 .

[6] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 21 .

[7] جمال الدين شرقاوي ، الكنيسة وأسرارها ، ط1 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1429 هـ . 2008 م ، ص170 .

المطلب الثاني: مفهوم الفكر المسيحي:

أ . لغة:

. الفكر: جاء في لسان العرب: " الفَكر و الفِكر: إعمال الخاطر في الشيء [1]

. المسيحي: ورد في معاني لفظة المسيح في اللغة الكثير نقتصر منها على قول ابن منظور: المسيح هو " الصّدِّيق وبه سمي عيسى عليه السلام. .. وقيل سمي بذلك لصدقه، وقيل سمي به لأنه كان سائحا في الأرض لا يستقر، وقيل سمي بذلك لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله. .. وقيل سمي مسيحا لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن " [2]

ويطلق على المسيحية أيضا : النصرانية ، و قيل :أنّهم سموا بذلك نسبة إلى قرية تسمى " نَصَرى ، ونصرى وناصرة ونَصورية ، قرية بالشام " [3]

ب . اصطلاحا:

وقبل أن نتطرق تعريف الفكر المسيحي يحسن بنا أن نعرف بالمسيحية أو النصرانية ابتداء .

الديانة النصرانية هي الديانة التي جاء بها عيسى المسيح عليه السلام إلى بني إسرائيل، يقول الشهرستاني في الملل والنحل عن النصارى أنهم :

" أمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وهو المبعوث حقا بعد موسى عيه السّلام ، المبشر به في التوراة ، وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة ... فلما رفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه ، وإنما اختلافاتهم تعود إلى أمرين ، أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة .

والثاني كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة " [4]

---

[1] ابن منظور ، مرجع سابق، مج 2 ، ص 3451 .

[2] المرجع نفسه ، مج 2 ، ص 4196 . 4197 .

[3] المرجع نفسه ، مج 6 ، ص 4440 .

[4] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1413 هـ . 1992 م ، ج 2 ، ص 244 . 245 .

و هذه التسمية التي عرف بها المسيحيون ولهذه التسمية مسيحي دلالة عامة ودلالة خاصة .

فهي من ناحية دلالتها العامة تسمية تطلق على كل من يعتقد في الديانة المسيحية ويؤمن بها ويمارس طقوسها وشعائرها فمسيحي نسبة إلى المسيحية فهي إذن دلالة دينية خالصة.

أما الدلالة الخاصة فهي أنها تشير إلى الانتماء إلى شخص المسيح يسوع وأقواله الذي أصبح العمود الأول الذي بنيت عليه كل الديانة المسيحية بالمفاهيم الجديدة للمسيحانية، وكلمة مسيحي (مسيحية) كمصطلح لها تاريخ يخصها نذكره باختصار، فقد أطلق اسم مسيحيون أول مرة على تلاميذ يسوع في أنطاكية [1] فقد ذكرت رسائل أعمال الرسل أنه " ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا " [2].

. مفهوم الفكر المسيحي : يمكن القول بأنه : " الفكر التاريخي للمسيحية، والذي تأثر بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية وفيلون السكندري والأفلاطونية المحدثة من جهة، وبكتابات توراتية من جهة ثانية " [3]

[1] صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي ط1، بيروت: دار الشرق، 1994 ، ص461.

[2] أعمال الرسل: 11/26.

[3] محمد مصطفوي ، الدين والأسطورة ، ط 1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2014 ، ص 87 .

المطلب الثالث: مفهوم الفكر الإسلامي:

أ . لغة: كلمة الفكر سبق الحديث عنها.

. الإسلام :

من معاني لفظة الإسلام في اللغة: " الإسلام والاستسلام الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم " [1]

ب . اصطلاحا:

الإسلام : يأتي في الاصطلاح على معنيين :

. الأول : معناه :" استسلام جميع الخلائق لأوامر الله تعالى الكونية القدرية ، ومنه قوله تعالى : " وله أسلم من في السماوات والارض طوعا وكرها " [2]

فكل مخلوق فهو مستسلم لله عز وجل ، ومنقاد لأوامره تعالى الكونية القدرية ، سواء رضي أم لم يرضى ...

. المعنى الثاني : الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى الشرعية ، والإسلام بهذا المعنى ينقسم إلى عام وخاص :

. فالإسلام العام هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعا .

. والإسلام الخاص هو الدين الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " [3]

وبعد تعريف الإسلام ، نأتي إلى تعريف الفكر الإسلامي فنقول بأن المقصود به هو :

" ما ينتجه العقل المسلم من خلال تعامله مع النصوص الإسلامية وفق منهج علمي. .. إذن الفكر الإسلامي بحث علمي في مسألة ما تحتاجها حياة الناس، ويمكن أن يتعرض لما يصيبه أي عمل بشري من جواز الخطأ وقابلية التغيير، ونحو ذلك على خلاف النصوص " [4]

---

[1] ابن منظور ، مرجع سابق ، مج 2 ، ص 2080 .

[2] آل عمران : 83 .

[3] محمد طه شعبان ، مقال على شبكة الألوكة الشرعية (https://www.alukah.net/sharia) ، بتاريخ : 3 / 10 / 2016 م . 1 / 1 / 1438 هـ .

[4] أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، دراسات في الفكر الإسلامي ، ط 1 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، مصر ، 1412 هـ . 1991 م ، ص 97 . 98 .

المبحث الثاني: فكرة الوساطة الكهنوتية عند القدماء:

المطلب الأول: في العصور القديمة:

لقد كانت فكرة الوساطة سائدة في الأديان والمذاهب القديمة، فاتخاذ وسيط بين الآلهة والروح الإنسانية كان سمة بارزة لدى المجوسية والصابئة، وكذا عباد الأوثان والمشركين، وتختلف مظاهر هذه الوساطة من مذهب إلى آخر، فقد تتخذ شكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية أو كائنا حيوانيا أو بشريا، وقد تتخذ رمزا معينا يلقى تقديرا واهتماما سرعان ما يرقى إلى شكل من أشكال التقديس والعبادة.

" والديانات الوضعية في الشرق تميل إلى فكرة الوساطة المجسدة إما في شكل نار أو حيوان أو جمادات، فالوساطة التي أنشأها الإنسان ليعبدها تجدها نشأت إما في مجتمع خال من الدين فابتدعها الإنسان تعبيرا عن ميله الفطري للعبادة، أو نشأت في مجتمع حافل بالفكر الذي يكثر القول عن السبب الأسمى، فإن استطاع الفيلسوف تصور قيمة هذه الفكرة فإن عوام المجتمع لسوف يهربون من تلك التصورات المنطقية الجافة، ثم يقعون وهم يفرون من فكرة العقل الفعال في نظر الفلاسفة في حوزة الوسيط المجسد لأن الوصول إليه عسير، والكائنات التي رشحها الإنسان للعبادة ليست وسطاء بين الله والعالم فقط، بل وبين الله والنفس الإنسانية المتعطشة للدين لاستحالة صعودها إلى أعلى وانبهار بصرها من التأمل، لا يسعها إلا الوقوف عند درجة أدنى، فمذهب الوسطاء ليس مؤداه استحالة خلق الله للعالم، بل استحالة وصول النفس مباشرة إلى الله " [1]

ولقد كانت هذه الفكرة سائدة في العصور القديمة، فقد كان رجال الدين وفي بعض الأحيان الملوك يمثلون دور الوصاية الفكرية والعقائدية، حيث كانوا يضفون على أنفسهم هالة من التقديس، مدعين أنهم آلهة أو أنهم من نسلها، وقد مثلوا بذلك دور الوسيط بينها وبين الناس، مدعين أن الإنسان لا يمكنه الوصول إلى المجال الإلهي والتواصل مع الآلهة إلا عن طريق الكهنة، كما أن الآلهة لا تقبل النزول إلى مستوى البشر، ولذلك فإنها تجعل الوسيط في ذلك هم الكهنة. [2]

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ط 3 ، دار المعارف ، د م ن ، د س ن ، ص 185 . 186 .

[2] نزار يوسف، الوصاية الفكرية، ط 1 ، د م ن ، سوريا ، 2008 ، ص 83 . 84 .

وقد شكلت سلطة المعبد الديني عند الشعوب البدائية قوة حقيقية، حيث برز دور السحرة والكهنة في السيطرة على الشعب من خلال السلطة الروحية، فكانوا يحكمون باسم الآلهة. [1]

وإذا نظرنا في أصل فكرة التقديس فإننا سنجد بأن معظم الآلهة البشرية، قد كانوا في بادئ الأمر رجالا من الموتى نالوا قدرا من التضخيم بفعل الخيال، فظهور الموتى في المنام كان كافيا لاعتبار ذلك مؤشرا على ضرورة عبادتهم واتخاذهم آلهة، والدافع من وراء ذلك إما من جانب الخوف منهم، أو لأنهم كانوا رجالا أقوياء أشداء في حياتهم، ولهذا نجد بأن كلمة إله عند الكثير من الشعوب البدائية معناها الحقيقي: رجل ميت، وقد كان اليونان يتبركون بالموتى وهذا ما نجده في المسيحية على نحو التبرك بالقديسين. [2]

" ثم تدرجت عبادة الأشباح حتى أصبحت عبادة للأسلاف، فقد بات الناس يخافون موتاهم جميعا، ويعملون على استرضائهم خشية أن ينزلوا لعناتهم على الأحياء فيجلبوا لهم الشقاء "

و يرجح أن تكون فكرة بنوة الإنسان لله نابعة من فكرة عبادة الأسلاف. [3]

كما أن للسحر عند الشعوب البدائية أثرا كبيرا في ترسيخ فكرة الوساطة بين الإنسان والقوى الخفية التي لا يجد لها تفسيرا واضحا، فعند الأستراليين الأصليين أن لعنة الساحر القوي تقضي على اللعين ولو كان بعيدا بأميال.

وقد بدأ الاعتقاد في أثر السحر في العصور الأولى من مراحل التاريخ الإنساني، ومن مظاهر هذا الاعتقاد عبادة الأصنام وغيرها مما له قوة سحرية كالتمائم التي اعتقدت بعض الشعوب البدائية في قوتها وتأثيرها، ولهذا كانت بعض الشعوب تثقل أنفسها بأحمال من التمائم لتكون على أهبة الاستعداد لكل ما يمكن أن يعرض لها من الشرور والمفاجآت التي تأتي بها الأيام، فعلى سبيل المثال كان سكان أوربا يلبسون الميداليات والتمائم لتمدهم بالقوة والمعونة التي تأتيهم من وراء الطبيعة. [4]

---

[1] عبد الله خليفة ، الاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ط 1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت . لبنان ، 2005 م ، ص 33 .

[2] ول وايريل ديورانت ، قصة الحضارة ، تقديم محي الدين صابر ، ترجمة زكي نجيب محمود ، د ط ، دار الجيل ، بيروت ، د س ن ، ج 1 ، ص 108 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 109 . 110 .

[4] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 115 .

ومن الأسباب التي أعطت الساحر هذه المكانة، أنه لما كثرت طقوس الدين وتعددت وتعقدت لم يعد بمقدور الشخص العادي استيعابها والإلمام بها، فكان من الطبيعي أن تنشأ طبقة خاصة تعنى بالشأن الديني وتتفرغ له، وصار للكاهن باعتباره ساحرا لما له من طاقة روحية خارقة القدرة على الاتصال بعالم الأرواح والآلهة، والتوسط بينها وبين الإنسان. [1]

[1] ول ديورانت ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 116 . 117 .

المطلب الثاني: عند الرومان والفرس:

1 . عند الرومان :

كان الرومان يقدسون ملوكهم إلى درجة التأليه والعبادة، ويقيمون لهم التماثيل والمعابد الخاصة، « ومن أشهر آلهتهم روميلوس مؤسس دولة رومية الذي يدعى ابن الله، وأنه ولد من العذراء راسيلفا، ومن آلهتهم أيضا يوليوس قيصر الذي يعتقدون أنه ابن الله "، وهذا الاعتقاد ينطلق من فكرة أن هؤلاء الملوك آلهة تجسدت في صور بشرية، ولذلك نجد تأثير هذه الأفكار واضحا على النصرانية فيما بعد، حيث استمدت كثيرا من عقائدها من البيئة الرومانية التي كان لها سبق الرعاية للنصرانية في بداياتها الأولى. [1]

2 . عند الفرس :

كما نجد شبيها لهذه الفكرة عند الفرس فقد كانوا " يعتقدون أن ملوكهم منحدرة أصلا من الإله صلبا من صلب، واحدا بعد آخر في الوراثة الإلهية عن طريق الأبناء في اختيار إلهي أزلي قبل الخلق، فهي نور بعد نور من النور الإلهي النازل إلى الملوك ملكا بعد آخر في الوراثة المختارة قبل الخلق ليكون سلطان الله وظله في الأرض، فالخروج عليه خروج على الإرادة الإلهية، لأن حق شاهنشاه ملك الملوك حق إلهي مقدس، فتكون طاعته واجبة مطلقا، فهي الوحيدة التي تمتلك النور الإلهي والحق الإلهي الذي ينتقل في أصلابها وراثيا من الآباء إلى الأبناء " [2]

و في هذا الشأن يقول ول ديورانت : " ولما أن انتقل الدين في الأيام الأخيرة من الأنبياء إلى الساسة صور الإله الأعظم في صورة ملك ضخم ذي جلال مهيب ، وكان بوصفه خالق العالم وحاكمه يستعين بطائفة من الأرباب الصغار ، كانت تصور أولا كأنها أشكال وقوى من أشكال الطبيعة وقواها كالنار والماء والشمس والقمر والريح والمطر " [3]

---

[1] موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي ، تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين ، المملكة العربية السعودية ، 1429 هـ ، ص 121 .

[2] نبيل الحيدري ، التشيع العربي والتشيع الفارسي ، ط1 ، دار الحكمة ، لندن ، 1435 هـ . 2014 م ، ص 87 . 88 .

[3] ول ديورانت ، مرجع سابق ، م 1 ، ج 2 ، ص 428 .

كما نجد مصطلح العقل الخير للدلالة على مفهوم الوساطة ، يضيف ديورانت قائلا : " وليس المقصود بالعقل الخير عقلا إنسانيا ما ، بل المقصود به حكمة إلهية لا تكاد في شيء عن كلمة الله ، يستخدمها أهورا مزدا واسطة لخلق الكائنات ، وكان لأهورا مزدا كما وصفه زردشت سبعة مظاهر أو سبع صفات هي : النور ، والعقل الطيب ، والحق ، والسلطان ، والتقوى ، والخير ، والخلود .

ولما كان أتباعه قد اعتادوا أن يعبدوا أربابا متعددة فقد فسروا هذه الصفات على أنها أشخاص ... الذين خلقوا العالم ويسيطرون عليه بإشراف أهورا مزدا وإرشاده ، وبذلك حدث في هذا الدين ما حدث في المسيحية فانقلبت الوحدانية الرائعة التي جاء بها مؤسسه شركا لدى عامة الشعب " [1]

[1] ول ديورانت ، مرجع سابق ، م 1 ، ج 2 ، ص 428 . 429 .

المطلب الثالث: عند البابليين والصابئة:

كما نجد هذه الفكرة في بابل القديمة فمن " الواضح أن الآلهة في بابل لم يكونوا يؤكدون سيطرتهم ومراقبتهم للأحداث العامة عبر وجودهم المباشر، بل كانوا يقومون بذلك عبر الأجهزة السياسية والكهنوتية، و من خلال ذلك عرف ما يسمى بمجمع الآلهة، والذي يباشرون من خلاله سلطاتهم المتعددة عبر العائلة الملكية الإلهية، أو القبيلة النورانية الحاكمة " [1]

وقد كان للملك في الثقافة البابلية نفس السلطة الكهنوتية، حيث " يمكن القول أن الملك كان يتوازع النموذج الإلهي، ولكن دون أن يصبح إلها، إنه يمثل الإله، الأمر الذي اقتضى في مراحل قديمة من الثقافة أن يكون بنوع ما، إما ممثلا لصورته على كل حال وبوصفه وسيطا بين عالم البشر وعالم الآلهة، فإن الملك كان ينجز في شخصه ذاته اتحادا شعائريا بين الوضعين في الوجود إلهي وبشري، وإنه بفضل هذه الطبيعة المزدوجة كان الملك يعتبر على الأقل مجازيا خالقا للحياة والخصب " [2]

" ويذهب كثير من الباحثين إلى أن القول بتحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ. .. ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكان الألوهية وتسجد لها الجماهير ثم يصل إلى البطولة أكبر أبنائه فيتم الثالوث، ويرجح الكثيرون أن البابليين أول من قال بالثالوث في الألف الرابع قبل الميلاد. .. ثم تطورت فكرة التعدد وتفلسفت وظهرت بدعة التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد، وقال بها الهنود قبل المسيح بألف عام " [3]

و من الصابئة من جعل فكرة الوساطة جوهرا لعقيدتهم وهم " صابئة الحرانية، صابئة الفلاسفة، صابئة البطائح، هؤلاء الأصناف من الصابئة يمكن ردهم إلى مسمى واحد أطلقه القرآن ويدخلون تحته هو " الذين أشركوا "، وذلك عندما صيروا مفهوم الوسيط في الصابئة الأولى، وكان عندهم له صفة التقديس والوسيلة إلى غاية معبود، كذلك حولوا مفهوم الوسيط الروحاني إلى أشكال مختلفة من الصور المادية " [4]

---

[1] عبد الله خليفة ، مرجع سابق ، ص 33 .

[2] ميرسيا إلياد ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس ، ط 1 ، دار دمشق ، سوريا ، 1986 . 1987 ، ج 1، ص 101 .

[3] أنور الجندي ، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، دط ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت . لبنان ، 1987 ، ص 186 .

[4] محمد إبراهيم الفيومي ، مرجع سابق ، ص 149 . 150 .

كما أن من الصابئة من قال " لا بد لنا من صور أشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها، فاتخذوا أصناما، على مثال الهياكل السبعة صوروها بصورتها، فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب إذ قالوا بإلهيتها، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان، وهذا النوع من الصابئة انتقل إلى الجزيرة العربية " [1]

وقد ذكرهم الشهرستاني في الملل والنحل حيث يقسمهم إلى أنواع، فمنهم أصحاب الروحانيات وأصحاب الجسمانيات.

ويقصدون بالروحانيات الملائكة " ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون عن المواد الجسمانية، المبرءون عن القوى الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية. .. فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم، فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب وإله الآلهة " [2]

كما قالوا في هذه الروحانيات بأنهم " الأسباب المتوسطون في الاختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال، يستمدون القوة من الحضرة الإلهية القدسية، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية، فمنها مدبرات الكواكب السبع السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها ولكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه ومدبره ومديره، وكانوا يسمون الهياكل أربابا، وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات " [3]

ثم قال الشهرستاني: " اعلم أن أصحاب الروحانيات لما عرفوا أن لا بد للإنسان من متوسط، ولا بد للمتوسط من أن يرى فيتوجه إليه ويتقرب به ويستفاد منه، فزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع. .. فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا اليوم لزحل مثلا السبت وراعوا فيه ساعته الأولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعته، ولبسوا اللباس الخاص به، وبخروا ببخوره الخاص، ودعوا بدعواته الخاصة وسألوا حاجتهم منه، الحاجة التي تستدعي من زحل من افعاله وآثاره

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي ، مرجع سابق ، ص 150 . 151 .

[2] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 289 . 290 .

[3] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 291 .

الخاصة به، فكان يقضي حاجتهم ويحصل في الأكثر مرامهم، وكذلك رفع الحاجة التي تختص بالمشتري في يومه وساعته وجميع الإضافات التي ذكرنا إليه، وكذلك سائر الحاجات إلى الكواكب وكانوا يسمونها أربابا آلهة، والله تعالى هو رب الأرباب وإله الآلهة، ومنهم من جعل الشمس إله الآلهة ورب الأرباب، فكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى الباري تعالى لاعتقادهم بأن الهياكل أبدان الروحانيات " [1]

" وأما أصحاب الأشخاص فقالوا إذا كان لابد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع إليه والروحانيات وإن كانت هي الوسائل لكنا إذا لم نرها بالأبصار ولم نخاطبهم بالألسن لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها، ولكن الهياكل قد ترى في وقت ولا ترى في وقت لأن لها طلوعا وأفولا وظهورا بالليل وخفاء بالنهار، فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه إليها، فلا بد لنا من صور وأشخاص موجودة منصوبة نصب أعيننا فنعكف عليها ونتوسل بها إلى الهياكل، فنتقرب بها إلى الروحانيات، ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى، فنعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فاتخذوا أصناما أشخاصا على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابلة هيكل " [2]

" و أصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية، وقالوا ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ يونس: 18، وقد ناظر الخليل عليه الصلاة والسلام الفريقين " [3]

---

[1] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 248 . 249 .

[2] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 352 .

[3] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 404 .

المطلب الرابع: عند قدماء المصريين:

لا شك أن المصريين القدماء من أشد الشعوب تاريخيا تمسكا بالفكرة الدينية، فقد عرفت نظاما مؤسساتيا بمعنى الكلمة، إذ كان الكهنة يشكلون بناء محكما لا يجوز لأي كان اختراقه، ليس من الجانب الطقسي والشعائري فحسب، بل أكثر من ذلك بكثير حيث تعدى نفوذ المؤسسة الدينية إذ ذاك إلى مجالات مختلفة من حياة الناس، مما أعطى الكهنة سلطة لا تكاد تضاهيها سلطة فساعدهم في امتلاك الثروات الطائلة والأراضي الواسعة و التمتع بامتيازات لا يمكن لغيرهم أن يحلم بها كالإعفاء من الرسوم والضرائب، ناهيك عما كان يمنح للمعبد باسم الآلهة فيستولي عليه الكهنة دون حسيب ولا رقيب، ثم إن هذا النفوذ لم يقتصر على المؤسسة الدينية بل تعداها ليصل إلى نظام الحكم، فقد كان كبير الكهنة يؤثر تأثيرا بالغا على الحاكم، إن لم يكن هو الحاكم نفسه. [1]

ولقد كان للكهنة والملوك دور كبير في تثبيت فكرة الوساطة الكهنوتية، فإن " الاسم المصري الدائم للكهنة كان هو الخادم، ثم أصبح بعد ذلك " حم نتر " أي: " خادم الإله "، وكان هذا اللقب يرجع مع لقب المتطهرون إلى عقيدة الشمس. .. وفي الكهنوت المصري كان المؤدي الرئيسي للخدمة هو " خادم الإله "، وكانت ترتل التعاويذ بواسطة الكاهن المرتل أي القائم على احتفالات الأعياد " [2]

" وكانت شعائر المعبد " يؤديها عدد قليل من الكهنة في أقصى قدس الأقداس للمعبد، والذي لم يكن مسموحا بدخوله للجمهور الذي كان يسمح له فقط الدخول حتى الفناء المفتوح " [3]

" كان الكهنة في مصر دعامة العرش، كما كانوا هم الشرطة السرية القوامة على النظام الاجتماعي، وتطلب هذا الدين الكثير التعقيد أن تقوم عليه طبقة بارعة في فنون السحر والطقوس الدينية، لا يمكن الاستغناء عن قدرتها وبراعتها في الوصول إلى الآلهة، وكان منصب الكاهن ينتقل في الواقع إن لم يكن بحكم القانون من الأب إلى الابن، ومن ثم نشأت طبقة أصبحت على مر الزمن

---

[1] نزار يوسف ، الوصاية الفكرية ، ط 1 ، د م ن ، سوريا ، 2008 ، ص 84 .

[2] ياروسلاف تشرني ، الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، مراجعة محمود ماهر طه ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1416 هـ . 1996 م ، ص 160 . 161 .

[3] المرجع نفسه ، ص 164 .

بفضل تقوى الشعب وكرم الملوك السياسي أعظم ثراء وأقوى سلطانا من أمراء الإقطاع ومن الأسرة المالكة نفسها"[1]

كما كان للكهنة دور الوسيط بين الميت ومغفرة الإله " حيث كان القبر يملأ بطلاسم تحبها الآلهة من أسماك ونسور وأفاعي. .. فإذا ما بارك الكاهن هذه الأشياء حسب الطقوس الصحيحة، أخافت كل معتد على الميت وقضت على كل شر، وكان خيرا منه هذه وتلك أن يشتري كتاب الموتى، وهو قراطيس ملفوفة أودع فيها الكهنة أدعية وصلوات وصيغا وتعاويذ من شأنها أن تهدئ من غضب أوزير بل أن تخدعه " [2]

ونجد أصل التثليث في الديانة المصرية القديمة حيث " ظل النزاع الذي احتدم لهيبه بين هوروس وعمه أو خاله سيت إله الشر والغدر رمزا لتلك الحروب العديدة التي كانت من حين إلى آخر بين رؤساء مقاطعات الوجهين القبلي والبحري زمنا طويلا تطورت بعده إلى فكرة أجرأ من الرمز، وهي أن كلا من الرئيسين المتحاربين أصبح يمثل أحد ذينك الإلهين المتنازعين، وما زال هذا شأنهم حتى هب ذلك الفرعون العظيم مينيس أو مينا الأول، فكان أكثر جرأة وأعظم صراحة فأعلن في غير مواربة أن الإلهين كليهما قد حلا في جسده، وأن جسمه يشتمل على الجوهر الأساسي أو روح القدس للإلهين جميعا، و أنهما لهذا قد استخلفاه على ذلك العرش السامي الذي طالما كان موضع نزاع بينهما. .. وقد تم له ما أراد إذ أصبح هو الممثل للإلهين " [3]

" ولم يكن مقام فرعون محصورا في هذه الاحترامات الكهنوتية كلا، بل إن عرشه كان أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكون، وشخصيته كانت أنفس شخصيات البشر جميعا، وكان المصريون إذا أحسوا بأن هناك فردا واحدا لا يفتدي الملك وعرشه بكل ما لديه من عزيز ونفيس مقتوا هذا الشخص، وودوا لو يبيدونه من فوق الأرض " [4]

ولكن المشكلة التي نشأت عند المصريين من تأليه الملك هي أنهم قالوا " إننا نشاهد الملك يموت كما يموت عامة الناس، فكيف يموت الإله الذي أولى صفاته الخلود ؟ لم تكد هذه المشكلة تأخذ مكانها في الحياة الفكرية المصرية، حتى وجد الكهنة لها حلا، وهو أن فرعون لا يموت كما يموت

---

[1] ول ديورانت ، مرجع سابق، ج 2 ، ترجمة محمد بدران ، ص 161 .

[2] المرجع نفسه، ج 2 ، ص 163 . 164 .

[3] محمد غلاب ، الفلسفة الشرقية ، د ط ، د م ن ، القاهرة ، 1938 ، ص 39 .

[4] المرجع نفسه، ص 41 .

الناس، و إنما حين يعجز جسمه عن النشاط العملي يخرج منه السر الإلهي أو الروح القدس ليحل في جسم ابنه الشاب الممتلئ قوة ونشاطا، وإذا فروح " هوروس " هي التي تحكم في كل الأجساد المختلفة المسماة بالفراعنة، والتي أطلق على كل جسد منها اسم خاص في الظاهر فحسب " [1]

" أما النحلة الفرعونية التي فشت في مصر، فقد عبدت آلهة كثيرة وعرفت أديانا كثيرة وتشابهت مفاهيمها مع الأديان الوثنية القديمة ومفاهيم الفرس والهند وبابل واليونان، كما عرفت التثليث فعبدت إيزيس وأوزيريس وحورس، وكانت إيزيس هي إلهة الخصب والنماء وكانت أختا للإله أوزيريس، وكان أبوهما هو حب، أي الأرض وأمهما توت، أي السماء وقد تزوجا وأنجبا الإله حورس، فكون ثلاثتهم في الديانة المصرية القديمة الثالوث المقدس، وقد غزت أسطورة إيزيس الديانة المسيحية فأبدل بهما المسيح والسيدة العذراء. .. كما عرف الفراعنة الطقوس المختلفة في المعابد وكان الكهنة من أصحاب الإقطاعات والنفوذ، وقد عرفت الفرعونية إلى جوار التثليث الإكليروس وأقامت معابد الفراعنة حرسا خاصا على نظام المليشيا لتنفيذ أوامر رؤساء الكهنة، كما عرفت الفرعونية نظام الطبقات على أساس الاستبداد والظلم جعلت على رأسه الكهنة أو الأسرة المالكة، وفي نهايته الفلاحين والعمال، وعرفت صكوك الغفران التي تسمى تعاويذ القلب التي يؤثر بها الكهنة على قلوب الموتى. .. وقد اقتبست المسيحية عن الفرعونية عديدا من هذه النظم وارتبطت بها " [2]

[1] محمد غلاب ، المرجع نفسه ، ص 41 . 42 .

[2] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 212 . 213 .

المطلب الخامس: عند البراهمة:

يقول الشهرستاني عنهم : " من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام ، وذلك خطأ فإن هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلا ورأسا ، فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام ؟! ... إلا أن هؤلاء البراهمة انتسبوا إلى رجل منهم يقال له : برهام قد مهد لهم نفي النبوات أصلا ، وقرر استحالة ذلك .

ثم إن البراهمة تفرقوا أصنافا ، فمنهم أصحاب البددة ، ومنهم أصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ " [1]

وخلاصة هذه الأصناف :

أن البددة نسبة إلى البد وهو شخص يتميز بصفات فوق البشر ، فلا يطعم ولا يشرب ولا ينكح ولا يهرم ولا يموت ، وإنما يصل إلى هذه المرتبة بالصبر والمجاهدة .

والطائفة الثانية : أصحاب الفكر والوهم وهم العلماء بالفلك والنجوم المنسوبة إليهم ، وعظمون الفكر ، ويقولون بأنع متوسط بين المحسوس والمعقول .

. والطائفة الثالثة : أصحاب التناسخ .

هذا وإن الناظر في هذه النحلة فإنه يجد أنها لم تسلم من فكرة السلطة الكهنوتية فقد " بدأ الكهنة في هذه الديانة بتعقيد الطقوس البسيطة التي كانت في الفيدا، فوضعوا لها قواعد قاسية وقوانين صارمة استندوا فيها جميعها إلى نصوص فيدية، ولكن بعد أن حملوها من التأويل ما تطيق وما لا تطيق، فقرروا مثلا أن الضحايا لا تقبل إلا إذا قدمت على أيدي جمعية كهنوتية مؤلفة من ثلاثة أعضاء ورئيس يشترط فيه أن يفوق زملاءه في العلم، وبهذه الطريقة أخذ الكهنة يستولون على الطقوس الدينية شيئا فشيئا حتى احتكروها وحصروها جميعها في طبقتهم التي لم يلبثوا أن أعلنوا أنها أسمى عناصر الأمة وصاحبة السيادة عليها وأن الكهنوتية قد أصبحت وراثية محصورة بين أبناء هذه الطائفة " [2]

وإن " أهم ما أدخله كهنة البراهمانية على الدين الفيدي من تجديد، هو وجوب تقديس رجال الدين، ووضعهم في الصف الأول في الأمة، بل واعتبارهم العمود الفقري للحياة الاجتماعية كلها،

---

[1] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 706 . 714 .

[2] محمد غلاب ، مرجع سابق، ص 102 .

وقد اتخذوا لذلك سببا يبرره في نظر الشعب وهو أن رجال الدين هم وحدهم الذين يملكون التأثير على الآلهة، ومن ثم كان طبيعيا أن يكون لهم المقام الأسمى وأن يلقبوا بالآلهة الإنسانيين، وأن يكون إكرامهم في مقدمة أنواع العبادات وإهانتهم وإساءتهم من كبريات الجرائم " [1]

وقد كانت أجور الكهنة عالية وسلطتهم الدينية نافذة، فإن " لم يكن بمقدور الشخص الذي يريد أداء الشعائر و الطقوس الدينية أن يدفع للكاهن أجره، فإن الكاهن سيمتنع عن تلاوة الصيغ اللازمة"[2]

كما " كان الدخول في ديانة مترا يتم على سبع مراحل، فكان على طالب الدخول إلى دين الجماعة أن يمر في دور التطهير إما بالماء أو الدم، وهذا له ما يقابله بالمسيحية وهو العمادة، ثم يتلو هذا الاتحاد بالإله في إشراك المريد في حفلة طعام دينية، يتبع ذلك تزويد المريد ببعض أسرار المعرفة التي كانت تقوده إلى الرؤيا، كانت إيزيس تظهر للعباد وتتكلم معهم " [3]

المطلب السادس: عند مشركي العرب في الجاهلية:

لم يكن العرب قبل مجيء الإسلام بمنأى عن التأثيرات العقدية الوافدة، وهذا ما ساعد بشكل كبير في انتشار الوثنية وانحسار مظاهر التوحيد مع مرور الزمن، " ويمكن القول أن الجزيرة العربية حفلت بصنوف عديدة من العبادات الدينية، منها عبادة آباء القبائل وعبادة الظواهر الطبيعية وتقديس الأحجار والأشجار والآبار والمياه وعبادة الجن والأرواح وعبادة الأسلاف، وقد عرفت العرب تعدد الآلهة والشرك، والتوحيد ، وكان منها الحنفاء الذين كانوا على دين إبراهيم ولم يكونوا يهودا ولا نصارى، وقد ركز الإسلام على أن أكبر عبادات الجاهلية الشرك، وهو اتخاذ آلهة أخرى مع الله أو أولياء من دون الله " [4]

. ويضيف المؤلف قائلا : " واستعراض الأساطير والعقائد العربية الجاهلية يدلنا على أن الوثنية العربية مرت في أطوار تشبه تلك الأطوار التي مرت بها وثنيات الأمم الأخرى ، فإنها عرفت :

---

[1] المرجع نفسه ، ص 104 . 105 .

[2] نزار يوسف ، مرجع سابق ، ص 85 .

[3] محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، ط 4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1415 هـ . 1994 م ، ص 151 . 152.

[4] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 211 .

1 . الطور الحيوي : وفيه اعتقد العرب أن في كل شيء حياة ، فعبدوا الشجر والحجر والجن ، واعتقدوا أن الحجر شجر الشياطين ...

2 . الطور الطوطمي : وفيه تنحصر الحياة والأرواح في أشياء محدودة ، ومن بقايا هذا الطور ما وجد عندهم من تسمية الإنسان بأسماء الحيوان ، ومن عبادة بعض البهائم كالجمل الأسود .. والكبش الأبيض ، ومن التشاؤم من الغراب والبوم ، ومن عبادة الأصنام على شكل الحيوان ..

3 . الطور الوثني وتعدد الآلهة : وفيه وصل العرب إلى تصور الإله بأشكال إنسانية ، وتعددت الآلهة عندهم وتخصصت ومهدت للطور الوحداني الذي جاء به الإسلام " [1]

ويذكرالشهرستانيأن أول من أدخلعبادة الأصنام إلى الجزيرة العربية هو عمروبن لحي ، وقد كان سيدا في قومه .

يقول عنه الشهرستاني : " ثم صار إلىمدينة البلقاء بالشام، فرأى قوما يعبدون الأصنام فسألهم عنها فقالوا : هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية ، نستنصرها فننصر ، ونستسقي با فنسقى ، فأعجبه ذلك ، فطلب منهم صنما من أصنامهم ، فدفعوا إليه هبل فصارت إلىمكة ووضعه في الكعبة ، وكان معه إساف ونائلة علىشكل زوجين، فدعا الناس إلى تعظيمهما والتقرب إليهما ، والتوسل بهما إلى الله تعالى " [2]

[1] محمد إبراهيم الفيومي ، مرجع سابق ، ص 460 .

[2] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 649 .

المبحث الثالث: الوساطة الكهنوتية في الفكر الديني اليهودي :

المطلب الأول: الكهنوت في نصوص التوراة :

سنذكر بعضا مما ورد في التوراة على سبيل المثال لا الحصر عن فكرة الوساطة الكهنوتية، وكيف انحصرت في طائفة من الناس دون غيرهم.

جاء في العهد القديم ما يلي: " وتعين هارون وبنيه فيتولون كهنوتهم وأي غريب يقترب يقتل"[1]

وفي سفر الخروج: " وثياب هارون المقدسة تكون لبنيه من بعده لكي يمسحوا فيها ولكي يكرسوا كهنة " [2]

ونقرأ في موضع آخر " وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي وتقرب بنيه وتلبسهم أقمصة وتمسحهم كما مسحت آباءهم ليكهنوا لي ويكون لهم مسحهم كهنوتا دهريا مدى أجيالهم " [3]

وقد جاء في سفر صموئيل الأول: " وأقيم لنفسي كاهنا أمينا ويعمل بحسب ما في قلبي ونفسي وأبني له بيتا ثابتا فيسير دائما أمام مسيحي ويكون أن كل من يبقى في بيتك يأتي ويسجد له للحصول على دفعة من المال ورغيف خبز ويقول ضمني إلى إحدى وظائف الكهنوت لآكل كسرة خبز " [4]

وجاء في سفر اللاويين كدلالة على سلطة الكهنة الدينية : " وينضح الكاهن بأصبعه اليمنى من الزيت الذي على راحة يده اليسرى سبع مرات أمام يهوه، ويجعل الكاهن من الزيت الذي على راحة يده على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى فوق موضع دم قربان الذنب، والباقي من الزيت الذي على راحة يد الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيرا عنه أمام يهوه"[5]

---

[1] العدد، الإصحاح : 3 ، الفقرة : 10 .

[2] الخروج ، الإصحاح 29 ، الفقرة : 29 .

[3] الخروج ، الإصحاح 40 ، الفقرة : 13 ـ 15 .

[4] صموئيل الأول ، الإصحاح : 2 ، الفقرة : 35 ـ 36 .

[5] اللاويين ، الإصحاح 14 ، الفقرة : 27 ـ 29 .

ونقرأ في سفر متى: " فقال لهم أما قرأتم ما فعل داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكلوا أرغفة التقدمة التي لا يحل له أكلها ولا للذين معه إلا للكهنة فقط أوما قرأتم في الشريعة أن الكهنة في السبوت في الهيكل يعتبرون السبت غير مقدس ويبقون بلا ذنب " [1]

[1] متى ، الإصحاح 12 ، الفقرة : 3 ـ 6 .

المطلب الثاني: تأثر الفكر الديني اليهودي بفكرة الوساطة :

" الكاهن في العبرية " كوهين " هو سبيل الكهانة أي الأداة المقدسة المختارة للوساطة بين الإنسان والخالق، ويرتبط تاريخ الكهانة بين العبرانيين بظهورهم في التاريخ إذ يبدو أن كل رب أسرة عبرانية وأول الذكور فيها كانا يقومان بدور الكاهن، وقد ظل هذا الوضع قائما حتى زمن الخروج من مصر أو الهجرة منها حين انحصرت الكهانة في قبيلة اللاويين، وكانت أسرة هارون تشغل مركزا متميزا داخل قبيلة لاوي، وفي معظم الأحيان كان يتم اختيار كبير الكهنة منهم، ويبدو أن هذا النظام مقتبس من النظام المصري القديم للكهانة، حيث كانت أسرة معينة تختص بالقيام بأعمال الكهانة والجوانب السرية في العلاقة بين الإله وأتباعه " [1]

والحقيقة أن فكرة الكهنوتية ليست أصيلة عند اليهود، بل هي من الأفكار الوافدة عليهم من الأمم الوثنية التي عاشروها، ففي اعتقادهم أن للآلهة مطالب ورغبات لا يمكن للبشر العاديين إدراكها، وأكثر البشر استعدادا لهذه المهمة هم الكهنة. [2]

وقد " كان الكهنة يشكلون طبقة خاصة بين الأمم القديمة، أما الكهانة عند العبرانيين فكانت تنحصر في أسرة هارون بصورة وراثية، والكاهن هو الذي كان يعلم الشريعة ويعمل أكثر مما يعلم، ويقوم بالمراسم عند المذبح ويجري سائر الطقوس ويعمل كوسيط بين الإنسان والله " [3]

و " كانت الكهانة باعتبارها السلطة الدينية متداخلة تماما مع السلطة الدنيوية، كما هو الحال في عصر القضاة حوالي 1250 ـ 1020 ق م، ومع حكم الملوك أصبح رئيس الدولة الكاهن الأعظم، ولكن نظرا لانشغاله كان يعين مندوبين عنه للقيام بهذه المهمة، فبدأ يظهر الانفصال بين السلطتين"[4]

---

[1] عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط 3 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، 2006 ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 406 .

[2] خالد رحال محمد الصلاح ، العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها ، د ط ، دار العلوم العربية ، بيروت ـ لبنان ، د س ن ، ص 119

[3] محمد إبراهيم الفيومي مرجع سابق ، ص 77 .

[4] عبد الوهاب المسيري ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 406 .

" وقد لعب الكهنة دورا مهما في تطوير اليهودية إذ جعلوا أنفسهم وسطاء بين الإله والناس، والكهانة في اليهودية تورث، ولذا أصبح الكهنة طبقة مغلقة لا يستطيع أحد من خارجها أن ينتمي إليها " [1]

" ولم يكن أحد غير الكهنة يستطيع أن يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة، أو يفسر الطقوس أو الأسرار الدينية تفسيرا آمنا من الخطأ، وكان هؤلاء طبقة مغلقة لا يستطيع أحد أن ينتمي إليها إلا أبناء ليفي، ولم يكن من حقهم أن يرثوا مالا ولكنهم كانوا معفين من الضرائب. .. وكانوا يأخذون العشور على نتاج الضأن وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرابين " [2]

" ونرى في العهد القديم صورا بسيطة من الوساطة بين الله والإنسان قام بها ملائكة وأنبياء نقلوا إلى الإنسان كلام الله، كما أن الكهنة كانوا يمثلون الإنسان أمام الله والملوك كانوا يمثلون الله في حكم الإنسان " [3]

" وفي يوم الغفران كان الكاهن الأعظم يدخل قدس الأقداس وينطق باسم يهوه، وهو ما كان يعد ذروة للعبادة ولحظة النطق باسم يهوه تشكل نقطة التماس بين الإله والشعب والأرض، ففيها يتجسد الحلول الكامل " [4]

وعن تأثر اليهودية بالعناصر الوافدة إليها من خارجها يقول المسيري: " وكان من نتائج الخاصية الجيولوجية التراكمية أيضا احتواء اليهودية عناصر من الديانات والحضارات الأخرى، فهناك عناصر مصرية من حضارة المصريين القدماء في قصص العهد القديم ونظام الكهنوت اليهودي " [5]

" وللوصول إلى الكهنوتية كان الواحد من أبناء ليفي، وهو أحد أبناء يعقوب يمر بتدريبات وتقاليد يعرف خلالها الطقوس والأسرار الدينية ويبرهن على استحقاقه لهذا المنصب الخطير، وكان لهم وحدهم حق تفسير النصوص ولم تكن القرابين مقبولة إلا إذا قدمت على يد أحد الكهنة، وكانوا معفون من الضرائب، وامتازت ثروتهم بأن عدت مقدسة وشخصياتهم كانت الوسيلة إلى الله " [6]

---

[1] عبد الوهاب المسيري ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 407 .

[2] ول ديورانت ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 346 .

[3] وليم وهبة بباوي وآخرون ، مرجع سابق ، ج 8 ، ص 203 .

[4] عبد الوهاب المسيري ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 411 .

[5] المرجع نفسه ، مجلد 2 ، ج 1 ، ص 20 .

[6] خالد رحال محمد الصلاح ، مرجع سابق، ص 121 .

" وهكذا وضع كهان اليهود أنفسهم بين الناس وبين الله، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن، فقد كان مفتاح السماء في يده كما يزعمون " [1]

هذا وإن " فكرة الكهنوتية لم تكن من اختراع اليهود، بل هي تقليد لما كان في العبادات الوثنية، فقد اعتاد يهود في مرحلة متقدمة في تاريخهم متأثرين بالشعوب التي عاشوا بينها على أن للآلهة رغبات لا يستطيع أن يعرضها إلا أشخاص معينون، لهم القدرة في فهم اللغة الإلهية التي كانت عبارة عن علامات لا يستطيع عامة الشعب فهمها. .. وقد كان الكاهن يعلم العهد القديم أو ما يسمى بالتوراة، ويقوم بالإفتاء في أمور الدين وكتابة النصوص وتقديم القرابين وإقامة العبادات في المعبد... ولعب الكهنة دورا كبيرا في توجيه نصوص العهد القديم وشرائعه
التي تتفق مع مصالحهم " [2]

و" يبدو أن أسرة هارون كانت تشغل في بداية الأمر مركزا متميزا داخل سبط لاوي، فقد كان أعضاؤها المسؤولين الفعليين عن الأضاحي والإشراف على الطهارة، وفي معظم الأحيان كان يتم اختيار كبير الكهنة من بينهم، وقد كان كبير الكهنة هو الذي يتلفظ باسم الله في قدس الأقداس، ويبدو أن هذا النظام مقتبس من النظام المصري القديم للكهنة من خلال تخصيص أسرة معينة للقيام بأعمال الكهانة وخدمة الدين والمعابد وبالجوانب السرية الخاصة في العلاقة بين الله وأتباعه " [3]

" وكانت الكهانة باعتبارها السلطة الدينية متداخلة تماما مع السلطة الدنيوية، كما هو الحال في عصر القضاة، وبظهور حكم الملوك أصبح رئيس الدولة هو الكاهن الأعظم، لكنه ونظرا لانشغاله كان يعين مندوبين عنه لممارسة هذه المهمة، فبدأ يظهر شيء من الانفصال بين السلطتين، ومع هذا ظل الكهنة قريبين من السلطة الدنيوية مرتبطين بها أشد الارتباط " [4]

" ومع أن اليهودية لا تقبل على المستوى النظري الوساطة بين الخالق والمخلوق، استمرت مؤسسة الكهانة بعد أن أخذت شكلا جديدا هو الحاخامية حيث يحل الحاخام محل الكاهن " [5]

---

[1] خالد رحال محمد الصلاح ، مرجع سابق ، ص 121 ـ 122 .

[2] المرجع نفسه، ص 119 ـ 120 .

[3] عمر أمين مصالحة ، اليهودية ديانة توحيدية أم شعب الله المختار ، ط 1 ، دار الجليل ، عمان ، الأردن ، 2005 ، ص 158.

[4] المرجع نفسه ، ص 159 .

[5] المرجع نفسه ، ص 161 .

" وشرط نجاح خطوات التكفير عن الخطيئة في اليهودية، أن يقوم براسم التكفير شخص من نسل هارون " [1]

" وتطلب المغفرة في يوم التكفير والغفران في صلاة جماعية يؤديها الكهنة. .. وهكذا نرى أن الخلاص من الذنب يكون بتقديم المحرقات والهدايا للكهنة، ثم بالصلاة الموسمية التي تقام في أوقات معينة من السنة " [2]

" فمفهوم خدمة الله في اليهودية شكل حضورا قويا، ولكنه اختلف عن سلفه في الأديان التي سبقتها، حيث تجلى هذا الأمر بأمثلة عديدة منها بناء المذبح للرب، إذ كثيرا ما تكررت هذه العملية في سطور التوراة وأسفارها وإصحاحاتها، مترافقة مع عملية القربان والتقدمة لله وأيضا بدافع محو الخطيئة والتقرب من الله " [3]

و " لقد كانت فكرة التمييز بين الكهنة والشعب موجودة في الديانة اليهودية ثم أسرع العقل البشري إلى تعظيم وتوسيع نطاق ذلك التمييز، حتى جاء نظام تعيين الأساقفة ورسامته فوطد دعائمه وثبت أركانه وعظم شأنه، حتى بلغ الأمر تدريجيا إلى خلع لقب رئيس الكهنة أو الحبر الأعظم على الأسقف " [4]

---

[1] محمد عبد الرحمن عوض ، الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام ، د ط ، دار البشير ، القاهرة ، د س ن ، ص 18.

[2] المرجع نفسه ، ص 22 . 23 .

[3] نزار يوسف ، مرجع سابق ، ص 81 .

[4] أندرو ميلر ، مختصر تاريخ الكنيسة ، ط 4 ، شركة الطباعة المصرية ، مصر ، 2003 ، ص 124 .

الفصل الثاني: الوسيط الكهنوتي في الفكر المسيحي

المبحث الأول: فكرة الوساطة في بدايات المسيحية :

المطلب الأول: المسيح في نصوص الكتاب المقدس :

إن المسيحية لم تكن في بادئ أمرها تتميز بالتعقيد، بل كانت ديانة سماوية آمن بها أتباعها وانطلقوا يبشرون بها في كل مكان، ينشرون أخبار الخلاص وبيسوع الرب، ولم تكن هناك فرقة كهنوتية أو نظام كنسي، ثم أخذ عدد المؤمنين بالدين الجديد يتزايد يوما فيوم، فكانوا كلما صار العدد كافيا لتكوين كنيسة محلية اجتمعوا معا باسم الرب " في أول يوم من الأسبوع ليكسروا خبزا ويبنوا بعضهم بعضا في المحبة، ومتى حانت الفرصة لأحد الرسل ليزور مثل هذه الاجتماعات كان يقيم شيوخا فيها للاهتمام بهذا القطيع الصغير ومراقبته روحيا والجماعة نفسها هي التي تختار الشمامسة، هذا هو النظام الذي كان متبعا في الكنائس في أيام المسيحية الأولى، و يتضح لنا من ذلك أن الكهنوت الوحيد الذي تتكلم عنه كلمة الله في العهد الجديد هو الكهنوت العام لكل المؤمنين، وليس كهنوتا قاصرا على هيئة من بين المؤمنين " [1]

ولم يدّعِ عيسى نفسه أبدا أنه ابن الله، ولكن بولس [2] أعطاه هاته الصفة ليساعد ذلك في نشر المسيحية، وليحصل على أتباع جدد من غير اليهود، " وقد أخذ بولس بعين الاعتبار الاعتقادات الوثنية، حيث أعطى للوثنيين ما يشبه اعتقاداتهم في المسيحية حتى تلقى ديانته قبولا واستحسانا عندهم " [3]

وسنذكر بعضا مما يدل على ذلك مما ورد في نصوص الكتاب المقدس. على سبيل المثال كالآتي :

جاء في إنجيل يوحنا: " فلما رأى الناس الآيات التي صنعها أخذوا يقولون: هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم " [4]

---

[1] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 123 .

[2] أصلُ **"بولس"** يهودي ، وقد كان في صدر حياته من أشدّ أعداء المسيحية ، ويُسمّى أيضا " شاول " ، توجَّسَ منه تلاميذ المسيح ، فتقرّب من "برنابا "، حتى شهد له بالإيمان ، ومن ذلك الوقت ، صار "بولس" القوة الفعّالة ، والحركة الدّائبة في مسيرة المسيحية ، وقد اصطحب "برنابا "في رحلاته ، حتى اختلفا وافترقا ، وتُنسبُ إليه "رسائل بولس" ، قيل أنه قُتل في اضطهادات " نيرون " سنة 66 أو 67 " (محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، تقديم عمار طالبي ، د ط ، دار الشهاب، الجزائر ، د س ن ، ص 46 – 47) .

[3] بربارا براون ، نظرة عن قرب في المسيحية ، ترجمة مناف حسين الياسري ، د م ن ، د س ن ، ص 22 . 23 .

[4] يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 14 .

والملاحظ هنا أن هذا النص قد وصف عيسى عليه السلام بصفة النبوة لا الألوهية، ولا كونه جزءا من الثالوث المسيحي، باعتباره الابن المنبثق من الآب.

وجاء فيه أيضا: " أجابهم يسوع وقال: الحق أقول لكم أنتم تفتشون عني، ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم، اعملوا لا للطعام الذي يفنى بل للطعام الذي يبقى للحياة الأبدية الذي يعطيكم إياه ابن الإنسان، فهذا هو من ختمه الآب الله نفسه بختم رضاه " [1]

وفي موضع آخر من نفس الإصحاح يقول: " فكيف إذا رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان من قبل " [2]

وفي نفس الإنجيل نقرأ: " قال لهم يسوع: إن كنتم أولاد إبراهيم، فاعملوا أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون قتلي أنا الإنسان الذي أخبرتكم بالحق الذي سمعته من الله، إبراهيم لم يفعل هذا " [3]

وهنا نرى أن عيسى عليه السلام صرح بطبيعته البشرية وأكد على ذلك في أكثر من موضع.

وعن قدرته على معرفة الأحكام الإلهية يقول: " أنا لا أقدر أن أعمل شيئا من تلقاء ذاتي، كما أسمع أدين ودينونتي بارة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني " [4]

هذه النصوص . وغيرها كثير . تدل دلالة واضحة على بشرية عيسى عليه السلام، وتنفي عنه صفة الألوهية أو الاتحاد مع ذات الله.

كما أن الكتابات التاريخية تثبت بأن نظام الكهنوت المسيحي لم يكن أبدا موجودا في بداياتها، إذ إنه ظهر في أواخر القرن الثاني الميلادي، ومما ساهم في ذلك أن المسيحية في ذلك الوقت لقيت سندا قويا في تحالف السياسة مع الدين، فظهرت الأبرشيات والمدارس اللاهوتية في الإسكندرية. [5]

وفي هذا السياق يلفت محمد أبو زهرة النظر إلى أن مصادر المسيحية بعد المسيح تعددت ، فبالإضافة إلى الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم : إنجيل متى ، إنجيل لوقا ، إنجيل مرقص وإنجيل يوحنا ،هناك أناجيل أخرى كثيرة أخذت بها فرق قديمة ، ولم تعنتق غيرها " فعند كل من أصحاب مرقيون

---

[1] يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 26 . 27 .

[2] يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 62 .

[3] يوحنا ، الإصحاح : 8 ، الفقرة : 39 . 40 .

[4] يوحنا ، الإصحاح : 5 ، الفقرة : 30 .

[5] عصمت نصار ، فلسفة اللاهوت المسيحي العصر المدرسي المبكر في القرون الخمسة الأولى ، ط 1 ، دار الهداية ، د ب ن ، 1429 هـ . 2008 م ، ص 114 .

، وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل ، ولأصحاب ماني إنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح في زعمهم ، وهناك إنجيل يقال له إنجيل السبعين ... والنصارى ينكرونه ، وهناك إنجيل برنابا ، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ... ولقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي أو أوائل القرن الثالث أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها ، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة إبان ذاك "[1]

والمشكلة في تاريخ الكنيسة أنها لم تكتف باختيار الأناجيل الأربعة السالفة الذكر، بل قامت بفرضها بالقوة على جمهور المسيحيين ، وعن مصدر هذه الأناجيل ومدى دقة نسبتها إلى السيد المسيح يقول أبو زهرة : " وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحي إليه ، ولكنها كتبت من بعده "[2]

وفيما يلي بيان لبعض الظروف التي أحاطت بكتابة هذه الأناجيل وتدوينها :

1 . إنجيل متى : كتبه متى ، وهو كما يزعم النصارى أحد تلامذة المسيح والذين يطلق عليهم اسم : الرسل ، وقد كان من جباة الضرائب ، ولذلك اشتهر بمتىّ العشّار ، ثم اختاره المسيح ليكون أحد تلاميذه .

وقد كتب إنجيله بالعبرية أو السريانية ، وجمهور النصارى على أن أقدم نسخة شائعة لهذا الإنجيل قد كتبت باليونانية ، واختلفوا فيمن ترجمه إلى اليونانية لأن المعروف عندهم أن لغته الأصلية هي العبرية أو السريانية .

واختلف الباحثون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل ، وهذا ما يقدح في تاريخيته وصحة نسبته إلى مؤلفه الأصلي ، كما لم يعرف مترجمه وهذه من الانتقادات التي وجهت لهذا الإنجيل .[3]

[1] محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، د ط ، دار الشهاب ، الجزائر ، د س ن ، ص 113

[2] المرجع نفسه ، ص 114

[3] المرجع نفسه ، ص 115 . 118

2 . إنجيل مرقص : واسمه يوحنا ويلقب بمرقص ، أصله من اليهود ولم يكن من الحواريين الاثني عشر من تلاميذ المسيح ، وقد اختاره المسيح كما يعتقد النصارى من بين السبعين الذين نزل عليهم الروح القدس ، وألهموا بالتبشير بالمسيحية .[1]

واللغة التي كتب بها هذا الإنجيل هي اللغة اليونانية ، واختلف الباحثون في تاريخ تدوينه بين 56 م وما بعدها أو 65 م وما بعدها .[2]

3 . إنجيل لوقا : ولد لوقا في أنطاكية ، ودرس الطب ومارسه ، ولم يكن يهودي الأصل ، وقد رافق بولس في أسفاره ، وقد اختلفوا في مكان مولده بين قائل بأنه ولد بأنطاكية وآخر يقول بأنه ولد بإيطاليا ، وكذلك اختلفوا في مهنته بين قائل بأنه كان طبيبا وقائل بأنه كان مصورا ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا تلاميذ حواريه .

4 . إنجيل يوحنا : كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا بن زبدي الصياد ، و يزعم النصارى أن المسيح كان يحبه إلى درجة أنه استودعه أمه عندما أرادوا صلبه ، وقد نفى بعض المحققين أن يكون هو الكاتب الحقيقي ، وإنما تمت كتابته على يد يوحنا آخر لا علاقة له بالأول .

وقد قيل بأنه هذا الإنجيل كتب من أجل تقرير ألوهية المسيح ، وذلك أن الكثير من فرق الشرق لم تعترف بهذه العقيدة ، فطلب من يوحنا كتابته لمواجهتهم .

ويعد هذا الإنجيل من أخطر الأناجيل ، لأنه تضمن العقيدة التي تؤله المسيح ، وكان بداية التأصيل للتثليث المسيحي .

ويختم أبو زهرة الفكرة بأن الأناجيل الثلاثة الأخرى لم تقرر ألوهية المسيح ، فجاء إنجيل يوحنا لإثباتها ، وقد مكث النصارى نحو قرن من الزمن لا يقرؤون في أناجيلهم عن هذه العقيدة ، وإنما كان الأساقفة يعتنقونها ، فلما أرادوا الاحتجاج على خصومهم اتجهوا إلى يوحنا ليجدوا ضالتهم .[3]

[1] محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص 118

[2] المرجع نفسه ، ص 120

[3] المرجع نفسه ، ص 122 . 127

المطلب الثاني: اختلاف النصارى حول طبيعة المسيح :

وهذه من أخطر المعضلات العقدية في تاريخ الكنيسة منذ عصور متقدمة، فقد اشتد الخلاف حول طبيعة المسيح منذ بداية القرن الثالث والرابع والخامس للميلاد، ونقرأ عن ذلك في تاريخ الفكر المسيحي ما يلي:

" ففي القرنين الأول والثاني كانت الكنيسة الناشئة موجودة في وسط يهودي ووثني، فحتى أعضاؤها كانوا من أصل يهودي ووثني، وعندما قبلوا المسيح كمخلص لهم ودخلوا في عضوية الكنيسة، أراد بعضهم ـ إن لم يكن معظمهم ـ الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، أو على الأقل البعض منها، فقد اعتبر بعض الوثنيين المتنصرين المسيح واحدا من الآلهة الكثيرة التي كانوا يعبدونها، كما أن البعض الآخر من اليهود رأى فيه إنسانا وإنسانا فقط، فقد اعتقد البعض أن المسيح جاء من فوق " [1] وغير ذلك من الآراء المختلفة حول طبيعة المسيح.

ونقرأ في نفس المرجع: " ولقد تعرضت الكنيسة في القرنين الثاني والثالث لموجة أخرى من الأسئلة عندما حاولت أن تشرح لليهود أولا وللوثنيين ثانيا أن يسوع المسيح ليس واحدا من الآلهة العديدة وليس إنسانا مجرد إنسان فقط، بل هو ابن الله. .. فهو اللوغوس أو الكلمة الذي صار جسدا، و أمام عقيدة اللوغوس أو الكلمة الذي صار جسدا ظهرت مشاكل عقائدية أخرى: من هو هذا اللوغوس ؟ هل هو الله ؟ أو جزء منه ؟ أوشبه إله ؟ هل هو ابن بالطبيعة أم بالتبني ؟ وهل طبيعته من طبيعة الله ؟ أم من طبيعة أخرى ؟ وما هي علاقة الآب بالابن ؟ ومن هو الأصل ومن هو الفرع ؟ ومن هو السابق ومن هو اللاحق للثاني ؟ ومن هو الأعظم ؟ لقد أثيرت كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى حول شخص الرب يسوع المسيح، وحاولت الكنيسة بدورها أن تقدم إيمانها وعقيدتها في شخص المسيح يسوع بأنه: ابن الله والمساوي له في الجوهر وفي الزمن وفي القدرة وفي المجد [2] "

---

[1] حنا جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي ، د ط ، دار الثقافة ، القاهرة ، د س ن ج 2 ، ص 54 . 55 .

[2] المرجع نفسه ، ص 55 .

وقد ظهر تياران مختلفان جول طبيعة المسيح: تيار يقول بالطبيعة الواحدة، وآخر بالطبيعتين كالآتي:

أ . التيار القائل بالطبيعة الواحدة: ويذهب أصحابه إلى أن للمسيح طبيعة واحدة ، وهي الطبيعة الإلهية .

" فلا يوجد إلا اللوغوس العامل والجسد المجرد من الروح البشرية، والاثنان . أي اللوغوس والجسد . يكونان وحدة واحدة، وهذا ما يدعى بتعليم الطبيعة الواحدة، ولقد اتبعت كنيسة الإسكندرية هذا التيار العقائدي في تعليمها. .. وآباء كنيسة الإسكندرية الذين تمسكوا . أولا وقبل كل شيء . بلاهوت اللوغوس وبحلول الله نفسه في الجسد نبروا بشدة على الوحدة الوثيقة بين اللاهوت والناسوت، فهم يؤمنون بأن الكلمة اللوغوس ابن الله أو الله نفسه حل في الجسد، وبحسب مفهوم الإسكندرية فإنه ليس في المسيح إلا طبيعة واحدة وأقنوم واحد، طبيعة الابن المتجسد " [1]

ب . التيار القائل بالطبيعتين: ويقول أصحابه بأن المسيح يتكون من طبيعتين: بشرية أو ما يطلقون عليه: الناسوت، وطبيعة إلهية ويطلقون عليه اسم: اللاهوت، فقد رأى أصحاب هذا المذهب في المسيح أنه " ابن الله وابن الإنسان، رأت فيه الطبيعة الإلهية كاملة: الله العظيم الذي كان يقوم بعمل المعجزات والآيات والقوات، كما رأت فيه أيضا يسوع الناصري الإنسان المتألم الذي يجوع ويعطش ويموت " [2]

ولهذه الأسباب التي شقت صف الكنيسة وكادت تقضي على كيانها عقدت المجامع المحلية والمسكونية.[3]

---

[1] حنا جرجس الخضري ، مرجع سابق ، ص 65 .

[2] المرجع نفسه ، ص 65 .

[3] المرجع نفسه ، ص 65 .

المطلب الثالث: المجامع المسيحية :

وقد عرفها أبو زهرة بقوله هي: " جماعات شورية في المسيحية قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم. .. والمجامع عندهم قسمان: مجامع عامة أو على حد تعبيرهم: مجامع مسكونية، أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة، والمجامع المكانية وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقسوسها إما لإقرار عقيدة، أو لرفض عقائد عامة " [1].

ومن أبرز هذه المجامع وأكثرها أثرا على عقيدة النصارى فيما يتعلق بشخص المسيح نذكر الآتي:

1 . مجمع نيقية (325 م): والسبب في انعقاد هذا المجمع أن الخلاف اشتد بين الطوائف المسيحية الأولى، وكان محور الخلاف دائرا حول شخص المسيح وحقيقته، هل هو مجرد إنسان جاء ليبلغ رسالة الله، أم أنه جزء من الذات الإلهية، هذا هو السبب العام لانعقاد المجمع، غير أن هناك سببا آخر خاصا وهو ما أسماه النصارى في تاريخهم ببدعة أريوس، وهو من دعاة المسيحية الأولى الذين رفضوا فكرة ألوهية المسيح وقالوا ببشريته، وقد تعرض هذا الأخير وأتباعه إلى الاضطهاد، وقد تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان في الأمر ليحسم الخلاف، ولكن دون جدوى مما استدعاه إلى عقد مجمع نيقية سنة 325 م، وفي ختام المجمع فرض الرأي القائل ببنوة المسيح لله، وبكونه جزءا منه، وجاء فرض هذه العقيدة مؤيدا بقوة السلطة السياسية لقسطنطين، وتم لعن المخالفين وإبعادهم، رغم أن القرار اتخذ من القلة في ظل معارضة الكثرة الحاضرة في المجمع. [2]

ويذكر أحمد شلبي أن بولس هو أول من نظّر لفكرة ألوهية المسيح حيث يقول : " وهكذا وضع بولس بذرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضا خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة ... وقد استمرت هذه الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة 313 م ، وفي خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال وفيها تناقض ظاهر في كل

---

[1] محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص 194 . 195

[2] المرجع نفسه ، ص 196 . 200

تعاليمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه ، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل ، ورآه آخرون إلها ، واشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية " [1]

و بعد احتدام النزاع واشتداد الخلاف قام إمبراطور الروم قسطنطين بجمع البطاركة والأساقفة في مجمع نيقية للفصل في هذا النزاع العقدي الخطير ، وقد أسفر المجمع عن ما يسمى بقانون الإيمان المسيحي وهذا نصه :

" نؤمن بالله الواحد الآب ، مالك كل شيء وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ، ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع ، إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شيء ، من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ، وحبل به وولد من مريم البتول ... وصلب أيام بيلاطوس ودفن ، ثم قام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه " [2]

وقد فرض هذا القانون على المسيحيين بقوة السلطان ، رغم أنه كان يمثل رأي الأقلية ، يقول شلبي : " ولم تكتف القوة بذلك بل فرضت هذا القرار فرضا على الناس وحرمت كل ما سواه ، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه ، وصادرت وأفنت كل ما كتب متجها غير هذا الاتجاه ، وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ومعاقبتهم بالنفي والتشريد عند اللزوم " [3]

ويشير أحمد شلبي إلى أن قرار مجمع نيقية لم يأت من فراغ ، بل انطلق من أسس فكرية تتبنى فكرة ألوهية المسيح ، حيث يشير أولا إلى أن الأثر الأكبر كان من نصيب الفلسفة الإغريقية التي تغلغلت إلى الفكر المسيحي في مراحل ضعفه فتسللت فكرة ألوهية المسيح وبنوته للآب .

ثم يضيف بأن القسس المسيحيين لا يقرون بذلك في أغلب الأحوال ، وإنما يعزون ذلك إلى ما ورد في نصوص كتبهم المقدسة عن المسيح .[4]

وقد كان لسلطة قسطنطين وسطوته دور كبير في فرض العقيدة التي أرداها وأتباعه ، وعن ذلك يقول أبو زهرة : " ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأي الذين رأوا

[1] أحمد شلبي ، المسيحية ، ط 10 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1998 ، ص 147

[2] المرجع نفسه ، ص 149

[3] المرجع نفسه ، ص 149

[4] المرجع نفسه ، ص 150

ألوهية المسيح ، فلقد يروى أن أولئك 318 لم يكونوا مجمعين على القول بألوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الإغراء بالسلطة الذي قام به قسطنطين بدفعه إليهم شارة ملكه ليتحكموا في المملكة أجمعوا ، وقد دفعهم حب السلطان إلى أن يوافقوا هوى قسطنطين ... فأمضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب أو هما معا ، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ورهبة الحكام " [1]

وقد فرض المجمع قرارات تقضي بأن تعاليم الديانة المسيحية لا تؤخذ من كتبها رأسا " بل لا بد من تلقيها من أفواه أولئك العلماء ورجال الكهنوت ، وأن أقوالهم في ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت ، وسواء أكانت الصواب أم جافت الحق ... وهو مخالف كل المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح المنصوص عليها " [2]

ويؤكد أبو زهرة بأن قرارات هذا المجمع الظالمة ـ والتي أرادت التضييق على الموحدين وعلى رأسهم أريوس ـ لم تتمكن من مصادرة العقيدة واقتلاعها من الجذور ، وذلك لأن " الآراء لا تنتصر بكثرة العدد ، بل بقوة الدليل وقوة تصور العقيدة وقوة الاقتناع بها ، وسهولة دخولها إلى العقل واستساغته لها " [3] وقد حاول الموحدون استمالة ابن قسطنطين بعد وفاة أبيه إلى التوحيد ولكن دون جدوى ، فانمحى أثر الطائفة الموحدة مع مرور الزمن أمام سطوة السلطة وفساد رجال الكنيسة .

[1] محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص201

[2] المرجع نفسه ، ص 201

[3] المرجع نفسه ، ص 205

2 . المجمع القسطنطيني الأول (381 م): مما تقرر في مجمع نيقية أن المسيح إله، وأنه ابن الآب وأنه جوهر قديم من جوهر الآب، ولكن المجمع لم يتعرض للروح القدس وحقيقته، فظهر خلاف آخر: هل هو إله أم روح مخلوق وليس إلها ؟ ، ومما يلاحظ " أن الإسكندرية التي كانت مهدا للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث، وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه، قوة المكون الأول (الآب)، والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس) تريد أن تفرض ذلك فرضا على المسيحيين، كما كانت العامل القوي في إعلان ألوهية المسيح، أخذ يجاهر رجل اسمه مقدونيوس بأن الروح القدس ليس بإله، ولكنه مخلوق مصنوع، وشاعت مقالته بين الناس. .. فاجتمع إلى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواده، وبلغوه أن العامة قد فسدوا فهم لا زالوا متأثرين بوحدانية أريوس "، " واتفقوا على لعن مقدونيوس، فلعنوه هو وأشياعه ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته " [1]

3 . مجمع أفسس الأول (431 م): وسبب انعقاده أن بطريرك القسطنطينية نسطور خالف في طبيعة مريم، وقال بأنها أم الإنسان وليست أم الإله، ويقول بأن المسيح ابن الله بالموهبة وليس بالحقيقة، وبهذا فإن نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح، وفي هذا المجمع تم لعن نسطور وأتباعه، وقرر فيه أن مريم هي والدة الإله وأن المسيح إله وإنسان في نفس الوقت، أي أنه ذو طبيعتين. [2]

4 . مجمع خلكيدونية (451 م): لم يحسم الخلاف في مجمع أفسس الأول حول طبيعة المسيح وأنه إله وإنسان في آن واحد، وبعد اشتداد الخلاف قرر المجمع أن للمسيح طبيعتان منفصلتان طبيعة الألوهية وحدها، وطبيعة الناسوت وحدها. [3]

وقد كان قرار هذا المجمع سببا في انقسام الكنائس بعد ذلك، وانفصال الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية. [4]

---

[1] محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص 206 . 208

[2] المرجع نفسه ، ص 209 . 210

[3] المرجع نفسه ، ص 211 . 212

[4] المرجع نفسه ، ص 214

ويذكر أبو زهرة أن التوحيد كان سائدا في عصور المسيحية الأولى حتى بعد انعقاد تلك المجامع ، وقد قسم عصور المسيحية إلى قسمين :

. **عصر التوحيد** : وينتهي بانعقاد مجمع نيقية .

. **عصر تأليه المسيح** : ويبتدئ بعد مجمع نيقية ، حيث فرض أباطرة الرومان الوثنية ، وتمكنوا من طمس معالم التوحيد .

وبناء على هذا الانقسام نشأت الفرق القديمة المسيحية ، وتنقسم أيضا إلى قسمين :

. فرق ظهرت في عصر التوحيد .

. فرق ظهرت في عصر تأليه المسيح وعصر التثليث [1].

[1] محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص 222 .

المطلب الرابع: النظام الكنسي وتكريس فكرة الوساطة :

وهنا سنرى الدور الكبير الذي لعبته الكنيسة في تحويل مسار النصرانية من كونها ديانة سماوية الأصل تعتبر المسيح عيسى بشرا ورسولا لا أكثر إلى اعتباره وسيطا بين الآب والبشر.

يقول أندرو ميلر: " لقد نشأ النظام الإكليركي وتقدم شيئا فشيئا، وإذ أدخل في الكنيسة المسيحية بدّل شكلها وغير حالتها كل التغيير، وبالإجمال قد صاغها في قالب الديانة اليهودية فتعددت الوظائف الكنسية ووضعت الفوارق والمميزات بين الرتب المختلفة، ومهما كان من الصعب أن نتتبع الكثير من تفاصيل نظام الإكليروس، إلا أنه لا ريب في أنه مأخوذ عن نظام المجمع اليهودي " [1]

ويقول في موضع آخر: " وقرب نهاية القرن الثاني طرأت حوادث في تاريخ الكنيسة أثرت كثيرا على ما كان لنظارها (أساقفتها) من التواضع والبساطة وأدت إلى إفساد النظام الكهنوتي " [2]

وبين الحين والآخر كانت تضاف مراسيم وعادات جديدة، وتشرع أحكام وتحدد أعياد وأيام مقدسة، وكان للبابوات ورجال الدين المسيحي الدور الأكبر في ذلك، ومما تم ابتداعه فكرة الاستحالة [3]، حيث نجد لها أول الأثر في القرن الثامن والقرن التاسع، واستمر الجدل الديني حولها إلى غاية انعقاد مجمع " لاتيران الرابع الذي عقد عام 1215 م، حيث عرضت على بساط البحث بين الأمور الأخرى المختلف عليها وتقرر إثباتها كأحد تعاليم كنيسة روما المسلم بها، أصدر هذا المجمع قرارا يثبت فيه أنه عندما ينطق الكاهن القائم بالخدمة كلمات التقديس تتحول عناصر الخبز والخمر المقدسة إلى مادة جسد ودم الرب يسوع المسيح. .. من ذلك الحين اكتسب خبز الأفخاريستيا صفة إلهية " [4]

ومما كان منتشرا في بعض أزمنة تاريخ المسيحية إقامة خدمات دينية عند أضرحة القديسين والشهداء، ومع مرور الزمن وانتشار الجهل والخرافة، أقيمت في القرن الرابع الميلادي كنائس فخمة فوق تلك القبور، بعد أن كانت قبورا عادية وبسيطة، وهذا بدوره ما فتح المجال أمام رجال الدين لإحكام السيطرة على عقول الأتباع، فاستغلوا الوضع ليوهموا المؤمنين بتأثير شفاعة القديسين، مما

---

[1] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 118 .

[2] المرجع نفسه ، ص 125 .

[3] يقصد النصارى بها : " ما يتناولونه في العشاء الرباني (**الأفخاريستيا**) تحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه " . (عادل درويش ، الكنيسة أسرارها وطقوسها ، ط 1 ، دار ابن حزم ، القاهرة ، مصر ، 1433 هـ . 2012 م ، ص 283) .

[4] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 292 .

جلب آلاف الزوار والمريدين إلى تلك الأضرحة، منهم من يريد رؤية المعجزات ومنهم من يريد تحقيق معجزة لنفسه، و آخرون يبتغون عندها الشفاء وطائفة تطرق باب الغفران والعفو. [1]

ويضيف أندرو ميلر قائلا: " والمسيحي الذي يؤمن بهذا لا يتجاسر مهما كان له من المواهب الروحية أن يتخذ لنفسه مقام القائد، وبذلك يأخذ مكان الروح القدس عمليا، ولكن عندما غاب هذا الحق عن الأذهان أخذ الناس يتخاصمون ويتنازعون على المناصب والرتب والسلطة والسيادة في الكنيسة، ولم يعد للروح القدس مقامه الحقيقي وسط الجماعة، وسرعان ما انقطع صوت الوحي في الكنيسة حتى سمعنا المعلمين الجدد يرفعون صوتهم عاليا طالبين بإلحاح تقديم أعظم فروض الإكرام وأسمى ألقاب الشرف للأساقفة، بينما لم ينطقوا بكلمة واحدة عن مقام الروح القدس وسلطانه في كنيسة الله " [2]

ومما هو معروف في تاريخ الكنيسة مدى قدسية آراء البابا وعدم قابليتها للمعارضة أو النقض، وفي ذلك نقرأ ليوسف الكلام قوله: " ويعد البابا أعلى مؤسسة دينية فهو على رأس الكنيسة وتعد قراراته غير قابلة لأي طعن نظرا إلى العصمة التي منح نفسه إياها، بل أعطى نفسه حق غفران الذنوب للناس، فيكفي أن يعترف المرء للبابا بذنوبه لتغفر " [3]

ويضيف في موضع آخر قائلا: " فقد كان البابا يجلس على قمة الهرم الكنسي، وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الشؤون الدينية، فهو خليفة القديس بطرس الذي هو خليفة المسيح لدرجة أن البعض كان يضفي عليه صفة العصمة " [4]

وإن من أبرز ما ساعد رجال الدين على هذا المسلك استغلال بعض أهل الحكم والسياسة كالملوك والأباطرة لقوة تأثير العاطفة الدينية على العامة، وذلك لأغراض متعددة من أكثرها تقوية الشوكة وإحكام السيطرة وزيادة النفوذ، وفي هذا الصدد يذكر أحمد شلبي حادثة تاريخية حيث يقول: " وفي سنة 445 م أصدر الإمبراطور قرارا يجعل رئيس أساقفة روما رئيسا عاما للكنائس المسيحية،

---

[1] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 294 .

[2] المرجع نفسه ، ص 119 .

[3] يوسف الكلام ، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس ، ط 1 ، دار صفحات للدراسات والنشر ، سورية ، دمشق ، 2009 ، ص 253 .

[4] عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، العلمانية في الفكر الإسلامي ، ط 1 ، دار السلام ، القاهرة ، 1427 هـ . 2006 م ، ص 27 . 28 .

وكان ذلك في عهد جريجوري العظيم رئيس أساقفة روما من سنة 440 م إلى سنة 461 م. ... وفي عهد هذا الرجل حدث حادث عظيم هو استيلاء هذا البابا على السلطة السياسية في روما، وظل السلطان السياسي في أيدي البابوات اثني عشر قرنا " [1]

ومن أجل سمعة رجال الدين وسلطتهم المطلقة " فقد حرص رجال اللاهوت في روما على أن يعلنوا للعالم أن البابا معصوم من الخطأ، ولم يجد مجلس الفاتيكان غضاضة في أن يصدر بهذا قرارا " [2]

وقد استمرت الكنيسة في هذا النهج، وكانت في ذلك تتحين الفرص ، " حتى أتيح لها ذلك عندما باركت شارلمان الفرنسي قيصرا مقدسا على الإمبراطورية الرومانية، وكان ذلك ليلة عيد الميلاد عام 800 م، وبذلك استطاعت الكنيسة البابوية أن تدخل مبدأ جديدا في السياسة، ألا وهو أن الملك أو الإمبراطور لا يعترف به إلا إذا قام البابا نفسه بمسحه وتعميده ووضع التاج على رأسه حتى يستوجب الطاعة والولاء من محكوميه " [3]

ثم تطور الأمر إلى أشد من ذلك، فقد منحت الكنيسة لرجل الدين صفة القداسة والعصمة المطلقة، " فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص إنه ليس بمسيحي صار كذلك، وإذا قال إنه مسيحي فاز بها فليس المعتقد حرا في اعتقاده. .. وهذا الأصل إن نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا " [4]

ومع مرور الزمن ساعد هذا الأمر في زيادة سطوة الكنيسة ونفوذها و تمكنها من زمام الثروة الطائلة، وقد أشار إلى ذلك أحمد شلبي في قوله: " وكانت الكنيسة غنية قوية فساعدها ذلك على ادعاء أن لها الحق في أن يمتد حكمها فيشمل جميع المسيحيين في كل البقاع، وأذاعت أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة، وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة، وأنه المشرع والمفسر

---

[1] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 99 .

[2] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، ط 1 ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1412 هـ . 1991 م ، ص 41 .

[3] عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، مرجع سابق ، ص 33 . 34 .

[4] محمد عبده ، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ، ط 3 ، دار الحداثة ، مصر ، 1988 ، ص 31 . 32 .

النهائي للكتاب المقدس، وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء، وجبت الكنيسة الضرائب وسيطرت على القضاء واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفيها " [1]

ومن أجل توسيع دائرة السيطرة وإحكام قبضتها، ابتدعت الكنيسة طرقا شتى لاستبعاد أي مخالف و إخراجه من دائرة الإيمان المسيحي، حيث " ظهرت قضية الوصاية الدينية في المسيحية عبر تاريخها الطويل بأشكال ومظاهر مختلفة من أشهرها مفهوم الهرطقة [2]، ومحاكم التفتيش ". [3]

وقد جاءت الإشارة إلى هذه السلطة في إنجيل متى: " وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذا الصخر سأبني جماعتي وأبواب هادس لن تقوى عليك سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فإن ما تربطه على الأرض يكون المربوط في السماوات وما تحله على الأرض يكون المحلول في السماوات " [4]

وقد تزايدت سطوة الكنيسة وسلطتها عبر الزمن، فقد سيطرت على الرأي العام المسيحي وفرضت تعاليمها بالقوة، وكل من خرج على هذه التعاليم يتعرض إلى أبشع أنواع التنكيل، ومن مظاهر هذه السيطرة ما عرف بصكوك الغفران، والتي يقول عنها أندرو ميلر:

" لقد كان المبعث الأول لهذا التعليم الجديد الخاص بصكوك الغفران هو اكتشاف معين لا ينضب أو كنز لا يفرغ في الكنيسة، يمكن بواسطته غفران الخطايا دون حاجة إلى التوبة وما يلازمها من أعمال قاسية ومذلة. .. وإن البابا يملك مفتاح هذا الكنز، ومنه يستطيع أن يهب الغفران للمذنبين"[5]

ويضيف قائلا: " يذكر التاريخ أن أول صك من صكوك الغفران الرسمية أصدرته كنيسة روما كان في أوائل القرن الحادي عشر، ولكن البدعة برزت بكل قوتها بواسطة الحروب الصليبية، ففي عام 1059 م أعلن البابا أوربان الثاني في كليرمونت الغفران المطلق لجميع الخطايا لكل من يشترك في الحرب المقدسة، ثم بعد هذه المدة أصبحت العادة منح غفرانات من درجة أقل " [6]

---

[1] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 99 .

[2] **الهرطقة** : وصف أطلق في تاريخ المسيحية على كل بدعة أو خروج عن المعتقد الكنسي الرسمي " والهرطقة التي حاربتها الكنيسة هي كل فكر أو اعتقاد تراه الكنيسة مخالفا لها " (عادل درويش ، الكنيسة أسرارها وطقوسها ، مرجع سابق ، ص 96) .

[3] نزار يوسف ، مرجع سابق ، ص 132 .

[4] متى ، الإصحاح 16 ، الفقرة : 18 . 19 .

[5] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 301 .

[6] المرجع نفسه ، ص 302 .

وأما ما عرف في تاريخ المسيحية عن محاكم التفتيش فإنه " قبل عهد قسطنطين أي قبل اتحاد الكنيسة والدولة كانت الهرطقة وما إليها من الجرائم الروحية تعاقب بالحرمان فقط، ولكن بعد موته بقليل تقررت العقوبات الأخرى بما فيها الإعدام. .. وقد كان بريشليان الإسباني أول هرطقي أعدم حوالي 385 م، وجاء جستنيان عام 529 م وأصدر قانونا جنائيا ضد الهرطقة، وكلما كانت تتعاقب القرون كانت الإجراءات ضدهم تتزايد في الشدة والصرامة، حتى جاء القرن الثالث عشر حينما تقررت محكمة التفتيش رسميا واتخذت صفتها القانونية، وعندئذ أصبحت محكمة جنائية مهمتها تعقب الهراطقة ومحاكمتهم بتهمة الهرطقة والارتداد وجرائم أخرى ضد الإيمان الرسمي " [1]

وكان هذا الإجراء القاسي يلاحق كل من خالف الكنيسة حتى من المسيحيين أنفسهم، " أما محاكم التفتيش فهي مؤسسة قضائية بابوية كانت مهمتها في الأصل اكتشاف الهرطقة والتنكيل بالهراطقة وبالمشتغلين بالسحر والكيمياء. .. وكذا ملاحقة اليهود والمسلمين. .. كما حاربت محاكم التفتيش العلماء والباحثين " [2]

يذكر توفيق الطويل أنه: " منذ القرن الرابع بدأت هذه السلطة تتهيأ لرجال الإكليروس، وسرعان ما أصبح في مقدورهم أن ينالوا من خصومهم شر منال، ولكن العقل الأوربي كان واهنا قد طمست الشيخوخة عبقريته وأفقدته القدرة على اقتحام المصاعب فاستطاب الاستعباد قرونا وأجيالا. .. ولكن الصراع لم يبد عنيفا حامي الوطيس إلا في عصر النهضة. .. فلم يكن من الميسور للسلطات الدينية أن تصطبر على أتباع هذه الحركات. .. فنزعت إلى اضطهاد العقل ومناصبة أهله العداء. .. وكانت محاكم التفتيش التي نشأت قبل ذلك عنوان هذه الوحشية الآثمة فطاردت أحرار الفكر في العالم الكاثوليكي طولا وعرضا " [3]

وقد ساعدت السلطة السياسية في عهد الإمبراطور قسطنطين الأكبر على استتباب قوة الكنيسة " فعلى الرغم من مشاركة قسطنطين الكهنة في فض منازعاتهم العقدية إلا أنه فتح الباب أمام بعضهم لمشاركته في أمور الحكم والتشريع إيذانا بالخلط بين السلطتين، غير أن هذه العلاقة لم تكن مستقرة ويرجع ذلك إلى تحول أهواء الساسة وتباين مصالحهم " [4]

---

[1] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 346 .

[2] نزار يوسف ، مرجع سابق ، ص 136 . 137 .

[3] توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، د ط ، مكتبة الآداب ، مصر ، د س ن ، ص 8 . 9 .

[4] عصمت نصار ، مرجع سابق ، ص 118 .

وكانت بدايات محاكم التفتيش أو ما أطلق عليه أيضا ديوان التحقيق منذ عام 1223 م، حيث قام البابا غريغوري التاسع بإنشاء محكمة التفتيش، وقد مكن لهذا النظام أمر أصدره البابا إنوسنت الرابع سنة 1252 م، و شكل ذلك أنموذجا خطيرا من تاريخ الاضطهاد الديني في تاريخ المسيحية، " وقد اختير الرهبان وفوضت إليهم سلطة البابا في اكتشاف الملحدين، وكانت سلطتهم مطلقة غير محدودة، لأنهم أعضاء في ديوان التحقيق، وكانوا لا يخضعون لرقابة ولا يسألون عما يفعلون " [1]

ويصف أندرو ميلر بعضا من طريقة عمل هذه المحاكم فيقول: " فعندما كان يشتبه في أي إنسان اشتباها بسيطا بأنه هرطقي كانت الجواسيس تسلط عليه في الحال، يتبعون حركاته ويعدون عليه أنفاسه لعلهم يصلون في وقت ما إلى علة مهما كانت بسيطة يستندون عليها في القبض عليه وتسليمه لهيئة المحكمة المقدسة. .. في منتصف الليل البهيم كان الباب يقرع والأمر يصدر للرجل المشبوه بأن يرافق رسل المحكمة المقدسة " [2]

وقد قامت محاكم التفتيش بعملها حق القيام " ففي مدة 18 سنة من 1481 إلى 1499م حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء، فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق فشهروا وشنقوا، وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت، ثم أحرقت كل توراة بالعبرية " [3]

وكانت محاكم التفتيش تتابع المخالفين والمارقين وتدفعهم إلى العدول عن أفكارهم، فإذا رفضوا ذلك تولت السلطة التنكيل بهم بالتعذيب أو الإعدام أو الإحراق. [4]

و بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، أخذت الكنيسة تستحوذ على سلطات واسعة النطاق " وكان المسيحيون الغربيون يعتقدون أن كنيسة روما قد انفردت من بين سائر الكنائس بأن منشئها رسول هو الرسول بطرس أعلى الرسل مكانة في نظر المسيح وأتباعه، وكانت روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، ومن هنا نشأت أسبقية كنيستها على غيرها من الكنائس في غربي أوربا. .. وأصبحت كنيسة روما مركز السلطة الدينية. .. وقد التمس بعض رجال الكهنوت لأنفسهم سلطة تيسر لهم أسباب الاضطهاد، ونزعوا إلى استغلال السلطات المدنية في تحقيق مقصدهم، فطالبوا

---

[1] توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 36 .

[2] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 347 .

[3] محمد عبده ، مرجع سابق ، ص 45 .

[4] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 40 .

بفرض نوع التربية التي يأخذ بها التلامذة في مدارسهم ومصادرة الكتب التي لا تساير نزعاتهم، وإقصاء المعلمين المارقين عن وظائفهم، ونفي المفكرين الذين يخطئهم التوفيق في إرضاء رجال الكهنوت. .. بل نزعوا إلى التنكيل بالمارقين ليكونوا عظة لكل من ضل سواء السبيل " [1]

ويضيف توفيق الطويل بقوله: " ويوم كانت السلطة في يد خصوم المسيحيين لم يظهر التعصب بشكل واضح إلى أن تهيأت أسباب السلطة للكنيسة المسيحية، حينها برز وجه آخر تجلى في التزمت والاضطهاد. .. ومنذ اللحظة التي ظفرت فيها الكنيسة بسلطة مدنية في عهد قسطنطين دخل مبدأ الكبح العام واستمر عشرة قرون شداد، رسف فيها العقل والقلب في الأغلال، وعانى من قسوته اليهود وعباد الأوثان كثيرا " [2]

" وقد ظهرت في القرنين الرابع والخامس في الكنيسة المسيحية طائفة دينية هي الدوناتيست شايعوا الاضطهاد وأكبروا من شأن الشهداء الذين اشتدوا في معاملة المارقين. .. أما عن الهراطقة ممن أسلفنا ذكرهم من الدوناتيست وأتباع أريوس، فقد قضت القوانين بهدم كنائسهم ومصادرة اجتماعاتهم ونفي كهانهم وإحراق كتاباتهم، فمن أخفى ما كتب كان الإعدام مصيره " [3]

و هذا الاضطهاد نابع من فكرة مسيحية روجت لها الكنيسة مفادها أنه لا سبيل للخلاص إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها، وأن من خالف ذلك حلت عليه اللعنة الأبدية، و من هذا المنطلق العقدي قامت الكنيسة الكاثوليكية باضطهاد المخالفين والتنكيل بهم بأبشع الصور ويلحق هذا التنكيل بكل " من أبى الإذعان للكثلكة، واعتبرت الهرطقة أعظم خطيئة لا يقاس ما يبتلى به أصحابها في الدنيا من صنوف الآلام بما ينتظرهم من عذاب الجحيم " [4]

وقد مهد لنظام الاضطهاد وكبح كل مخالف البابا إنوسنت الثالث وذلك في مطلع القرن الثالث عشر، " ففي سنة 1208 م إلى سنة 1209 م أصدر مجلس أفنيون قرارا دعا فيه القساوسة إلى مطالبة السلطة المدنية باستئصال الهرطقة، وهدد البابا إنوسنت كل أمير يرفض الاستجابة لهذه الدعوة بإصدار قرار الحرمان ضده " [5]

---

[1] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 56 .

[2] المرجع نفسه ، ص 60 . 62 .

[3] المرجع نفسه ، ص 65 .

[4] المرجع نفسه ، ص73 .

[5] المرجع نفسه ، ص 76 . 77 .

كما أن التضييق والإبادة شملت غير المسيحيين، فقد أذاقت محاكم التفتيش في إسبانيا كل من يخرج عن التعاليم الرسمية أشد صنوف العذاب، فقامت باضطهاد اليهود والمسلمين بعد محاولتها إقناعهم بالارتداد عن دينهم واعتناق المسيحية، فلما فشلت في ذلك بذلت قصارى جهدا في استئصال شأفتهم وإبادتهم بكل وحشية وقوة، و بين عامي 1609 إلى 1610 م، تم إجلاء ألوف المسلمين عن إسبانيا بدموية بشعة. [1]

ونختم هذا المطلب بفكرة مفادها خطورة تحالف رجال الدين المنحرفين مع أهل الحكم الفاسد وما ينتج عنه من انحراف خطير يقيد حرية المعتقد والتفكير، وفي هذا السياق يقول جورج طرابيشي :

" والعقيدة الصراطية المسننة التي بنت تطابق الدين والدولة، تؤسس إلزاميتها على سلطة مزدوجة دينية وسياسية معا، ففي تلك القرون الوسطى التي كان الدين يقوم فيها مقام أيديولوجيا شمولية كان قرار الحرم أو التكفير ولو مقيدا باستتابة، هو أخطر قرار من نوعه يمكن أن يتخذ ضد إنسان فرد. .. أما المحروم كنسيا أو المكفر بفتوى فقهية، فلا تترك له حرية أو فرصة حياة. .. وكما تجد العقيدة الصراطية المسننة في المجامع سلطة تشريعية، فإنها تجد في الدولة وأجهزتها سلطة تنفيذية " [2]

---

[1] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 81 .

[2] جورج طرابيشي ، مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ، ط 1 ، دار الساقي ، بيروت . لبنان ، 1998 ، ص 46 . 47 .

المطلب الخامس: الأسرار الكنسية

وهي من الأمور التي تزيد النظام الكنسي غموضا وانغلاقا على نفسه، حيث لا يمكن لأي من العامة الاطلاع عليها ومعرفة حقيقتها، بل لا بد عليه أن يذعن إذعانا تاما لرجال الدين ويتبع اتباعا مطلقا لهم، وهذا ما يكرس فكرة الوساطة بوضوح في الفكر الديني المسيحي.

وقد ورد معناها في قاموس الكتاب المقدس كالآتي: " وردت كلمة سر في العهد الجديد بمعنى: حقيقة روحية عميقة لا يقدر إنسان أن يدركها بعقله الطبيعي ولا بفكره الجسدي، كما أنه لا يقدر أن يفهمها فهما صحيحا في هذا العالم لأنها تفوق الإدراك الطبيعي " [1]

و يقول حبيب جرجس عن أسرار الكنيسة: " ينتج من ذلك أن الرب يسوع أنشأ الأسرار ومنحها، وشاءت إرادته أن يوزعها في كنيسته بواسطة خدام أقامهم ووعدهم بأن يكون معهم في كل الأيام " [2]

كما جاء في رسالة بولس إلى أفسس: " وهو أعطى بعضا كرسل وبعضا كأنبياء وبعضا كمبشرين وبعضا كرعاة ومعلمين لأجل إصلاح القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح " [3]

ويقول حبيب جرجس: " وهؤلاء الذين يقامون لخدمة الكنيسة وتوزيع نعم الله وبركاته وأسراره التي أنشأها يمتازون عن باقي الشعب بهذه الرتبة بمقتضى الترتيب الإلهي، وينالون هذه الموهبة بواسطة طقس احتفالي بوضع اليد عليهم، وهذا ما يسمى بسر الكهنوت أو سر الدرجة " [4]

ومن الأسرار التي زادت نظام الكنيسة سطوة وغموضا نذكر الآتي:

1 . سر المعمودية: جاء في قاموس الكتاب المقدس أن المعمودية هي: " طقس الغسل بالماء رمزا للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها. .. ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية. .. إذ أنه جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة، وعلى الانتساب رسميا إلى كنيسة المسيح...

---

[1] بطرس عبد الملك وآخرون ، قاموس الكتاب المقدس ، مرجع سابق ، ص 464 .

[2] حبيب جرجس ، مرجع سابق ، ص 151 .

[3] أفسس ، الإصحاح 4 ، الفقرة : 11 . 12 .

[4] حبيب جرجس ، مرجع سابق ، ص 152 .

ويصرح الله للمعتمد بواسطة هذه العلامة بغفران الخطايا ومنح الخلاص. .. أي أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته " [1]

وتكون طريقة أداء هذا الطقس كالآتي: " تمارس الكنيسة الأرثدوكسية سر المعمودية بتغطيس المعمد ثلاثا في الماء باسم الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس، وفي بعض الكنائس الأخرى يجرى التعميد بالاكتفاء برش الماء ثلاثا بدل التغطيس كاملا في الماء " [2]

جاء في إنجيل متى: " فاقترب يسوع وكلمهم قائلا: دُفعت إلي كل سلطة في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا أناسا من جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " [3]

" ولم ترد صيغة التعميد الواردة في النص " باسم الآب والابن والروح القدس " في التاريخ الكنسي إبان فترة عصر التلاميذ ولا يوجد نص يماثل هذه الصيغة في كل أسفار العهد الجديد " [4]

2 . سر الميرون: ويكون عن طريق المسح بزيت مقدسة و " يرتبط سر الميرون بسر المعمودية، فبعد صبغ المرء بصبغة الكنيسة عن طريق سر المعمودية لجأت الكنيسة بزعمها إلى تثبيت المعمدين في دين الكنيسة عن طريق سر الميرون، ويطلق على هذا السر أيضا سر دهن المسحة المقدسة، والمسح بالزيت المقدس هو من أجل تثبيتهم على المسيحية ، ولتسهيل عملية حلول الشبح المقدس أو الروح القدس كما جاء في الترجمات العربية في أجساد المعمدين حسب قول الكنيسة ، وبدون المسح بالزيت زيت الميرون تكون المعمودية ناقصة. .. وزيت الميرون لا يحق حمله إلا للكهنة فقط ، بشرط أن يكونوا صائمين إكراما لهذا السر العظيم " [5]

3 . سر الاعتراف: وفي هذا السر تجسيد لمبدأ الوساطة الكهنوتية بوضوح، وصورته أن :

" المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب، فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكنه منذ سنة **1215** م أصبح لازما مرة واحدة على الأقل " [6]

---

[1] بطرس عبد الملك وآخرون ، مرجع سابق ، ص 637

[2] جمال الدين شرقاوي ، مرجع سابق ، ص 4 .

[3] متى ، الإصحاح 18 ، الفقرة : 18 ـ 19 .

[4] جمال الدين شرقاوي ، مرجع سابق ، ص 103 .

[5] المرجع نفسه ، ص 115 . 116 .

[6] محمد عزت الطهطاوي ، النصرانية والإسلام ، د ط ، د م ن ، د س ن ، ص 66 .

جاء في إنجيل يوحنا: " فقال لهم يسوع ثانية سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضا قال هذا ثم نفخ عليهم وقال لهم خذوا روحا قدسا من غفرتم خطاياه غفرت لهم ومن أمسكتموها لهم أمسكت " [1]

و" يزعم المسيحيون أن الوحيد القادر على غفران الخطايا هو الآب، ولكن عن طريق دم ابنه يسوع المسفوك على الصليب، وإنما كاهن الكنيسة جزء من جسد المسيح الذي هو الكنيسة، والتي يمثل المسيح رأسها، فلن يغفر الآب الخطايا بدون الإيمان بدم يسوع المسفوك على الصليب، وبدون وجود الكاهن أمام التائب المعترف. .. ولا يعترف البروتستانت بسر الاعتراف على يد الكاهن " [2]

" وقد استغلت الكنيسة في وقت مضى هذا السر وتمادى بها الأمر إلى أن عرف بقضية صكوك الغفران، وهو أن يشتري المذنب صكوك الغفران بدلا من الاعتراف أمام الكاهن، وبذلك تغفر له جميع الذنوب ويتخلص من جميع التبعات التي في ذمته، وكما يملك الكهنة حق الغفران فهم يملكون أيضا حق الحرمان " [3]

4 . سر الكهنوت: " ولهذا السر علاقة وطيدة بسر الاعتراف، وهو تاج الأسرار الكنسية، والكاهن عندهم له منزلة النبي، وامتيازات أكثر من الأنبياء، فهو مؤتمن على أسرار الدين وأنه يغفر الذنوب للناس وهي درجة لا ينالها حتى الأنبياء " [4]

و " من التقاليد المعمول بها في الكنيسة القبطية الأرثدوكسية إكرام صور وتماثيل القديسين وبقاياهم والاستشفاء بها " [5]

" ولكن الإله أراد أن يكون كهنوت مسيحي خصوصي في كنيسة العهد الجديد كما كان في كنيسة العهد القديم كهنوت خصوصي بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام، ولذلك إلى وقت صعود المسيح كان الرسل وحدهم خَدَمة الدين الذين فُوِّضوا ليخدموا في كنيسته، ولأجل دوام هذه الخدمة أعطى المسيح أو الروح القدس الرسل سلطانا ليسلموا إجراء هذه الخدمة بواسطة وضع اليد أي الرسالة. .. فكل متوظف في الكنيسة من الرسل إلى الشماس أفرز إلى خدمة وظيفته بوضع

---

[1] يوحنا ، الإصحاح 20 ، الفقرة : 21 . 23 .

[2] جمال الدين الشرقاوي ، مرجع سابق ، ص 119 . 120 .

[3] المرجع نفسه ، ص 121 .

[4] المرجع نفسه ، ص 170 .

[5] المرجع نفسه ، ص 37 .

الأيدي هذا. .. وفي الرسائل الرعوية نجد أن وضع اليد لنقل هذا السلطان هو الواسطة المعتبرة لإبقاء خدمة خدام الدين في الكنيسة " [1]

و في حقيقة الأمر أنه " لا يوجد في العهد الجديد كهنوت خاص لفئة معينة من البشر المؤمنين بالكنيسة دون غيرهم، فلا كهنوت خاص إلا بالرب يسوع المسيح الإنسان الكامل والإله الكامل في نفس الوقت، ورئيس الكهنة الحقيقي والأوحد الذي يخدم تحت رئاسته جميع المؤمنين ككهنة روحيين يقدمون ذبائحهم الروحية لله.. لذلك فإن وجود كهنوت خاص بالكنيسة هو تعدي على الكهنوت الخاص الوحيد الذي للمسيح وسرقة وسلب لمكانته وكرسيه الخاص به كالملك ورئيس الكهنة الأوحد بالكنيسة " [2]

جاء في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس " فلهذا السبب عينه أذكرك أن تضرم موهبة الله التي فيك بوضع يدي عليك " [3]

وجاء في رسالة بطرس الأولى: " تُبنَونَ أنتم أيضا كحجارة حية بيتا روحيا لتكونوا كهنوتا مقدسا لتقربوا ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح " [4]

وفي موضع آخر: " وأما أنتم فجنس مختار كهنوت ملكي أمة مقدسة " [5]

وللكهنوت درجات ثلاث " الأولى درجة الأسقف وهي العليا، والثانية درجة القس وتخضع للأولى، والثالثة درجة الشماس وهي الأخيرة " [6]

و " إن خادم سر الكهنوت هو الأسقف وحده الذي له حق الشرطونية " وهي ما يسمى بوضع اليد. [7]

يقول البابا شنودة الثالث في كتابه الكهنوت: " كذلك في العهد الجديد كل إنسان يستطيع أن يقدم ذبيحة الحمد، وذبيحة التسبيح وذبيحة العطاء والتوزيع، ويقدم جسده ذبيحة حية ويرفع يديه

---

[1] حبيب جرجس ، مرجع سابق ، ص 167 . 168 .
[2] المرجع نفسه ، ص 57 .
[3] تيموثاوس 2 ، الإصحاح 1 ، الفقرة : 6 .
[4] بطرس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 . 6 .
[5] بطرس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 9 .
[6] حبيب جرجس ، مرجع سابق ، ص 177 .
[7] المرجع نفسه ، ص 183 .

كذبيحة مسائية، ولكن هل يجرؤ أحد أن يقدم الذبيحة التي هي جسد الرب ودمه في سر الإفخاريستيا، والتي بها يدعى الكاهن كاهنا في العهد الجديد ؟ مستحيل هو ذا القديس بولس الرسول يقول عن كهنوت العهد الجديد: " وليس أحد يأخذ هذه الكرامة من تلقاء ذاته بل من دعاه الله كما دعا هارون " [1]، إن كان المدعو من الله هو الكاهن، إذن الكهنوت ليس لكل ولا يدعيه كل أحد " [2]

ويقول في موضع آخر: " وإن كان السيد المسيح يقدم جسده ودمه في كل جيل لكل مؤمن، فهل يفعل هذا بنفسه أم عن طريق رسله ووكلائه الذين يمتد فيهم العمل الكهنوتي. .. إذن لا بد من كهنة يصنعون هذا لذكره، ويقدمون جسده ودمه لسائر المؤمنين في سر الإفخاريستيا المقدس، ثم من قال إن الكتاب لم يذكر كاهنا آخر سوى المسيح ؟ " [3]

و يقول القديس بولس في رسالته إلى روما: " لأقوم بالعمل المقدس إعلان بشارة من الله كخادم للمسيح يسوع لدى الأمم فيصيروا قربانا مقبولا عند الله قُدّسَ بروح قدس " [4]

ويضيف شنودة عن سر الكهنوت والقربان المقدس قائلا: " وما دامت هناك ذبيحة بدم مسفوك وجسد مكسور مبذول، إذن لابد من وجود مذبح، والمذبح يحتاج إلى خادم للمذبح، أي إلى كاهن هو الذي يقدم الذبيحة، على أن هناك نقطة هامة جدا في هذه الذبيحة وهذا الدم المسفوك، وهي أن ذلك لمغفرة الخطايا " [5]

و جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس " لأنه يوجد إله واحد ويوجد وسيط واحد بين الله والناس وهو الإنسان المسيح يسوع الذي بذل نفسه فدية معادلة عن الجميع " [6]

يقول القس حنا جرجس الخضري: " إذن أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم لكي يخلص الإنسان ويحرره، وبموته على الصليب تمت عملية المصالحة بين الله البار والإنسان الخاطئ العاصي في شخص

---

[1] عبرانيين ، الإصحاح 5 ، الفقرة : 4 .

[2] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق، ج 1 ، ص 13 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 19 . 20 .

[4] روما ، الإصحاح 15 ، الفقرة : 16 .

[5] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 21 .

[6] تيموثاوس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 . 6

الرب يسوع المسيح، لقد مات المسيح على الصليب لكي يعيد السلام بين السماء والأرض " [1]

وقد جاء في إنجيل متى: " وفيما هم يأكلون بعد أخذ يسوع رغيفا وطلب بركة ثم كسره وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا يمل جسدي وأيضا أخذ كأسا وشكر ثم أعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم فإن هذه تمثل دمي الذي للعهد الذي يسكب من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " [2]

ومن الطقوس الكهنوتية ما يسمى بوضع اليد، يقول البابا شنودة: " وهنا نرى عجبا يرينا أهمية الكنيسة كقناة شرعية يمر بها الخدام أمامنا شخص مملوء من الروح القدس والحكمة، ومملوء من الإيمان والقوة ويصنع عجائب وآيات عظيمة، ولكن كل هذه المؤهلات لا تكفي لأن يبدأ الخدمة من ذاته، بل ترسله الكنيسة أولا يمر في القنوات الشرعية التي قررها الإنجيل، توضع عليه اليد وحينئذ يأخذ وضعه الشرعي في الكنيسة، ويأخذ سلطانا للخدمة وحينئذ فقط يبدأ خدمته " [3]

جاء في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: " لا تضع يديك أبدا على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين " [4]

يشرح البابا شنودة هذا النص فيقول: " أي لا تمنح الكهنوت بوضع يدك في عجلة لمن هو غير مستحق " [5]

ويقول أيضا: " إذن الكهنوت هذا هو وضع إلهي أسسه الرب بنفسه وبدأه بالرسل بأشخاص اختارهم بنفسه، ورسم لهم عملهم وعين لهم المكان الذي يعملون فيه، وأعطاهم سلطانا وبركة " [6]

وقد استدل بما ورد في سفر متى: " واستدعى تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطة " [7]

وعن خدمة الكرازة يقول البابا شنودة الثالث: " إن خدمة الكلمة خدمة الكرازة ليست أمرا يتطفل عليه أي إنسان، إنما هي لأشخاص معينين ائتمنهم الرب على هذه الخدمة " [8]

وجاء في إنجيل متى: " الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون المربوط في السماء

---

[1] حنا جرجس الخضري ، مرجع سابق، ج 3 ، ص 139 .

[2] متى ، الإصحاح : 26 ، الفقرة : 26 . 28 .

[3] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 30 .

[4] تيموثاوس 1 ، الإصحاح 5 ، الفقرة : 22 .

[5] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 34 .

[6] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 42 .

[7] متى ، الإصحاح 10 ، الفقرة : 1 .

[8] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 43 .

وما تحلونه على الأرض يكون المحلول في السماء " [1]

وعن خصوصية سر الكهنوت واقتصاره على فئة من المسيحيين يقول شنودة: " ولعله مما تجدر ملاحظته أن الكهنوت في العهد الجديد كما في العهد القديم، هو لجماعة مميزة وليس لجميع الناس. .. جماعة مميزة بدعوة ومسحة واختيار وإرسالية ووضع يد وصلوات واشتراطات خاصة، وجماعة لها درجات ولها ألقاب ولها اختصاصات ليست لجميع الناس " [2]

ويستدل ببعض ما ورد في نصوص الكتاب المقدس موظفا إياه كدليل على أصالة هذا السر في المسيحية فيقول: " والدليل الكتابي على أن الرسل وخلفاءهم مارسوا هذا السلطان، وكانوا يتقبلون اعترافات الناس " [3]

فقد ورد في سفر أعمال الرسل: " وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون فيعترفون بممارساتهم ويخبرون بها جهرا " [4]

يقول شنودة: " فإذا اعترف الخاطئ بخطيئته وأظهر توبته عنها وعزمه على تركها يعلن له الكاهن مغفرة هذه الخطية. .. ولا يكون الكاهن مصدر المغفرة، بل هو وكيل ووسيط ينقل توبة الخاطئ إلى الرب، ويكون هذا عن طريق صلاة تسمى صلاة التحليل، وللكاهن سلطان يستخدمه هنا كصلاة"[5]

ولأن العقل البشري السليم لا يقبل فكرة توسط بشر مثله بينه وبين الرب، فقد صبغت الكنيسة هذه الفكرة بصبغة فلسفية تحاول تمريرها إلى الناس وإقناعهم بها، وفي ذلك يقول حنين عبد المسيح: " فلكي يقوم المسيح بدور الشفيع والوسيط للإنسان عند الله، كان لا بد له أن يتجسد ويصير إنسانا لكي يمر بها الإنسان ويجرب كل ما يجربه الإنسان ما خلا الخطية وحدها، حتى يرثي له ويشفع له عند الله بقلب شفيق شاعرا بظروفه وواقفا في صفه أمام الله " [6]

---

[1] متى ، الإصحاح 18 ، الفقرة : 18 .

[2] البابا شنودة الثالث ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 49 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1، ص 111 .

[4] أعمال الرسل ، الإصحاح 19 ، الفقرة : 18 .

[5] البابا شنودة ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 118 . 119 .

[6] حنين عبد المسيح ، مرجع سابق ، ص 38 .

ويقول أيضا: " فالمسيح وحده هو الذي استطاع أن يفدي كل البشر ويدفع ثمن خطاياهم. .. والمسيح وحده الذي يملك دفع ثمن خطايانا وخطايا الجميع من دمه غير المحدود في قيمته، لذلك فالكاهن الشفيع والوسيط الوحيد الحقيقي بين الله والناس هو الرب يسوع المسيح " [1]

[1] حنين عبد المسيح ، مرجع سابق ، ص 40 .

المطلب السادس: البروتستانت وفكرة الوساطة الكهنوتية:

تعدّ البروتستانتية [1] حركة إصلاحية داخل المسيحية، وقد عارضت النظام الكنسي في بعض المبادئ، والتي من أبرزها فكرة احتكار رجال الدين لفهم نصوص الكتاب المقدس وتفسيرها، حيث دعت إلى الاكتفاء بالكتب المقدسة ورفض ممارسات الكنيسة مثل: " غفران الذنوب، والاتجار بصكوك الغفران، وثواب الآخرة وسعادتها، واتجه المصلحون إلى نقد الطقوس الدينية والاعتراف وعبادة القديسين وغير هذا مما هو معروف عن حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، ومن أبرز رجالات هذا التيار مارتن لوثر 1546 م، وزونجلي 1531 م، وكلفن 1564 م " [2]

ولم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي أمام البروتستانت، بل واجهت بكل ما أوتيت من قوة وجبروت متخذة أسلوب الحرمان والتضييق ديدنا لها كما حدث مع كل المخالفين و " عندما أعلن لوثر على باب الكنيسة في ألمانيا بطلان الصكوك التي تبيعها الكنيسة للناس لتغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، أشار البابا على رجاله بأن يردوه عن غيه وزيغه بالحجة المقنعة، فلم يزده جدلهم إلا إصرار وامتدت ثورته إلى البابوية نفسها، فأعلن أنها بدعة خلا منها عهد الرسل الأولين، وطالب بإخضاع الكنيسة للسلطات الدنيوية. .. فبادر البابا بإصدار قرار الحرمان ضده، وأعلنت الكنيسة إهدار دمه وحذرت المؤمنين من قراءة كتاباته " [3]

---

[1] **البروتستانتية** : " **البروتستانت** : وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية ، وقصد بهذه التسمية إلى أن أتباع هذه الكنيسة يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ولا تختص بفهمه طائفة دون أخرى ... وبهذا الاتجاه يعارضون الكنائس الأخرى التي تعتبر فهم الإنجيل وقفا على رجال الكنيسة " أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : 241 .

[2] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، مرجع سابق ، ص 92 .

[3] المرجع نفسه ، ص 94 . 95 .

إلا أن الملاحظ بعد ذلك أن عدوى احتكار الإيمان و فهم النصوص المقدسة أصابت التيار البروتستانتي هو الآخر، وعن ذلك يقول توفيق الطويل: " على أن التيار البروتستانتي الذي ناهض الكاثوليكية [1]ورفض اضطهادها وسطوتها، ما لبث أن وقع في نفس الخطأ لما استبد بالأمر وتيسرت له أسباب السيطرة والسلطة، فقد مثلوا نفس الدور الذي مر به خصومهم من الكاثوليك من قبل" [2]

ويضيف توفيق الطويل بقوله: " وإذا كان لوثر قد احتج على كبح الآراء و إحراق الملحدين، فقد كان هذا يوم كان يخشى أن يكون مع جماعته ضحية هذا الاضطهاد الكنسي الدامي، فلما أمن شر خصومه وقوي مركزه وتوطد نفوذه أعلن رأيه الصحيح، فأوجب على الدولة أن تفرض ما يبدو لها رأيا سليما وأن تستأصل الهرطقة لأنها رجس من عمل الشيطان، وأوجب على الناس أن يطيعوا أميرهم في أمور دينهم ودنياهم على السواء، وصرح بأن غاية الدولة حماية الدين من المارقين، وجاهر بإعدام طائفة منكري التعميد anabaptists ، بالسيف بعد انسلاخها عنه، وبهذا أدت عقيدة الخلاص إلى نتيجة واحدة عند الكاثوليك والبروتستانت على السواء " [3]

كما أن البروتستانتية اتخذت أسلوب التصفية الجسدية للمخالفين لعقيدتها وذلك بالإعدام، إضافة إلى وقوفها بكل عنف وشراسة ضد الحركة العلمية متبنية في ذلك قانون التكفير والحرمان. [4]

---

[1] **الكاثوليكية** : " الكاثوليك : كنيستهم تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية ، ومعنى الكاثوليكية : أي العامة ، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم ، وسميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين خاصة أي : إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ... وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم ، والبابوات في روما خلفاؤه " أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص : 238 . 239

[2] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، مرجع سابق ، ص 102 .

[3] المرجع نفسه ، ص 110 .

[4] المرجع نفسه ، ص 112 .

المبحث الثاني: تأثر الفكر المسيحي بغيره من الفلسفات والأديان :

المطلب الأول: الفلسفات والأديان القديمة :

إن النظر العميق والمتفحص في عقائد المسيحية على اختلافها يؤكد على تقمصها للكثير من أفكار وعقائد وفلسفات دخيلة أثرت أثرا بالغا على مسار العقيدة الأصلية، ونحت بها منحى آخر أبعدها في الكثير من الأحيان عن معينها الصافي المنبثق من الوحي الذي تلقى نوره الأنبياء والرسل و عرضوه على أقوامهم في حلة من الوضوح والبساطة بعيدا عن الغموض و التعقيد الذي كان من أبرز أسباب الخلل و الاختلاف الشديد بين شتى الطوائف.

ولعلنا نلحظ هذا التأثير جليا فيما يتعلق بقضية الوساطة الكهنوتية، وعن تأثر المسيحية بالديانة المصرية القديمة في هذه الفكرة يقول الباحث ياروسلاف تشرني: " الحقيقة نجد أن المفاهيم أو المتطلبات التي فرضتها المسيحية على أتباعها تكاد تتماثل مع الديانات أو الأفكار الفلسفية المعاصرة لها، فالسلوك الطيب كان لا غنى عنه للحاق بملكوت الله ولتحقيق السعادة في الدار الأخرى، وهذه فكرة قابلناها أولا في مصر في وقت مبكر منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وإن أدب الحكم المصري يعلم أن السلوك القويم هو الضمانة الفضلى للهناءة في العالم الدنيوي أيضا وإن متطلبات التطهر الطقسي والذي تطور بعد ذلك إلى الطهارة أو النقاء المعنوي كان سائدا، والمصريون تتفق معهم في ذلك كل الديانات القديمة قد وصلوا إلى مفهوم أن كل الآلهة المختلفة هي في النهاية إله واحد " الأب " الذي يحب الإنسان الذي خلقه ويوجهه طبقا لإرادته، كما أن فكرة عودة المسيح إلى الحياة هي فكرة مقابلة لبعث أوزيريس. .. لا يمكن إنكار أن تزايد أعداد البشر الذي كسبته العقيدة المسيحية قد أثر عليها، فإن مختلف العناصر الوثنية وجدت طريقها للمفاهيم أو العقائد المسيحية والممارسات الدينية، فإن تقديس مريم العذراء وصورتها مع ابنها المسيح الطفل بين ذراعيها تدين بالتأكيد تقريبا إلى قدر من تأثير صور الإلهة إزيس مع حورس الطفل على حجرها.. وخلق مختلف القديسين المحليين وتشييد هياكل لهم والحج إلى بقاعهم المقدسة وأعيادهم الدينية كانت بدائل أو حتى تقريبا استمرارا لعبادة الآلهة المحلية القديمة "[1]

---

[1] ياروسلاف تشرني ، مرجع سابق ، ص 205 . 206 .

كما كان التأثر بغير الديانة المصرية واضحا فمن " اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس. .. ومن الفلسفة الإغريقية اقتبست المسيحية الكلمة وهي ترادف الإله عند الإغريق، لأن الكلمات لا تفنى بالاستعمال، وعندنا أن أخطر ما واجه المسيحية هي ديانة مترا أو الديانة المترائية، وهي إحدى الديانات البشرية المنتشرة في ذلك الوقت في حوض البحر الأبيض المتوسط وخاصة في أوربا. .. وأبرز معالم عبادة الإله مترا، هي أن الإله مترا بين الله والبشر، وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم ودفن ثم عاد الحياة وقام من قبره مخلصا ومنقذا، ويعمد أبناءه وله عشاء مقدس، ويكاد يكون الإله مترا هو الصورة التي نقلها بولس إلى المسيحية ووضع في إطارها السيد المسيح، أما فكرة ابن الإله فقد كانت تسود العالم المصري القديم وتقوم عليها الديانة الفرعونية البشرية (إيزيس وأوزيريس وحورس)، وفي الهند كانت البرهمية تقوم على التثليث أيضا (براهما، فشنو، سيفا)، وصورة العذراء الأم وهي تحمل المسيح هي صورة إيزيس الأم وهي تحمل الإله الابن حورس " [1]

وقد كان للفلسفة أيضا دور بارز في ترسيخ فكرة الوساطة، حيث أن البعد وعدم التقارب بين الطبيعتين البشرية والإلهية، استوجب وجود شخص يجمع في ذاته بين اللاهوت والناسوت، وهذا ما ينطبق عند النصارى في شخصية المسيح، " فمن الناحية العقلية كان للفلسفة التي اعتمدت العقل أساسا أثر بارز في الانحراف، وقد عرفت هذه الفلسفة عقيدة التثليث فتسربت منها للنصرانية. .. ومن الناحية الدينية كان للوثنية السائدة في المجتمع الروماني والوثنيات المنتشرة حوله أثر بارز أيضا في تسرب الوثنية إلى النصرانية، ونفهم ذلك جليا إذا علمنا أن هذه الوثنيات قد عرفت عقيدة التثليث بأشكال مختلفة.. وقد ساعد هذين العاملين عامل سياسي يعتبر بحق العامل المباشر الذي جعل من عقيدة التثليث عقيدة أساسية في النصرانية، ذلك العامل هو الدولة الرومانية التي اعتنقت النصرانية لا لتذعن لعقيدتها الأصلية، ولكن لتطوعها للاعتقاد بوثنيتها " [2]

و يقول ميلر: " لقد كانت فكرة التمييز بين الكهنة والشعب موجودة في الديانة اليهودية ثم أسرع العقل البشري إلى تعظيم وتوسيع نطاق ذلك التمييز، حتى جاء نظام تعيين الأساقفة ورسامتهم فوطد دعائمه وثبت أركانه وعظم شأنه، حتى بلغ الأمر تدريجيا إلى خلع لقب رئيس الكهنة أو الحبر الأعظم

---

[1] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 184 . 185 .

[2] محمد أحمد الحاج ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، ط 1 ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، 1413 هـ . 1992 م ، ص 95 .

على الأسقف، وهكذا أيضا أخذ الشيوخ وبعد ذلك الشمامسة يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم الشعب هيئة مقدسة كالأساقفة، ثم ادعت تلك الفئة الكهنوتية لنفسها مركز الوساطة وزيادة القرب إلى الله، كما ادعت السيادة والسلطان على الشعب، وبدلا من أن الله يكلم الإنسان ويخاطب ضميره وقلبه مباشرة بواسطة كلمته، وهكذا يأتي بالقلب والضمير إلى محضره تعالى، تصدى الكهنوت متوسطا بين الله والإنسان " [1]

هذا و " إن عبادة القديسين يمكن اعتبارها مشتركة القدم مع العبادة المريمية، ومن ثمار نفس التربة، والواقع أنها نفس الشيئ مع فارق. .. لا شك أن الاحترام الذي كان يقدم في العصور الأولى للمسيحية لأولئك الذين شهدوا بالأمانة للمسيح وتألموا لأجله قاد إلى ممارسة التضرعات للقديسين والتماس الاستفادة من شفاعتهم، فتحولت مجرد العاطفة الأولى التي قد يلتمس لها العذر إلى احترام خرافي تطور أخيرا فصار عبادة قائمة بذاتها. .. من هذه المبادئ الصغيرة نشأ أخيرا نظام كبير بواسطة دهاء رجال الكهنوت " [2]

وسنجد شبيها لهذا التقديس لاحقا عند غلاة الشيعة الذين يضفون على الأئمة صفات العصمة والعلم المطلق مما يجعلهم في مقام الوسيط الذي لا يمكن تجاوزه من أجل الوصول إلى الحضرة الإلهية، وكذلك عند بعض فرق الصوفية التي تجعل الولي أو شيخ الطريقة بابا لا بد من ولوجه لحصول القرب و الأنس بالله.

---

[1] أندرو ميلر ، مرجع سابق ، ص 124 .

[2] المرجع نفسه ، ص 293 . 294 .

المطلب الثاني: الفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة :

إن من أبرز ما تأثر به الفكر المسيحي في مراحله التاريخية المختلفة الفلسفة اليونانية، فقد كان لها تأثير واضح على العديد من العقائد النصرانية، فعلى سبيل المثال نجد أن " كثيرا من الأفكار المنتشرة في البيئة الهندية والفارسية قد وجدت لها أرضا رحبة في العالم الهيليني في تلك الحقبة، فأفكار الوسطاء أو العقول المتوسطة أو الملائكة، ثم فكرة الصدور خصوصا، والتي تلعب أخطر دور في الفلسفة المسيحية هي فكرة شرقية مأخوذة عن المذاهب الهندية والفارسية " [1]

و إن هذا التأثر لم يأت من فراغ، ذلك لأن الظروف المحيطة بالمسيحية وما تعرض له أتباعها من اضطهاد، جعلها تصطبغ بأفكار مناسبة لكل فترة تاريخية حتى تضمن بقاء حيويتها، وهذا ما ذكره صاحب كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث في قوله أنه: " لدى خروج المسيحية عن الحدود التي التزم بها المسيح عليه السلام واجهت اضطهادا من الدولة الرومانية، كما واجهت الاضطهاد من اليهود من قبل، فقرر رجال الدين وعلى رأسهم بولس التودد إلى الفلسفة اليونانية كسند يؤيد العقائد الدينية، فدخل كثير من الفلاسفة إلى النصرانية ومزجوا الفلسفة بالدين " [2]

وقد كان هذا التضييق والاضطهاد مساعدا لبولس ـ الذي كان عارفا بالفلسفة اليونانية ـ في تقرير العقائد الجديدة التي استمدت ثمارها مما ذكرناه آنفا، وهنا يقول أحمد شلبي: " ووافقت فكرة التثليث الجماهير، وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ومن الوثنية لبدائيتها، فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم. .. واستطاع أتباع بولس بعد ذلك أن يصيروا من آباء الكنيسة وذوي الرأي فيها، وتم الامتزاج بين آراء مدرسة الإسكندرية وبين المسيحية الجديدة " [3]

و يذكر الفيومي هذه الحقيقة فيقول: " مما لا شك فيه أن نشأة الكنيسة المسيحية ترجع إلى الكنيس اليهودي، وأن كتابهما واحد وهو بعهديه العهد القديم لليهودية والعهد الجديد للمسيحية، وهما معا يسميان الكتاب المقدس غير أن نظام الكنيسة المسيحية من حيث الأسس في واقعها تابعت في نظام الإمبراطورية الرومانية، وتخلت عن لغتها الأصلية إلى اللغة اليونانية، وبذلك أصبحت الكنيسة

---

[1] أنمار أحمد محمد ، اللاهوت المسيحي نشأته ـ طبيعته ، ط 1 ، دار الزمان ، سوريا ، 2010 ، ص 127 .

[2] محمد أحمد الحاج ، مرجع سابق ، ص 114 .

[3] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 138 .

الكاثوليكية ينظمها أساقفة يونانيون، وبهذا ساهمت الكنيسة بآبائها اليونانيين في نشر الثقافة اليونانية من جانب وإسباغ ثوب الثقافة اليونانية على المسيحية من جانب آخر، وبلغ منها أن باتت تفضل قراءة العهد القديم في ترجمته اليونانية، ثم بدأت جهود فردية تعكف على التوفيق بين العقيدة المسيحية والفلسفة اليونانية، وظنوا أنه بتظافرها مع الفلسفة اليونانية يعطيها قوة، ولكن خيب ظنهم انشقاقها العقيدي الذي ظهر فيما بعد " [1]

وإن من أخطر العقائد التي استمدتها المسيحية من الفلسفة اليونانية عقيدة التثليث والإيمان بالصليب، " وكان من أكبر الأثر الفلسفي على المسيحية أن صرفت النصارى عن التوحيد دين المسيح إلى عبادة الصليب " [2]

ومع مرور الزمن اصطبغت المسيحية بصبغة مشوبة بمزيج من الأفكار الفلسفية والعقائد الوثنية، وقد ذكر بعضا من ذلك إبراهيم الفيومي قائلا: " ذلك أن المسيحية حين وصلت إلى أوربا لم تكن هي فعلا المسيحية الشرقية الربانية المنزلة على المسيح عيسى ابن مريم، ولكنها كانت جماعا من الوثنية والفكر اليوناني والغنوصية [3] مجمعا في إطار باسم المسيحية. .. ولا ريب أن الاضطهاد أفقد المسيحية مراجعها الأصلية، ومكن بولس من الاقتباس من الفلسفة الإغريقية. .. فلما دخلت الدولة في المسيحية واعتنقتها واتخذتها دينا لها لم تلبث أن تحولت على أيدي الكهنة والكنيسة تحولا خطيرا، وأصابها تعقيد بالغ رفضه العقل البشري. .. ومن المعروف أن تحول المسيحية من دين توحيدي إلى دين مثلث، ومن دين يهودي إلى دين عالمي كان نتيجة لدخول الأفكار اليونانية والفلسفة الإغريقية، وبذلك انتقلت المسيحية من دين شرقي إلى دين غربي " [4]

وإذا أردنا تسليط بعض الضوء على ذلك التحول الجذري الذي لحق بالمسيحية على يد بولس فإنه لا يمكننا أن نمر مرور الكرام على أثر الأفلوطينية المحدثة التي استلهم منها بولس كثيرا من أفكار وعقائد المسيحية في ثوبها الجديد.

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي ، مرجع سابق ، ص 89 .

[2] المرجع نفسه ، ص 91 .

[3] **الغنوصية : gnosticism** : " الغنوسطية : مذهب العرفان : الاعتقاد بأن المعرفة (الغنوص أو العرفان بالمفهوم الإغريقي) هي الطريق إلى الخلاص ، خصوصا بالنسبة إلى الأرواح البشرية التي ينظر إليها على أنها جسيمات ضوئية أو ومضات من العالم العلوي سقطت تحت أسر الجسد " جون هينليس ، معجم الأديان ، مرجع سابق ، ص : 274 .

[4] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 180 . 181 .

يقول في ذلك أنور الجندي: " ومختلف آراء بولس التي ضمنها المسيحية هي آراء الفكر اليوناني الذي تطور في مدرسة الإسكندرية على يدي أفلوطين ثم فيلون اليهودي، وقد استمرت مدرسة الإسكندرية التي قامت على الفكر الهليني وأنشأت من بعد الفكر الهلسنتي، استمرت بعد المسيح فأنجبت أفلوطين (270 م) الذي جدد مذهب أفلاطون، ونمى نظرية الفلسفة في الفيض والعقل والنفس. .. وقد ظل الصراع قائما بين الشرقيين حملة المسيحية وعلى رأسهم أريوس [1] وبين الغربيين حملة المسيحية الغربية، حتى انعقد مؤتمر نيقية (325 م)، حيث تغلبت الأقلية القائلة بألوهية المسيح على رأي الأغلبية القائلة بالتوحيد. .. ثم أصبح لهؤلاء القائلين بألوهية المسيح كل النفوذ والسيطرة، وأصبح للأناجيل التي اختاروها الطابع الرسمي المقرر بينما قضوا على كل ما عداها مما يعارض رأيهم بالفناء، وفي مقدمتها إنجيل برنابا [2]... وكان ذلك كله مقدمة لنفوذ الكنيسة الذي سيطر على أوربا سيطرة كاملة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة 476 م " [3]

وبمرور الزمن بدأ يظهر تأثير الفلسفة اليونانية على تفاسير الكتاب المقدس، وهنا يقول محمد أحمد الحاج: " وهكذا وبتأثير البيئة الهلينستية بدأ رجال الدين المسيحي يفسرون النصوص التي عندهم تفسيرا فلسفيا، حتى توصلوا إلى هذه النظريات التي ألهت السيد المسيح أو جعلته قريبا من الإله " [4]

---

[1] **أريوس** : " كان هذا الرجل في مصر داعية قوي الدعاية جريئا فيها ، واسع الحيلة بالغ الأرب ، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه ، فقام هو محاربا ذلك مقرا بوحدانية المعبود منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية ... وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضي على هذه الفكرة فلم يعمد إلى المناقشة والجدل حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس ، ولكنه عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة وقد كان موقفه سببا في انعقاد مجمع نيقية سنة : 325 م . " محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص : 197 . 198 .

[2] **برنابا** : " قديس من قديسي المسيحية باتفاقهم ، ورسول من رسلهم وركن من الأركان التي قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى ، وقد وجد إنجيل باسمه ... اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية ، عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا ، وذلك في سنة 1709 ... والأمور التي خالف ذلك الإنجيل فيها ما عليه المسيحيون الآن تتلخص في أربعة أمور:

أولها : أنه لم يعتبر المسيح ابن الله ، ولم يعتبره إلها .

الأمر الثاني : أن الذبح الذي تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو إسماعيل ، وليس بإسحاق كما هو مذكور في التوراة ، وكما يعتقد المسيحيون .

الأمر الثالث : أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل محمد .

الأمر الرابع : أن هذا الإنجيل يبين أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولكن شبه لهم ، فألقى الله شبهه على يهوذا الإسخريوطي " (محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص : 133 . 140) .

[3] أنور الجندي ، مرجع سابق، ص 182 . 183 .

[4] محمد أحمد الحاج ، مرجع سابق ، ص 119 .

ولقد " كان من الطبيعي بعد أن دانت الإمبراطورية بالمسيحية، أن يحتل رجال الكنيسة مناصب ليس من السهل الحصول عليها بغير منافسات وخلافات ومؤامرات، ومن ثم فقد ظهر الصراع في ما دار بينهم من جدل ونقاش حول العقيدة نفسها. .. ويتجه إلى تدعيم كيانها إزاء فرق تجمع بين المسيحية والوثنية، وكانت من أهم هذه الفرق هي الغنوصية، والتي ظهرت أول الأمر في سوريا، وازدهرت في القرن الثاني، انتشرت في أغلب بلاد الشرق الأوسط وخاصة في مصر، وامتد أثرها إلى اليهودية والإسلام، ويقال أنها أثرت أيضا في إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الذي أدخل في المسيحية فكرة اللوغوس " [1]

يقول حنا جرجس: " وأول من استعمل هذا الاصطلاح لوغوس هو هيراقليطوس [2] اليوناني الذي استخدم هذا الاصطلاح في القرن السادس قبل الميلاد 560 ق م، ويوحنا الرسول الذي استخدمه أيضا عاشا كلاهما في مدينة أفسس، ولقد أسس هيراقليطوس فلسفته على المبدأ القائل بأن كل شيء يتغير والذي ينظم هذا الكون المتغير ويسيطر عليه ويوجه حركاته وسيره هو عقل الله، ولا تقع حادثة في هذا الكون على الصعيد الفردي أو الصعيد الكوني دون أن يكون اللوغوس هو العامل في إحداث هذه الحادثة، فهو الذي يؤهل الإنسان أيضا لعمل الخير وتجنب الشر، والذي يساعد الإنسان على فهم الحقيقة " [3]

يقول شارل دينيير: " والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة لليهود سوى خطأ لغوي فاحش، وضرب من ضروب السفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع يوحنا " [4]

---

[1] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، د ط ، دار قباء ، القاهرة ، 1998 ، ص 394 . 395 .

[2] **هيراقليطوس** : فيلسوف يوناني عاش في أواخر القرن السادس ، وقيل في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ، عاش في عزلة مع التأمل . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 697) .

[3] حنا جرجس الخضري ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 392 .

[4] شارل جنيبير ، مرجع سابق ، ص 50 . 51 .

وقد كتب إنجيل يوحنا تحت تأثير بولس الذي استقى مصادره من الفلسفة اليونانية، ويبدو ذلك من خلال فاتحة هذا الإنجيل حيث جاءت مختلفة أشد الاختلاف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى، كما أنه الإنجيل الوحيد الذي يقرر ألوهية المسيح وبنوته لله، وصلبه ليفتدي البشرية عن الخطيئة الأولى. [1]

لقد تسربت الثقافة اليونانية إلى العقيدة اليهودية رغم كل المحاولات في صدها، " بل اتخذتها الأرستقراطية اليهودية مثالا يحتذى به، وتهاونت في تطبيق الشريعة الموسوية، ولما تأسست الإسكندرية أقام بها كثير منهم واستطاعوا أن ينعموا بمظاهر الحضارة اليونانية، بل نسوا العبرية واتخذوا اليونانية لغة لهم، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى ترجمة العهد القديم كتابهم المقدس إلى اللغة اليونانية، وفي القرن الأول الميلادي ظهر في الإسكندرية أشهر فلاسفة اليهود حوالي 40 ق م، فيلون السكندري. .. وقد كان له تأثير في الفلسفة المعاصرة له سواء كانت وثنية كالأفلاطونية الجديدة، أو كانت مسيحية وقد تميزت فلسفته باستعمال التأويل الرمزي أو المجازي للتوراة، وقد عرف هذا التأويل في المسيحية والإسلام إذ ساد الاعتقاد بأن الكتب السماوية إنما تخاطب الناس جميعا ـ العامة منهم والخاصة ـ ولهذا فهي تلجأ إلى استعمال الرموز التي تشير بها للحقائق فيقنع العامة بظاهر النصوص أما الخاصة فيأخذون بتأويل المعاني " [2]

وقد أعجب فريق من المسيحية بالفلسفة اليونانية وتأثر بها أشد التأثر " وبحث عن تلك الحقائق التي بلغتها الفلسفة والتي أعلنتها وأكدتها المسيحية من جهتها، وخلص من ذلك إلى أنه لا تعارض بين الدين والفلسفة، بل إن الفلسفة تمهد السبيل للدين، فالاتفاق ممكن بينهما، وكان من أشهر رجال هذا الفريق الثاني القديس جوستين [3] وأثيناغورس [4]، فعند جوستين أن العقل صادق في دائرة الطبيعة، والإيمان مكمل له لا مبطل، لأن مصدرهما واحد فهو يرى أن ما هو حق في الفلسفة

---

[1] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 193 .

[2] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 389 . 390 .

[3] **جوستين (يوستينوس)** : الملقب بالفيلسوف ، من آباء الكنيسة ولد في نابلس في بداية القرن الثاني الميلادي ، ومات بروما بين 163 و 165 م ، سافر إلى روما مرتين وافتتح فيها مدرسة للفلسفة المسيحية . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 747 . 748) .

[4] **أثينا غورس أو أثينا غوراس** : من المنافحين عن النصرانية في القرن الثاني الميلادي ، كتب باليونانية ، ولد في أثينا ، وكان على دراية بالفلسفة الوثنية . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 44) .

اليونانية الأفلاطونية الحديثة يوجد في إنجيل يوحنا. .. ثم جاء كليمان [1]، وهو أول مفكر مسيحي أسهب في تحبيذ الفلسفة، وهو يرى أن الله هو مصدر كل حقيقة، ولكن من الحقائق ما يصدر عنه بصفة أولية مثل حقائق العهد القديم والعهد الجديد، ومنها ما يصدر عنه بصفة ثانوية مثل الحقائق الفلسفية. .. وواصل تلميذه أوريجين الإسكندري [2] السير على خطى أستاذه. .. ثم أتى بعد هؤلاء القديس أوغسطين [3]

فكان له الأثر العظيم في الفلسفة المسيحية " [4]

وعن تأثير أوريجين يقول ميرسيا إلياد: " ومع أوريجين أخصبت الأفلاطونية المحدثة نهائيا الفكر المسيحي. .. فحسب أوريجين أن الإله الأب هو متصاعد مفارق وغير ممكن إدراكه، وقد أحدث أبديا الابن صورته الذي هو في آن واحد لا يمكن إدراكه وقابل للإدراك، وعبر الكلمة يخلق الإله العديد من الأرواح النقية ويهبها حياة ومعرفة، غير أن كل الأرواح الطاهرة باستثناء المسيح تبتعد من الله " [5]

وفي نهاية هذا المطلب يمكننا القول بأن المسيحية قد اصطبغت بصبغة مغايرة تماما لأصلها مستمدة من الأفلاطونية المحدثة أغلب عقائدها، هذا و " تعتبر الإسكندرية هي الرحم الواقعي للمسيحية الحالية، فمن فكرها استقى بولس وأبولس وصاحب العبرانيين وأضرابهم فلسفاتهم الوثنية عن مسيح روحاني وسيط بين الآب والخلق، ومن أقوال أفلاطون وأفلوطين بدأ الكلام عن الثالوث " [6]

و يؤكد على ذلك شارل جينيير قائلا: " لقد ظل الفكر اليوناني خميرة لكل نظريات هذا العلم (اللاهوت) يؤثر تأثيرا قويا على الإيمان، كما أثرت روح العصر على العادات والتقاليد وكما أثرت

---

[1] **كليمان (كليمنضوس الإسكندري)** : كاتب يوناني مسيحي ، من فقهاء الكنيسة ولد في الاغلب في أثينا في النصف الثاني من القرن الثاني ، مات حوالي 215 م ، سعى إلى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والنصرانية . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 526 . 527) .

[2] **أوريجين الإسكندري** : لاهوتي يوناني ، ولد سنة 185 م في الإسكندرية ومات سنة 252 أو 253 م ، تأثر بالأفلاطونية المحدثة . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 113) .

[3] **أوغسطين** : من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية ، ولد في طاجسطا سوق أهراس حاليا ، في 354 م ومات سنة 430 م ، وقد تأثر بالأفلاطونية المحدثة . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 117) .

[4] فؤاد معصوم ، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم ، ط 1 ، دار المدى ، سوريا ، دمشق ، 1998 ، ص 122 .

[5] ميرسيا إلياد ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 51 .

[6] جمال الدين شرقاوي ، مرجع سابق ، ص 4 .

الدولة على الكنيسة. .. فالمسيحيون ينهلون من ذلك النبع الدافق للأفكار الميتافيزيقية سواء بطريقة مباشرة في كتب فلاسفة الأفلاطونية الجديدة، أو غير مباشرة في كتب أوريجين " [1]

[1] شارل جنيبير ، مرجع سابق ، ص 231 . 232 .

المطلب الثالث: فيلون الإسكندري وفكرة الوسيط :

يذهب كثير من الباحثين إلى أن أثر الفلسفة اليونانية امتد إلى نصوص [1] الكتاب المقدس، فالمتفحص في إنجيل يوحنا [2] وعباراته يلاحظ ذلك، وعن ذلك نقرأ ليوسف الكلام قوله: " لقد أثارت مقدمة إنجيل يوحنا جدلا في المصطلح الجديد الذي فضل صاحب الإنجيل بداية إنجيله به، فمصطلح اللوغوس أي: الكلمة الذي صدر به يوحنا إنجيله يعد غريبا عن أسفار العهد الجديد، فلا وجود له في أي منها إذ لم يستعمله أحد ممن تنسب إليهم أسفار العهد الجديد، ومنهم بولس فهو مع تأثره بالفلسفة اليونانية وغرابة فكره لم يستعمل هذا المصطلح إطلاقا في مجموع الرسائل الأربع عشرة المنسوبة إليه، ولم يرد مصطلح اللوغوس إلا مع يوحنا في إنجيله وفي رسالته الأولى وفي رؤياه، وبذلك يكون أول من نعت السيد المسيح بهذا النعت الغريب. .. ومما لا شك فيه أن كاتب الإنجيل يوحنا فيلسوف من أفسس تشبع بالفلسفة اليونانية، وتأثر بالفيلسوف اليهودي فيلون الإسكندري الذي انتشر فكره في هذه الحقبة بين الأوساط اليهودية والمسيحية " [3]

و " يعد الفيلسوف هيرقليطس [4] من أول الفلاسفة اليونان القائلين بوجود اللوغوس. .. ومع ذلك يبقى معنى اللوغوس عند هيرقليطس غامضا، فهو الذي يدير الكون بقضائه وهو شريعة وعقل كوني أيضا له القدرة على المعرفة وإيصال المعرفة للآخرين، أما فيلون الإسكندري فقد آمن لأنه يهودي بأن الله هو خالق الكون، وآمن في الوقت نفسه لأنه فيلسوف غنوصي بوجود وسائط بين الله والخلق، وقوله هذا ناتج من تأثره بأفلاطون وأهم هذه الوسائط هو اللوغوس الذي بوساطته تمكن الله من تدبير العالم " [5]

---

[1] **فيلون الإسكندري** : " يعرف أيضا بفيلون اليهودي ، وهو كاتب يوناني ولد في الإسكندرية سنة 20 ق م ، يعتبر نتاجه الفلسفي توفيقا بين الفكر اليوناني و الفكر العبري ، كما أنه من رواد التصوف والأفلاطونية المحدثة ، ومن أبرز أفكاره الفلسفية اللوغوس الذي اعتبره وسيطا يمكن من خلاله الوصول إلى الله ، وقد تميز منهجه أيضا بتأويل النصوص المقدسة بما يتوافق والفلسفة اليونانية " جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 490 . 491 .

[2] " لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره ... لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا لألوهية المسيح ... يقول جمهور النصارى أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بن زبدي الصياد الذي كان يحبه السيد المسيح ... من محققي المسيحية من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة " محمد أبو زهرة ، مرجع سابق ، ص : 122 . 123 .

[3] يوسف الكلام ، مرجع سابق ، ص 221 . 222 .

[4] **هيرقليطس** : " فيلسوف يوناني عاش في أواخر القرن السادس أو في أوائل القرن الخامس ق م " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 697 .

[5] يوسف الكلام ، مرجع سابق ، ص 223 .

وعن أثر الفيلسوف اليهودي فيلون يقول الفيومي: " إن تفاعل اليهودية مع الفلسفة الإغريقية يجسدها فيلو اليهودي الإسكندراني حوالي 20 قبل الميلاد إلى 40 بعد الميلاد الذي كان من أوائل وأعظم الفلاسفة اللاهوتية اليهود. .. والله في نظر فيلو لا يحده عقل وهو أسمى من كل معرفة، أما المادة فلها حدود ولها نهاية، ولذا وجب أن يكون هناك وسيط بين الحدود واللامتناهي، وهذا الوسيط بين الله وبين العالم هو " الكلمة " التي وصفها بأنها أول مولود لله، إنها الإله الثاني، لقد كان لفيلو أثر عميق في اللاهوت المسيحي والفكر المسيحي، وعلى منهج فيلو الإسكندري هيأت مدرسة الإسكندرية الذهن البشري لتقبل النظام الفلسفي الجديد، وانصرافه عن نظام الفلسفة الإغريقية القديم الذي كان يعتمد على العقل وحده، ومن هنا أقبل الإنسان على النظام الفلسفي الجديد الذي كان يعتمد على احتضان الديانات الشرقية التي تكتنفها الأسرار والروحانيات، ومن أهم هذه الديانات الشرقية عبادة سيبل، وهي أصلا الآلهة الأم لفريجيا، وعبادة إيزيس في مصر، ومترا في فارس " [1]

و يضيف في موضع آخر قائلا: " كان فيلون السكندري أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف بالثقافة اليونانية في ذلك العصر، فنجد لديه لأول مرة الحقيقة الدينية وقد وضعت في صيغة فلسفية، والمبادئ العقلية الصرفة تقوم عليها الحقيقة الدينية فكان مؤمنا باليهودية كل الإيمان وكان في الوقت نفسه شديد العناية بالفلسفة اليونانية. ... لقد اتجه فيلون إلى تفسير التوراة رمزيا، بحيث تتفق مع الآراء الفلسفية اليونانية " [2]

ويؤكد على هذه الفكرة عبد الرحمن بدوي حيث يقول: " وقد سلك فيلون مسلك التفسير الرمزي (التأويل) لكي يصل إلى أن الأفكار اليهودية توجد بتمامها في الفلسفة اليونانية، وكل ما هنالك من فارق إنما هو في صياغة الحقيقة الدينية في الفلسفة اليونانية بطريقة واضحة مفصلة " [3]

وهنا نجد أن كاتب إنجيل يوحنا وكأنه استمد فكرة الكلمة " اللوغوس " من فيلون وقد أشار إلى ذلك إميل بريهييه في قوله: " وقد شغل فيلون " في أول الأمر اللاهوتيين والمؤرخين الذين يبحثون عن أصول المسيحية، وليس على المرء إلا أن يضم العلاقة التي لا يمكن إنكارها بين نظرية فيلون في

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي ، مرجع سابق ، ص 150 . 151 .

[2] فؤاد معصوم ، مرجع سابق ، ص 121 .

[3] عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، ط 4 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970 ، ص 92 .

اللوغوس ونظرية الإنجيل الرابع، ليرى الدلالة التاريخية للمذهب الفيلوني في صلته بالتصور الأساسي للمسيحية حسب فهم يوحنا، تعني بذلك تصور المسيح الكلمة " [1]

ويؤكد بريهييه على أن فكرة الوساطة ما هي إلا نتاج لمزيج من الأفكار الفلسفية وبعض العقائد اليهودية فيقول: " وقد انتهى بنا البحث إلى أن نرى حقا ومعنا في هذا كثير من المفسرين أو المؤولين في اللوغوس الفيلوني ركاما دون نظام من كل الأفكار الإغريقية واليهودية عن الوسطاء بين الله والعالم"[2]

ومبدأ فكرة الوساطة عند فيلون هي أن الإله متعالي عن العالم ومفارق له، فكان لا بد للاتصال به من وجود وسائط تلعب هذا الدور " والفكرة الأساسية عند فيلون السكندري هي حول إله مفارق للعالم لا يتصل به إلا عبر وسطاء، والوسيط عند فيلون لا يتميز بطبيعته بقدر ما يتميز بوظيفته، لذلك فإن الله لا يتصل بالإنسان مباشرة لأن الهوة بين الأدنى والأعلى شاسعة لا يمكن عبورها، وأن اللوغوس أو الكلمة ابن الله هو الوسيط بين الله والخليقة " [3]

وعن حقيقة اللوغوس الوسيط يقول عصمت نصار: " غير أن مفهوم فيلون للوغوس كان متميزا عن المفهوم الهيليني والمفهوم اليهودي النصي التقليدي والغنوصي أيضا، إذ كان يرى أن اللوغوس أو الكلمة يحتل درجة وسطى بين الله أو الألوهية وبين المخلوق، فاللوغوس عنده ليس أزليا كالله كما أنه ليس فانيا كالمخلوقات، لأنه مولود لله أو هو ابن الله. .. وقد أثر هذا التصور الفيلوني في جل اللاحقين عليه من المفكرين المسيحيين الذين ناقشوا قضية الكريستولوجي من منظور فلسفي، وعلى رأسهم أكليمندس السكندري [4] وأوريجانوس [5] " [6]

---

[1] إميل بريهييه ، الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري ، ترجمة محمد يوسف موسى ، عبد الحليم النجار ، د ط ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، 1954 ، ص 6 .

[2] المرجع نفسه ، ص 122 .

[3] أنمار أحمد محمد ، مرجع سابق ، ص 131 .

[4] **أكليمندس السكندري** : " كاتب يوناني مسيحي ومن فقهاء الكنيسة ، ولد على الأغلب في أثينا في النصف الثاني من القرن الثاني ... ارتحل إلى اليونان وإيطاليا وسورية وفلسطين ومصر بحثا عن تعليم يرضي رغبته في معرفة الحقيقة ، وقد وجد هذه الحقيقة في الإسكندرية ... كان كليمنضوس يتقن الأدب والفلسفة اليونانيين إتقانا تاما ، وقد سعى إلى التوفيق بين هذه الفلسفة وبين النصرانية " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 526 . 527 .

[5] **أوريجانوس** : " لاهوتي يوناني ، ولد سنة 185 م في الإسكندرية ومات سنة 252 أو 253 م ... وأوريجانس هو أبرز شخصيات الكنيسة في عصره ... وقد دعاه الأساقفة إلى دحر الهراطقة " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 113 . 114 .

[6] عصمت نصار ، مرجع سابق ، ص 169 .

وعن حقيقة اللوغوس عند فيلون يقول حنا جرجس: " ولقد درس فيلو اليهودي الإسكندري هذا الاصطلاح (اللوغوس) في عرف كل من اليهود واليونان، وهو يعتقد بأن اللوغوس هو أقدم شيء في العالم إذ أنه الإله الذي به خلق العالم، بل هو فكر الله الذي عن طريقه يحكم الله هذا العالم. .. فاللوغوس هو الذي يدفع الإنسان على التفكير والقوة والعمل، هو الذي يساعد الإنسان على الفهم والإدراك، هو الوسيط بين الله والعالم. .. ولقد اعتقد الرواقيون بأن الكلمة لوغوس هو قوة الله الخلاقة الذي يقود ويسيطر على الكون كله ويحفظ نظامه " [1]

ومن الخلل العقدي الذي تسلل إلى اليهودية عن طريق الفلسفة اليونانية اعتبار الإله بعيدا كل البعد عن التأثير المباشر على الكون، وذلك لأنه كامل وبينه وبين الخلق هوة كبيرة، تقول عن هذه الفكرة أميرة حلمي مطر: " إن يهوا إله اليهود الذي آمن بوجوده فيلون هو الإله المفارق للعالم المحسوس، وهو الإله المتعالي اللامتناهي في صفات الكمال التي لا يمكن أن تحدد أو تحصر في عدد معين، لذلك فهو لا يمكن وصفه إلا بالسلب، غير أنه لفرط علوه عن العالم ولعظم الهوة التي تفصله عنه لا يؤثر مباشرة في العالم، بل يؤثر عن طريق وسائط أو قوى إلهية، وهذه الوسائط يختلف بعضها عن بعض بحسب الأعمال التي تقوم بها وعلى العموم، فلها أنواع أربعة أولها و أهمها هي الكلمة أو اللوغوس " [2]

و سنجد بأن هذه العقيدة قد تسربت إلى الفكر العقدي المسيحي فيما بعد " وقد استقى فيلون فكرة اللوغوس من هذه المصادر المختلفة، وحاول أن يقربها إلى العقل ويجعل منها فكرة فلسفية، أما من جهة صلة اللوغوس بالعالم فنجد أن اللوغوس أشبه بمثل أفلاطون، إذ هو النموذج الذي يخلق الله العالم على مثاله، ويصفه بكل صفات الكمال من حق وخير وجمال، أما عن صلته بالله فهو واسطته إلى الخلق ورسوله إلى الناس، وهو أيضا الذي ينقل إليه تضرعاتهم، فهو ابن الله ورسوله إلى الناس وهو وسيلته في خلق العالم، وقد أثرت هذه النظرية في العقيدة المسيحية وظهرت آثارها في إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الرابع الذي يرجح أن يكون قد كتب في القرن الثاني الميلادي، وتأثر كاتبه بفيلون، وإن

---

[1] حنا جرجس الخضري ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ج 3 ، ص 392 . 393 .

[2] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 391 . 392 .

ذهب بعض المؤرخين الآخرين إلى العكس من ذلك، إذ يرون أن فيلون هو الذي تأثر بالإنجيل الرابع"[1]

وإن الناظر في أفكار فيلون سيجدها مستمدة من الفلسفة اليونانية وعن ذلك يقول عبد الرحمن بدوي: " وقد كانت ثقافة فيلون أقرب إلى اليونانية منها إلى العبرية لأنه كان يأخذ ثقافته مباشرة عن التراجم اليونانية للنصوص العبرية أكثر من أن يأخذها عن الأصول العبرية نفسها، فكان تأثره بالفلسفة اليونانية أوضح في الواقع وأشد من تأثره بالديانة اليهودية. .. وإن كان الطابع اللاهوتي مع ذلك لا يزال يطبع جميع تفكيره حتى ليمكن أن يقال: إن الأصل في التفكير عند فيلون ليس هو الفلسفة ثم انتقل منها إلى الدين، و إنما يجب أن يقال إن الأصل هو الدين وليست الفلسفة. .. ومن بين المفكرين اليونانيين الذين عني بهم فيلون أشد العناية نرى في المقام الأول أفلاطون ثم الفيثاغورية المحدثة والرواقية " [2]

ويصف فيلون القدرة الإلهية بأنها " عليا بها يتم حدوث الأشياء وتحركها، وكل ما يجري في الكون من أحداث، ولكن ذلك لا يتم مباشرة بأن تتصل هذه القوة العليا بالمخلوق، وإنما يتم ذلك عن طريق عدة وسائط، وهذه الوسائط هي القوى الإلهية. .. والذي يعنينا خصوصا فيما يتصل بنظرية الوسائط هذه فكرة الكلمة أو اللوغوس، وتاريخ هذه الفكرة تاريخ شائق، فقد تطورت كثيرا عند اليونان وعند اليهود وعند فيلون وعند المسيحية بوجه خاص، فهناك مقدمات تاريخية كثيرة لنظرية اللوغوس سواء في الكتابات اليهودية وفي الفلسفة اليونانية، ففيما يتصل بالكتابات اليهودية نجد أن اللوغوس يذكر مرارا في الكتب الأولى من التوراة، كما يذكر في كتاب الحكمة المنسوب إلى سليمان، والذي كتب في الواقع في عهد الإمبراطور أغسطس على صورة الصوفيا أو الحكمة، ثم نجد بعد ذلك أن فكرة الكلمة قد لعبت دورا خطيرا في المسيحية عن طريق الإنجيل الرابع " [3]

والراجح " أن فيلون قد قال وتوسع جدا في مذهب اللوغوس، وأخذه عن مقدمات تاريخية يونانية ويهودية وأن الإنجيل الرابع هو الذي كتب تحت تأثير فيلون " [4]

---

[1] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 392 .

[2] عبد الرحمن بدوي ، ، مرجع سابق ، ص 90 . 91 .

[3] المرجع نفسه ، ص 96 . 97 .

[4] المرجع نفسه ، ص 98 .

وسنجد أن " ثمة عنصرا ثالثا مزدوجا قد أثر في فيلون في فكرته عن الكلمة، وهذا العنصر الثالث المزدوج هو أفلاطون في نظريته في الصور، ثم الفيثاغورية المحدثة فيما يتصل بفكرة الواحد " [1]

والأصل في فكرة اللوغوس هي " فكرة الوسائط لأن ما يرمي إليه فيلون من وراء فكرة اللوغوس، هو أن يقول من ناحية بوجود هوة لا تكاد تعبر بين الخالق والمخلوقات، ومن ناحية أخرى بإمكان عبور هذه الهوة، وذلك عن طريق عدة وسائط لكي يتيسر حينئذ أن يأتي فعل من جانب الخالق نحو المخلوق، وهذه الوسائط هي ما سماه فيلون باسم القوى الإلهية " [2]

وعن تأثر المسيحية بأفكار فيلون يقول محمد عبد الحميد الحمد : " كما أخذ اللاهوت المسيحي نظرية الفداء والخلاص من الخطيئة الأولى من ديانات الأسرار القديمة، وأخذ فكرة التثليث من الفيلسوف اليهودي فيلون الإسكندري، ومن الفيلسوف المصري أفلوطين، لأن الأناجيل الثلاثة الأولى: متى، مرقص ولوقا، لم يتجاوز المسيح فيها مرتبة الإنسان، وجاءت بداية التثليث من الوسط المصري عندما كتب يوحنا إنجيله وقال عن السيد المسيح إنه هو الكلمة.. وفي المحصلة كان اللوغوس عند فيلون هو العلم والنور إلا أنه ليس أزليا كالله، وهو ليس بفان كالمخلوقات، وإنما هو المتوسط بين الله والمخلوقات كمثل موسى كليم الله، ومن هنا يرى المؤرخون الثقاة أن فيلون هو الذي مهد الطريق للقديس يوحنا في إنجيله الذي قال فيه: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله "[3]، ومعنى هذا الكلام في علم اللاهوت المسيحي أن الله كشف عن نفسه للإنسان عن طريق الكلمة الحية الذي هو يسوع المسيح " [4]

ويمثل نتاج الفيلسوف فيلون " واحدا من الانعكاسات الأبلغ دلالة لتوفيقية النصف الأول من القرن الميلادي، تلك التوفيقية التي تلاقى فيها الفكر اليوناني والفكر العبري " ويعد فيلون من رواد التصوف والأفلاطونية المحدثة " وبانيا لمذهب يمكن معه البلوغ إلى الله الواحد عن طريق قوى وسيطة، وعلى الأخص منها اللوغوس. .. أخص ما يميز فيلون أفلاطونيته، وكذلك مجهوده لبيان حضور الفلسفة في نصوص اليهود المقدسة، ولتأويل هذه النصوص تأويلا نظريا " [5]

---

[1] عبد الرحمن بدوي ، مرجع سابق ، ص 98 .

[2] المرجع نفسه ، ص 102 . 103 .

[3] يوحنا ، إصحاح 1 ، فقرة 1 .

[4] محمد عبد الحميد الحمد ، الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام ، ط 1 ، د م ن ، د ب ن ، 2004 ، ص 34 .

[5] جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 490 . 491.

ويختلف الوسطاء حسب العمل المنوط بهم " فالوسيط الأول اللوغوس أو الكلمة ابن الله نموذج العالم، ويليه الحكمة ثم رجل الله أو آدم الأول ثم الملائكة، ثم نفس الله، وأخيرا القوات وهي كثيرة ملائكة وجن ناريون وهوائيون ينفذون الأمر الإلهي، وقد كان فيلون أحد مؤسسي المسيحية الحقيقيين أخذ أقواله القديس يوحنا الإنجيلي وصاغها متلائمة مع عقيدته في المسيح، وقد كان فيلون قريب العهد بيوحنا، وثبت أن يوحنا قرأ أعمال فيلون وتأثر بها " [1]

و الوسائط سابقة الذكر تعتبر " بمثابة رابطة أو وساطة بين الله والعالم وتحتل موقعا متوسطا بين الله الخالق والعالم المخلوق " [2]

ثم تطور مفهوم اللوغوس في المسيحية ليصبح تعبيرا عن المسيح الذي يعتبر في العقيدة المسيحية " ابن الله وصورته أو الروح المتغلغلة في الكون أو العالم أو الواسطة في خلق العالم، و تشخصت الكلمة في صورة المسيح، فبالابن وفي الابن ظهر كل شيء، إنه أول الموجودات ويكاد يتفق مفهوم اللوغوس في إنجيل يوحنا مع ما ذكره عنها فيلون إذا استثنينا أن يوحنا يعني بالكلمة الأقنوم الثاني أو المسيح، بينما يطلقها فيلون ولا يحصر مدلولها في شخص بعينه، ولا يتصورها متجسدة في إنسان من لحم ودم " [3]

وممن تأثر بفيلون كلمنت الإسكندري، فقد " كان على دراية بالفلسفة اليونانية وأفضل المذاهب عنده هي الأفلاطونية لاتفاق آرائها مع المسيحية وتأثر بفيلون وأخذ عنه. .. أما عن خلاصة آرائه فكان يرى أن الله هو الواحد المتسامي أو المتعالي وأنه المبدأ الأول المطلق وعلة كل الأشياء وأنه واحد وبسيط ولا ينقسم وهو الواحد والخير والروح والأب والخالق والرب " [4]

---

[1] علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط 9 ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ج 1 ، ص 75 .

[2] حربي عباس عطيتو ، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة ، ط 1 ، دار العلوم العربية ، لبنان ، 1413 هـ . 1992 م ، ص 254 . 255 .

[3] المرجع نفسه ، ص 257 .

[4] المرجع نفسه ، ص 293 . 294 .

المطلب الرابع: أفلوطين وأثره في الفكر المسيحي: (204 . 270 م)

إنه لا يمكن للمطلع على تاريخ العقائد المسيحية أن لا يدرك مدى التأثير الذي تركه أفلوطين عليها، خاصة فيما يتعلق بما يسمى بالفيض والصدور وما يترتب عنها من أفكار فلسفية و " تبدأ ميتافيزيقا أفلوطين[1] بثالوث مقدس يمثله الواحد أو الأول (الله)، ثم ما يصدر عن هذا الواحد والساكن الثابت وهو العقل الكلي الذي يحتوي على الصور أو المثل الأفلاطونية، ثم ما يصدر عن هذا الأخير وهي النفس الكلية، وما يصدر عنها أخيرا من نفوس جزئية متكثرة بالهيولى " [2]

و عن الانبثاق عن الواحد إلى التعدد نجد أن " العقل هو الأقنوم الثاني في الثالوث الأفلوطيني، ذلك أنه لما كان الواحد لا يمكن أن يظل غارقا هكذا في وحدته إلى الأبد، فإنه لا بد أن يشع منه نور ينتشر فيفيض على ما حوله دون أن ينقص منه شيء " [3]

ومن أشهر ما عرف عن أفلوطين نظرية الفيض والصدور، فالأشياء أو الوجود عنده " ينشأ عن الأول بفيض من هذا الأول، لا ينقص من ذاته وإنما يحدث وجودا في الخارج فحسب، وظاهر أنه كلما قلت الوسائط بين الأول وبين الحادث، أعني كلما اقترب الحادث من الأول كانت درجته ومرتبته في الوجود والكمال أعظم وأكبر، فهنا نجد أن الوجود كله سيتوقف على هذا الأول من حيث أنه يفيض بذاته فينتج عن هذا الفيض وجود متسلسل على طريق تنازلي، يبدأ من الأول حتى نصل إلى أبعد الأشياء ونهايتها " [4]

هذا وإن أفلوطين في حديثه عن فكرة الصدور قد أخذ بفكرة غنوصية شرقية " كانت واسعة الانتشار. .. لكن هناك فرقا بين صدور أفلوطين وصدور الغنوصيين، فالغنوصيون لم يبينوا كيفية هذا الصدور، بل لقد عمدوا إلى الرمزية الأسطورية وإلى التهاويل والتصورات الغامضة " [5]

---

[1] **أفلوطين** : " عاش أفلوطين في القرن الثالث الميلادي الذي شهد نهاية الحضارة الوثنية القديمة ، وهو يوناني الأصل ومصري المولد ... انتقل إلى روما وهو في الأربعين من عمره ، وأسس فيها مدرسته وظل بها حتى آخر أيامه ، وتوفي سنة 270 م " كامل محمد محمد عويضة ، أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1414 هـ . 1993 م ، ص 15 .

[2] حربي عباس عطيتو ، مرجع سابق ، ص 146 .

[3] المرجع نفسه ، ص 155 .

[4] عبد الرحمن بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مرجع سابق ، ص 130 .

[5] محمد عبد الرحمن مرحبا ، الموسوعة الفلسفية الشاملة . من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، دط ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت . لبنان ، 2000 م . 1420 هـ ، ج 1 ، ص 234 .

و " لا يمكن على أي حال أن نفصل الفلسفة الأفلاطونية الجديدة عن البيئة الثقافية التي سادت الإسكندرية في القرون الثلاثة الأولى للميلاد، فالتيار الأفلاطوني في الفلسفة اليونانية الذي اختلط بفلسفة الرواقيين وجد في الإسكندرية مجالا خصبا ليعمل عمله، فسيرى متلونا بلون البيئة المصرية القديمة وبأديان الشرق. .. لا يمكن أن نستثني أفلوطين من التأثر بهذا التيار السكندري " [1]

ويشرح لنا صاحب الموسوعة الفلسفية الشاملة، فلسفة الصدور قائلا: " وهكذا فكل موجود فإنما يستفيد وجوده من الأول، ويقوم به ويعتمد عليه دون أن ينقص من الأول شيء، وإنما هو ينجذب إلى كماله فيتأثر به، ويستجيب له، وأول شيء انبثق عن الأول هو العقل، ويقال له الأقنوم الثاني. .. الأقنوم الثاني أو العقل الذي هو فيض الأقنوم الأول أو الواحد وصورة له وانعكاس لنوره، يجتهد قدر الإمكان أن يظل بالقرب من مصدره الذي استفاد منه الوجود، ولذلك فإنه فور صدوره عنه يلتفت إليه ليتأمله ومن هذا الالتفات أو التأمل يتولد الأقنوم التالي ولادة أبدية لا في زمان، فالتأمل بالنسبة إليه وإلى سائر الكائنات العقلية في العالم الأعلى هو في وقت واحد عمل عقلي مجرد وضرب من النشاط الخلاق المحسوس، وهكذا يفيض عن العقل جوهر أو كينونة هي الأقنوم الثالث أو النفس الكلية، هي أيضا صورة للأقنوم الثاني وانعكاس لنوره. .. ومن النفس الكلية فاضت فيوضات كثيرة . لافيض واحد فقط ـ هي نفوس الكواكب ونفوس البشر وسائر الموجودات في العالم المحسوس " [2]

وعن علاقة الإله بالوجود " فإن أفلوطين يفسرها بنظريته الهامة في الفيض emanation وقد كان لهذه النظرية أكبر تأثير في الفلسفة الإسلامية فيما بعد، يقول لأنه كامل فهو ينتج بالضرورة كائنات كاملة خالدة تشبهه، وإن لم تساوه في الكمال، وهو يفيض بالوجود بغير أن يتأثر بإرادة أو بحركة " [3]

---

[1] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 402 . 403 .

[2] المرجع نفسه ، ص 234 . 239 .

[3] المرجع نفسه ، ص 412 .

ـ نظرية العقول العشرة عند أفلوطين : وخلاصة هذه النظرية قائمة على مشكلة تصور علاقة الإله الكامل بالكون المباين له في هذه الصفة ، يقول سعد الدين السيد صالح: " وقد كانت المشكلة التي شغلت الفلاسفة هي مشكلة صدور العالم عن الله، وكيف يتصل الإله الكامل من كل وجه بهذا العالم الناقص المتغير ؟ وكيف يصدر هذا العالم المتعدد المتكثر عن الإله الواحد البسيط الذي لا كثرة فيه وعليه فلا بد من القول إما بوحدة العالم وإما بتعدد الخالق وكثرته، وكلاهما خلاف الواقع فما هو الحل ؟ " [1]

ويضيف في موضع آخر بقوله: " وهذا ما جعل أفلوطين المصري يؤسس ما يسمى بنظرية الفيض، حيث قال: إن الله كامل من كل وجه، وكل موجود يصل إلى كماله، وإذن فالموجود الكامل يلد دائما موجودا أدنى منه، ولكنه الأعظم بعده، فالله عقل وعاقل ومعقول، وهو من تعقله لذاته صدر عنه قهرا العقل الكلي والعقل الكلي يعقل ذات الله ويعقل ذاته، فمن تعقله لذات الله صدر عنه النفس الكلية وهي كلمة العقل الكلي وفعله، وبالتالي فهي مستمدة منه تتعقله، ومن تعقلها له تلد موجودات أدنى فتفيض عنها النفوس الجزئية وتخلق جميع الكائنات من الحيوانات والأرض والبحار والكواكب وتضع في المخلوقات النظام " [2]

وتدور تاسوعات أفلوطين " حول فكرة رئيسية هي فكرة واحدة وجود صدورية، وأفلوطين يصور العالم كنوع من الفيض التدريجي للحياة الإلهية التي تنبثق أصلا عن الواحد ثم لا تلبث أن تعود إليه الحياة فتمتص في ذاته كهدف نهائي الوجود، وفي نطاق عملية الفيض التي تأخذ في الانتشار ثم تتراجع فتصب في الوجود ثم العقل الفائض عنه ثم النفس الفائضة عن هذا العقل، وأخيرا نجد المادة وهي آخر مراتب الوجود نزولا من الواحد. .. وقد ذاعت فكرة الصدور عند المسلمين والمسيحيين في القرون الوسطى فيما بعد " [3]

---

[1] سعد الدين السيد صالح ، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية ، ط 1 ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، 1418 هـ . 1998 م ، ص 217 .

[2] المرجع نفسه ، ص 218 .

[3] كامل محمد محمد عويضة ، مرجع سابق ، ص 5 . 6 .

وعند أفلوطين " يجب أن نضع فوق كثرة المعقولات في العالم المعقول وحدة تتمثل في الواحد المطلق، ولما كانت الكثرة لاحقة لموحدة، والواحد سابق عليها وهو أكثر منها علوا، وهو الأول والمبدأ الذي تصدر عنه سائر الموجودات فيجب أن يكون هناك وسيط بين العقل والحس لكي يتحقق النظام في المادة، هذا الوسيط هو النفس وهو الأقنوم الثالث أي الوسيط بين العالم المعقول والعالم المحسوس، ومن هنا تكونت الأقانيم الثلاثة، ففي قمة الوجود الواحد ويصدر عنه العقل، وعن العقل تصدر النفس الكلية، وكل واحد من هذه الأقانيم يتضمن الموجودات جميعا، وهي فيه متماسكة وكل واحد منها يشمل سائر الموجودات بعضها عن بعض حتى تصل إلى درجة التشتت والانتشار في العالم المحسوس " [1]

والمشكلة عنده قائمة دائما على قضية علو الإله على المخلوقات، حيث لا يمكنه التواصل معها مباشرة وذلك " أن هذه النفس الكلية الشريفة لا تتعامل مع العالم الطبيعي مباشرة، لأن الأشرف لا ينبغي له أن يتصل بالأدنى منه كما أن الملك كما ذكرنا لا ينبغي أن يتعامل مع رعيته مباشرة، بل ينبغي أن يوجد لنفسه هيئة بواسطتها يتعامل مع الرعية، والهيئة هنا بالنسبة للنفس هي الطبيعة، إذ ينبغي للنفس أن تخلق المادة لكي تحل فيها من جهة ولا تحل فيها من الجهة الأعلى، وبذلك تكون هناك صلة بين العالم الأعلى وبين العالم الأدنى بواسطة النفس الكلية " [2]

يقول أفلوطين: " ولما كان هذا الروح كأنه الواحد فإنه يصنع ما يحاكي صنع الواحد، إذ إنه يفيض بقوة عظيمة " [3]

ويقول في موضع آخر: " إن ذلك الإله إنما كان مقيدا ليبقى دائما على ما هو في ذاته إذا، فتخلى لابنه عن الحكم في هذا العالم الكلي. .. هذا وإنه بعد تنازله عن كل الذي سبق ذكره أقام أباه في

---

[1] كامل محمد محمد عويضة ، مرجع سابق ، ص 7 . 8 .

[2] المرجع نفسه ، ص 42 .

[3] أفلوطين ، تاسوعات أفلوطين ، ترجمة فريد جبر ، مراجعة جيراد جهامي وسميح دغيم ، ط 1 ، مكتبة لبنان . ناشرون ، بيروت . لبنان ، 1997 ، ص 436 .

حدوده التي تنتهي إليه هو من فوق، ثم عين ما يمتد من الطرف الثاني بعده انطلاقا مما كان لابنه نفوذ عليه، فأصبح هو بين العالمين. .. فهو في الوسط بين أبيه الذي فوقه وابنه الذي تحته " [1]

ويقول أيضا: " هذا وإن النفس الكلية في الملأ الأعلى، وهي هنالك فطرة وجبلة ثم يليها العالم الكلي سواء أكان بما يجاورها منه أو بما كان منه تحت الشمس، فإذا تحركت النفس الجزئية إلى ما هو متقدم عليها ذاتا أشع النور عليها لأنها آنذاك في الحق حلت " [2]

ويقول: " ذلك لأن الواحد ما دام كاملا فإنه لا يسعى وراء شيء ولا يملك شيئا ولا يحتاج إلى شيء، فإنه يفيض وهو فيضانه الذي يبدع شيئا يختلف عنه، أما الشيء المبدع فإنه يكون قد التفت إلى الواحد، وامتلأ منه وأخذ ينظر إلى ذاته فأصبح هو الروح آنذاك. .. ولما كان هذا الروح كأنه الواحد فإنه يصنع ما يحاكي صنع الواحد إذ إنه يفيض عنه بقوة عظيمة " [3]

وكما تأثر الفكر العقدي المسيحي بنظرية أفلوطين فقد تعدى هذا الأثر إلى بعض المدارس الفلسفية الإسلامية فيما بعد، وقد أشار محمد علي ريان إلى ذلك فقال: " يرى أفلوطين أنه على قمة الوجود يوجد الواحد أي الله، وهو الخير بالذات الذي تصدر عنه الموجودات صدورا ضروريا عن طريق الفيض أو الإشعاع النوراني، ولذلك سميت هذه المدرسة بمدرسة الفيض وسميت الأقانيم الصادرة عن الواحد بالفيوضات أو التجليات، وقد تأثر المسلمون بهذا المذهب سواء في فلسفتهم أو في تصوفهم. .. ولكن الأفلاطونية المحدثة ما لبثت أن دخلت في غمار الثقافة المسيحية، وتأثر العالم المسيحي بآراء أفلوطين بعد أن ترجمت كتبه إلى اللاتينية في القرن الرابع الميلادي، وظهر أثر هذه الآراء واضحا في كتابات القديس أوغسطين، وقد تناول السريان رسائل أفلوطين بالشرح والتعليق وترجموها إلى لغتهم " [4]

---

[1] أفلوطين ، مرجع سابق ، ص 493 .

[2] المرجع نفسه ، ص 293 .

[3] المرجع نفسه ، ص 436 .

[4] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1410 هـ . 1990 م ، ص70.

كما أن نظرية أفكار الله " هي أساس الفلسفة الإلهية عند أفلاطون، وبمقتضاها علل الكون والتكوين، فالله هو روح العالم يحرك ولا يتحرك، ينظم الأحياء والأشياء. .. وبهذا نستطيع تلخيص فلسفة الإسكندرية المتمثلة في أمونيوس سكاس [1]وتلميذيه أوريجين وأفلوطين في:

أولا: لقد صدر الكون عن منشئ أول لا تبصره الأبصار ولا تحده الأفكار ولا تدرك كنهه العقول.

ثانيا: أن جميع الأرواح شعب واحد تتصل بالمنشئ الأول عن طريق العقل والعقل نشأ عن الأول مثلما ينشأ الولد عن والده.

ثالثا: هو الروح الذي تصدر عنه الحياة ويتصل به كل حي.

فإذا عبرنا عن المنشئ الأول بالآب وعن العقل المتولد عنه بالابن وعن الروح بروح القدس نلتقي مع المسيحية لقاء مباشرا دون اختلاف " [2]

وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى أن أفلوطين " قد أثرى الفكر المسيحي أيما إثراء إلى لدرجة ذهب فيها بعضهم إلى القول بأنه من المستحيل أن نفصل بين الأفلوطينية وبين المسيحية " [3]

---

[1] **أمونيوس سكاس** : " فيلسوف ولد في الإسكندرية حوالي 175 م وتوفس فيها سنة 242 م ، أسس المدرسة الأفلاطونية المحدثة في الإسكندرية ، من تلامذته أفلوطين " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 96.

[2] أحمد عمران ، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية ، د ط ، دار الوعي ، بيروت . لبنان ، د س ن ، ص 225 .

[3] كامل محمد محمد عويضة ، مرجع سابق ، ص 88 .

الفصل الثالث: الوسيط الكهنوتي في الفكر الإسلامي

المبحث الأول: فكرة الوساطة في مصادر الإسلام الأولى

تعد العقيدة المرتكز الرئيس الذي ينبني عليه التصور الديني ، وإننا إذا أمعنا النظر في القرآن الكريم . وهو المصدر الأول لرسالة الإسلام . سنجده يعتبر كل الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا بنفس العقيدة، وهذا ما عناه آي الكتاب العزيز في إطلاقه مسمى الإسلام بالمعنى العام، ذلك أن الذي دعا إليه المرسلون يرتكز على نفس المبدأ والاعتقاد ، والمتمثل في إفراد الله تعالى في كل ما يختص به من ربوبية وألوهية وأسماء وصفات ، فالعقيدة إذن واحدة وإنما اختلفت الشرائع والأحكام، وهذا ما سنشير إليه في ما يلي من مطالب.

المطلب الأول: في القرآن والسنة

لقد كان الوضع الديني العام الذي ساد الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام غارقا في أوحال الشرك على اختلاف تطبيقاته إلا النزر القليل من بقايا أتباع الحنيفية أو بعض أهل الكتاب ممن حافظ على شيء من نور النبوة، وأمام هذا الوضع كان على الرسول القادم أن يواجه هذا التيار الجارف والكم الهائل من المعتقدات و الأفكار المتجذرة لدى المجتمع العربي ابتداء، ثم عند مجتمعات أخرى لاحقا، فكانت الدعوة إلى نبذ مظاهر الشرك واجتثاثه من جذوره هي المهمة الأعظم

ومن خلال هذا المنطلق يمكن القول بأن فكرة الوساطة والكهنوت لا وجود لها في الإسلام أساسا وعن هذا يقول محمد عمارة: " إن السلطة الدينية تعني في كلمات بسيطة ودقيقة أن يدعي إنسان ما لنفسه صفة الحديث باسم الله وحق الانفراد بمعرفة رأي السماء وتفسيره، وذلك فيما يتعلق بشؤون الدين أو بأمور الدنيا.. وفيما يتعلق بالفكر الإسلامي فإن كل مذاهبه وتياراته الفكرية . باستثناء الشيعة . تنكر وجود السلطة الدينية وتنفي أن يكون من حق أي فرد أو هيئة إضفاء القدسية الإلهية على ما تصدر من أحكام وآراء، وخلف هذا الموقف المدني والمتقدم في التفكير يقف تراث الإسلام الحقيقي إذا ذهبنا نلتمسه من مصادره الجوهرية والنقية، قبل أن تطرأ عليه وتضاف إليه تلك التأثيرات التي دخلته من القصص العبراني ومن حضارات الفرس والروم، ذلك أن مقتضى التسليم بوجود

السلطة الدينية لفرد أو هيئة يقتضي إضفاء القداسة والعصمة. .. وهذه العصمة ينفيها الإسلام عن البشر جميعا، ولا يعترف بها إلا للرسول عليه الصلاة والسلام " [1]

ومع أن هذه العصمة ثابتة للأنبياء والرسل إلا أنها لا تتعدى جانب التشريع والتبليغ عن الله تعالى، ولا تصل إلى مرتبة الغلو في شخص النبي أو رفع مقامه فوق مقامات البشر.

ويضيف محمد عمارة قائلا: " وكل الصحابة ومن بعدهم أعلام الفكر الإسلامي سنوا سنة الاجتهاد، ولم يكن لرأي أحد منهم قداسة صاحب السلطة الدينية " [2]

إذن " فليس في الإسلام وسيط بين الله والعباد، ولا إنسان له صفة العصمة إلا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي، والذي وصفه ربه بأنه بشر ورسول، فليس لعلم الله وريث خاص ولم يوص الرسول إلى أحد بالإمامة من بعده. .. ولقد فصل الإسلام تماما بين الألوهية والبشرية والنبوة، فلا يمكن أن يرقى الإنسان إلى مرتبة الألوهية كما تقول بعض العقائد والفلسفات، وكذلك نظريات القطب، فليس من حق زعيم أي طائفة أن يدعو قومه إلى عبادته " [3]

ولا يحتاج المسلم إلى أية وساطة، ولا يمكن لأي كان أن يحتكر المفاهيم الدينية دون بقية الناس يقول عبد الله خليفة: " وقد جاء الشكل النبوي نفيا للشكل الكهنوتي، فلا تظهر بذلك فئة متخصصة في احتكار الدين وتكريس مظاهره وعباداته، فلا يحتاج المسلم في علاقته بربه إلى وساطة أحد، بل يمكنه عبادته في أي زمان أو مكان " [4]

وإن ما حدث لاحقا في بعض محطات التاريخ الإسلامي يعتبر نشازا عن القاعدة الأصلية المنبثقة من القرآن والسنة وتطبيقاتهما النبوية، ومصداق ذلك قول توفيق الطويل: " وبهذا كله خلا الإسلام من شيء اسمه السلطة الدينية، والخليفة لا يحتكر تأويل الكتاب والسنة ولا يعتبر معصوما من الخطأ فإن زل وجب تقويمه "، وأما ما حدث من اضطهاد بسبب تحالف السلطة الدينية مع السلطة السياسية في بعض مراحل التاريخ الإسلامي فإن " مردّ هذا الاضطهاد فيما نعلم إلى أسباب سياسية

---

[1] محمد عمارة ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1409 هـ . 1988 م ، ص 14 .
[2] المرجع نفسه ، ص 16 .
[3] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 115 .
[4] عبد الله خليفة ، مرجع سابق ، ص 134 .

أو شخصية، ونعني بالأخيرة حسد العلماء للمتفوقين منهم وضيقهم بشهرة غيرهم وذيوع اسمهم وقلقهم من ظهور رأي جديد لم يألفوه، وحرصهم على رأي قديم ثبتوا عليه وآمنوا بصحته. .. كثيرا ما كان المضطهد من الفلاسفة تترجح حياته بين عطف الحاكم وسخطه، يخضع في هذا لمدى استجابة الحاكم لوشاية خصومه وحساده ووساطة أصدقائه وأتباعه " [1]

وإن مصطلح رجل الدين الذي وجد في المسيحية من قبل لا يمكن إسقاطه على علماء الشريعة حيث " لم يجعل الإسلام للقاضي أو للمفتي أو لشيخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام، وكل سلطة يتولاها واحد من هؤلاء فهي سلطة نظامية قررها الشرع الإسلامي، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره " [2]

[1] توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، مرجع سابق ، ص 132 .

[2] محمد عزت الطهطاوي ، مرجع سابق ، ص 173 . 174 .

و فيما يلي سنذكر بعضا من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي تنفي فكرة الوساطة بين العبد وربه ، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر.

1 ـ من القرآن الكريم:

جاء في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٨﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٩﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٠﴾ ﴾

في هذه الآيات " يقرر الله كفر من زعم أن المسيح هو الله، تعالى الله عن قولهم وتنزه علوا كبيرا، مع أن المسيح عليه السلام دعاهم لعبادة الله وحده، وبين لهم أن من أشرك بالله فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة، وأنه ما له عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه، ثم قرر الله عز وجل كفر القائلين بالتثليث تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. ... ثم بين الله عز وجل حقيقة حقيقة المسيح وأنه ليس إلا رسولا له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه، وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، وأمه مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها فهي لم تصل إلى درجة النبوة لأنه لم تكن نبية أنثى قط، وأن المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام، فهما يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما، والافتقار دليل العبودية، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة"[1]

وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ قُلْ فَمَنْ يَّمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا اِنَ اَرَادَ أَنْ يُّهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ اِبْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُۥ وَمَن فِے ٱلاَرْضِ جَمِيعاًۗ وَلِلهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۗ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [2]

ففي هذه الآية " ذكر تعالى إفراط النصارى في حق عيسى حيث اعتقدوا ألوهيته. .. أي جعلوه إلها وهم فرقة من النصارى زعموا أن الله حل في عيسى. .. أي قل لهم يا محمد: لقد كذبتم فمن الذي يستطيع أن يدفع عذاب الله لو أراد أن يهلك المسيح وأمه وأهل الأرض جميعا، فعيسى عبد مقهور قابل للفناء كسائر المخلوقات، ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية، ولو كان إلها لقدر على تخليص نفسه من الموت " [3]

ويقول سعيد حوى: " وأي كفر أفظع من هذا الكفر، جعل البشر إلها. ... وقد عاشت عقيدة التوحيد بعد المسيح عليه السلام في تلامذته وفي أتباعهم. .. ثم وقعت بينهم الاختلافات، فمن

---

[1] سعيد حوى ، مرجع سابق ، مجلد 3 ، ص 1454 .

[2] المائدة : 19 .

[3] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، تجريد عبد الله إبراهيم الأنصاري ، د ط ، دار الصابوني ، مجلد 1 ، د س ن ، ص 215 .

قائل: إن المسيح رسول من عند الله كسائر الرسل، ومن قائل إنه رسول نعم، ولكن له بالله صلة خاصة، ومن قائل: إنه ابن الله لأنه خلق من غير أب، ولكنه على هذا مخلوق لله " [1]

وقال تعالى في موضع آخر :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2]

جاء في تفسير الآية: " أي أطاع اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم في التحليل والتحريم وتركوا أمر الله، فكأنهم عبدوهم من دون الله، والمعنى: أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم " [3]

---

[1] سعيد حوى ، مرجع سابق ، مجلد 3 ، ص 1368 . 1369 .

[2] التوبة : 30 . 31 .

[3] محمد علي الصابوني ، مرجع سابق ، مجلد 1 ، ص 397 .

2 . من السنة النبوية:

أخرج البخاري في صحيحه الحديث الآتي: عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله " [1]

و قوله: " (لا تطروني)، الإطراء: أي المدح بالباطل، (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك " [2]

كما أخرج البخاري في صحيحه أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله " [3]

قال الشارح: " ويحتمل أن يكون ذلك في الوقت الذي ذكرت فيه أم سلمة وأم حبيبة أمر الكنيسة التي رأتاها بأرض الحبشة، وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم " [4]

وورد في حديث آخر قوله عليه الصلاة والسلام: " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [5]

وفي نفس السياق يقول صلى الله عليه وسلم: " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " [6]

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : " واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها " مريم : 16 ، رقم الحديث : 3445 .

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ط 1 ، دار طيبة ، الرياض ، 1426 هـ . 2005 م ، مجلد : 08 ، ص : 85 . 86 .

[3] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة في البيعة ، رقم الحديث : 434 .

[4] ابن حجر العسقلاني ، مرجع سابق ، مجلد 2 ، ص : 172 . 173 .

[5] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، رقم الحديث : 435 .

[6] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب : الصلاة في البيعة ، رقم الحديث : 437 .

المطلب الثاني: الحوار العقدي في القرآن الكريم حول فكرة الوساطة:

أ . مفهوم الحوار العقدي :

1 . مفهوم الحوار:

لغة: الحَوْرُ: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وحار إلى الشيء، وعنه حَوْرًا ومَحَارًا ومَحارَةً، وحُؤورًا: رجع إليه وعنه.

وكلّمتُه فما رجع إليَّ حَوارًا، وحِوارًا، ومُحاوَرَةً وحَوِيرًا، ومَحُورةً أي: جوابًا.

والمُحاوَرَةُ: المُجاوَبَةُ، والتّحاورُ: التّجاوبُ. [1]

ب . اصطلاحا: المقصود بالحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح المواقف، أو إظهار الحُجج. [2] والحوارُ هو المُراجعةُ في الكلامِ، والتّجاوبُ بما يقتضي ذلك من رَحَابَةِ الصّدرِ، وسماحةِ النّفسِ، ورَجاحةِ العقل، والتّعامُل المتحضّر الرّاقي مع الأفكار والآراء جميعًا. [3]

2 . العقدي:

أ . لغة: عقد: العقد نقيض الحلّ، وعقد العهد واليمين يعقدهما عقدا وعقّدهما أي أكّدهما، والمعاقدة: المعاهدة والميثاق، والعقد: العهد، واعتقد الشيء: صلب واشتد. [4]

ب . اصطلاحا: العقيدة هي: " الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل " [5]

والعقيدة بالمفهوم العام: " هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه الشك لدى معتقده "، أما العقيدة الإسلامية فهي: " الاعتقاد الجازم بأركان الإيمان وأصول الدين وثوابته، وكل ما ثبت عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم من الأمور القلبية والعلمية والقولية ". [6]

---

[1]- ابن منظور ، ، لسان العرب ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 2005 م . 1426 هـ، جـ 3 ، ص 204 . 205 .

[2]- صالح بن عبد الله بن حميد ، أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، ط 1، دار المنارة ، جدّة ، السعودية 1415هـ . 1994م ، ص 6.

[3] - عبد العزيز عثمان التويجري ، الحوار من أجل التعايش ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر، 1419هـ . 1998م ، ص 13 .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ص 3031 . 3032 .

[5] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، 1425 هـ . 2004 م ، ج 2 ، ص 614 .

[6] علي بن نايف الشحود ، الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية ، ط 1 ، دار المعمور ، ماليزيا ، 1430 هـ . 2009 م ، ص 4.

3 . مفهوم الحوار العقدي : مما سبق يمكن القول بأن: الحوار العقدي هو سلوك حضاري راق ينطلق من مناقشة كل طرف للآخر بالحجج والبراهين للوصول إلى الحق و فهم الآخر من منطلقاته الفكرية والعقدية التي يؤمن بها، دون التعصب والاعتماد على الأفكار النمطية المسبقة.

ب . نماذج من حوارات القرآن الكريم لأصحاب المعتقدات والأديان: مما يدل على دقة القرآن الكريم وتحريه للحق أنه ذكر بعض العقائد المعاصرة له أو التي سبقته، مبينا أدق ما تتميز به مناقشا لها بالحجة والبرهان، بل نجده يذكر شبهات هذه العقائد ثم يناقشها ليثبت مكامن الخلل فيها، ولهذا فقد ارتأينا أن نذكر بعضا من هذه الحوارات كالآتي :

1 ـ حواره للمشركين : لقد حاورهم القرآن الكريم في مواضع كثيرة، نذكر بعضا منها:

. الآية الأولى: قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلَ اَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلاَ فِي ٱلاَرْضِۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلِىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]

يقول ابن كثير في معنى الآية: " ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئا " [2]

. الآية الثانية: قال عز وجل في موضع آخر: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْۚ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباًۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[3]

ذكر ابن كثير في معنى الآية ما يلي : " فذكر الله عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر و الكذب، فأولا جعلوهم بنات الله ، فجعلوا لله ولدا وجعلوا ذلك الولد أنثى ، ثم عبدوهم من دون الله "، ثم ختم معنى الآية بقوله: " فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين " أي: " هاتوا برهانا على ذلك يكون

---

[1] – يونس : 18.

[2] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت . لبنان ، 1420 هـ . 2000م ، ص 927

[3] الصافات ، 149 . 158 .

مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله أنه اتخذ ما تقولونه ، فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل، بل يجوزه العقل بالكلية " [1]

. الآية الثالثة: ونقرأ في آية أخرى قوله تعالى: ﴿ أَلاَ لِلهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَالذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوَ ٱرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ٱلاَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ۝ ﴾ [2]

وخلاصة ما جاء في تفسير الآية أن الله تعالى لا يقبل عملا غير خالص لوجهه الكريم و أن ما وقع فيه المشركون من اتخاذ آلهة غير الله تعالى أو معه إنما اتخذوهم " ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا. .. ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك " [3]

ثم يخبر تعالى أنه الخالق المتصرف في الكون لا يحتاج إلى ند ولا شريك مخاطبا لعقولهم أن " هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك. .. لا تنبغي العبادة إلا له وحده. .. فكيف تعبدون معه غيره، أين يُذهب بعقولكم؟! " [4]

---

[1] ابن كثير ، مرجع سابق ، ص 1596 .

[2] الزمر ، 3 . 6

[3] ابن كثير ، مرجع سابق ، ص 1614

[4] المرجع نفسه ، ص 1615 .

2 . حواره لأهل الكتاب (اليهود والنصارى): وهنا سنرى بأن حواره لهؤلاء يختلف عن حوار المشركين، حي أنه يذكرهم في الكثير من الأحيان بالأصل السماوي لأديانهم، ويبين لهم مواطن الخلل والتحريف الذي طال كتبهم، ويناقشهم مطالبا إياهم بالإتيان بدليل على صحة ما يعتقدونه ويدينون به، وفيما يلي بعض من نماذج هذه الحوارات:

الآية الأولى: قوله تعالى :﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1]

يقول الطبري في تفسير الآية: " يعني بذلك جل ثناؤه: قل يا محمد لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل: تعالوا: هلموا إلى كلمة سواء يعني: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، والكلمة العدل هي: أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئا، وقوله: ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا، يقول: ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله، ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه " [2]

الآية الثانية: من سورة النساء، قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلاَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴿١٧٠﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴿١٧١﴾ ﴾ [3]

والآية خاطبت النصارى وبينت فساد عقيدتهم فيما يتعلق بشخص عيسى عليه السلام، وقد جاء في معناها: " يا أهل الكتاب أي: يا أهل الإنجيل من النصارى لا تغلوا في دينكم يقول: أي

---

[1] – آل عمران : 64.

[2] محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري من كتابه : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تهذيب وتحقيق : بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1415 هـ . 1994 م ، مج 2 ، ص 270 .

[3] النساء : 170 . 171 .

لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسى غير الحق، فإنّ قيلكم في عيسى إنه ابن الله قول منكم على الله غير الحق لأن الله لم يتخذ ولدا " [1]

كما عابت الآية على النصارى ادعاءهم عقيدة التثليث و بينت بطلانها ابتداء وذلك لأن: " من كان له ولد فليس بإله، وكذلك من كان له صاحبة فغير جائز أن يكون إلها معبودا. .. ثم أخبر جل ثناؤه عباده: أن عيسى وأمه ومن في السموات ومن في الأرض عبيده وإماؤه وخلقه، وأنه رازقهم وخالقهم، وأنهم أهل حاجة وفاقة إليه. .. وأنه لو كان كما قالوا لم يكن ذا حاجة إليه ولا كان له عبدا مملوكا " [2]

. **الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرُ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [3]

أشارت الآية إلى اتخاذ اليهود أحبارهم وهم " العلماء والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم أربابا من دون الله، يعني: سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم، ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم " [4]

---

[1] الطبري ، مرجع سابق ، مج 2 ، ص : 614 .

[2] المرجع نفسه ، مج 2 ، ص : 617. 618 .

[3] التوبة : 30. 31 .

[4] الطبري ، مرجع سابق ، مج 4 ، ص 101 .

المطلب الثالث: بداية تأثر الفكر الإسلامي بغيره من الأفكار والفلسفات:

لقد عرفت بعض الاتجاهات الفكرية في تاريخ المسلمين أصنافا من غلاة المتزمتين من المؤمنين، ولعل مما ساعد في سلوك هذه الطوائف مسالك بعيدة عن جوهر رسالة الإسلام. المرتكز أساسا على التسامح. ذلكم التعصب الديني والذي لا يفضي إلى الاضطهاد الدامي إلا إذا تحالف مع السلطة الدنيوية السياسية الفاسدة، وإنه من نافلة القول أن نذكر بأن الأصل في الإسلام هو عدم وجود هاته السلطة الدينية لأحد على غيره كما سبقت الإشارة إليه، ولا يمكن لأحد احتكار فهم النصوص أو امتلاك سلطة كهنوتية تمكنه من غفران الذنوب. كما حدث في المسيحية. وحتى الرسول نفسه. على علو قدره ومكانته. فقد خاطبه الحق تعالى بقوله : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢ ﴾[1]، فمهمته تنتهي بإبلاغ الدعوة وتوصيلها.

يقول توفيق الطويل: " هذا من الناحية الشكلية، أما الذي حدث بالفعل فهو أن بعض رجال السلطة الزمنية في الإسلام قد استجابوا في بعض مراحل تاريخه لتزمت المتعصبين من أهله أو انقادوا لتعصبهم الذميم أو لحرصهم على مصالحهم أو لرغبتهم في تملق الطبقات الدينية واكتساب مرضاة الجماهير، وانطلقوا باسم الدين إلى قتال بعض الطوائف والفرق الدينية، ومناهضة رواد الفكر الحديث ومقاومة كل خارج عن تعاليم الإسلام. .. ومن هنا دخلت السياسة وتولت باسم الدين في كثير من الحالات اضطهاد الأحرار، فكانت مذابح وحروب قيل أنها تشبه من بعض الوجوه ما عرفته المسيحية من مذابح وحروب، وإن لم تصدر. مع قلة عددها وخفة تبعاتها. عن سياسة دينية أو مذهبية منظمة ترمي إلى قمع الزندقة، وتهدف إلى التنكيل بكل من جنح عن تعاليم الإسلام " [2]

ويضيف في موضع آخر: " والمعروف أن الاضطهاد قد تسبقه مرحلة جمود وتزمت يضيق فيها الناس بكل جديد لم يألفوه من قبل، وقد يبادرون أهله بالمروق والكفر وعندئذ يكون الاضطهاد، إذ كثيرا ما تستجيب السلطات المدنية لمشاعر الجامدين وتنكل بكل من جنح عن القديم المألوف، أو تضيق عليه الخناق على أقل تقدير " [3]

---

[1] الغاشية : 21. 22 .

[2] توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 146 .

[3] المرجع نفسه ، ص 152 .

وقد أشار محمد عمارة أيضا إلى تأثير السلطة السياسية على فكرة القداسة والعصمة لأصحاب المناصب الدينية فيقول: " وفي فترات من تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية تسربت عناصر من هذه النظرية إلى قطاع محدود من الفكر السياسي، ودعا إليها نفر قليل من مفكري الإسلام هم أئمة الشيعة. .. ولقد كانت الدعوة إلى السلطة الدينية وصبغ نظام الحكم وسلطات الحاكم بصبغة الدين وتوحيد السلطتين الدينية والزمنية في سلطة واحدة، كانت الدعوة إلى هذا اللون في السلطة فكرا وتطبيقا تنطلق أحيانا من منطلق التبرير لمظالم السلطة البشرية القائمة، ومحاولة تأييد الجور وتأبيده عن طريق الزعم بأن سلطان هذه السلطة وسلطاتها إنما هي ذات طبيعة دينية، فالصلة بينها وبين السماء ووكالتها عن الله، فحسابها أمامه وإليه وليس للأمة دخل أو مدخل في كل هذه الأمور. .. كان ذلك هو منطلق هذه النظرية والدافع إليها في الكسروية الفارسية والقيصرية الرومانية والحكم بالحق الإلهي بأوروبا في العصور الوسطى، وأيضا في فترات التاريخ السياسي الإسلامي، ولدى نفر من الفقهاء الذين دعوا قديما أو حديثا إلى هذا اللون من الفكر الغريب عن روح الإسلام " [1]

كما أشار عمارة إلى أن فكرة الوساطة والقداسة إنما نشأت في محضن الفكر الشيعي حيث يقول عن ذلك: " وفي أحيان أخرى كان منطلق هذه الدعوة هو المعارضة للسلطة البشرية القائمة والظالمة، كما حدث إبان نشأتها على يد الشيعة في تراثنا الفكري، فلقد كانت يومئذ رفضا للسلطة البشرية الظالمة وحلما مثاليا بسلطة دينية إلهية عادلة، يختار فيها الله سبحانه ذات الحاكم . الإمام . ويصنعه على عينه ويعصمه من الخطأ ويسلحه بعلم غير محدود، ويمنحه ما منح أنبياءه ورسله من تأييد. .. وذلك حتى يكون هذا الحاكم الديني ذو السلطة الإلهية هو البديل لسلطة البشر الظالمة " [2]

ومن الأمثلة التاريخية عن ذلك " المرسوم الذي أصدره الخليفة العباسي القادر (381 . 423 هـ / 991 . 1031 م)، والذي سماه: الاعتقاد القادري وحرم فيه فكر المعتزلة العقلاني وعده فسقا وكفرا وزندقة وإلحادا، بل وأحل دماء المخالفين لفكر هذا المرسوم، فجاء صورة من صور مراسيم المجامع الكنسية التي استندت إلى السلطة الدينية في تجريم أفكار الخصوم وتحريم آراء المعارضين " [3]

---

[1] محمد عمارة ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، مرجع سابق ، ص 10 . 11 .

[2] المرجع نفسه ، ص 11 .

[3] المرجع نفسه ، ص 19 .

وقد " ذكر ابن الجوزي في أخبار سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة أنه في هذه السنة قرئ الاعتقاد القادري في الديوان، أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء قال: أخرج الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو جعفر بن القادر بالله في سنة نيف وثلاثين وأربعمائة الاعتقاد القادري الذي ذكره القادر، فقرئ في الديوان وحضر الزهاد والعلماء، وممن حضر الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني، فكتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء وكتب الفقهاء خطوطهم فيه: إن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر، هكذا ولأول مرة في تاريخ الإسلام وتماما على طريقة مجمع نيقيا غدا النص المركزي مقيدا بنص فرعي، وغدا التقيد بالنص الثاني مقدما على التقيد بالنص الأول، وغدا عدم التقيد بالفرع المقيد للأصل فسقا وكفرا " [1]

وهنا نلاحظ تغيرا مفصليا في تاريخ الفكر الديني وكذا السياسي لدى نظام الحكم في بعض الأمصار في البلاد المسلمة حيث سلكت بعض المذاهب والفرق طريق المسيحية من قبل، وقد أشار إلى ذلك جورج طرابيشي بقوله: " ولئن يكن تنصر الدولة في عهد قسطنطين هو ما ضمن الانتصار للأورثودكسية المسيحية، فإن يد السلطة لم تكن بعيدة عن هيمنة العقيدة القويمة في الثقافة العربية الإسلامية " [2]

ثم يضيف: " إن المنطق السلطوي للعقيدة القويمة قد وجد مرتكزا مكينا له في حديث الفرقة الناجية، فاحتكار تمثيل العقيدة القويمة على الأرض لا بد أن يوازيه ويكافئه في السماء احتكار الخلاص الأخروي " [3]

وعن تأثر الفكر الإسلامي بالفكر المسيحي يقول محمد عبد الرحمن مرحبا: " وفضلا عن ذلك فإن احتكاك المسلمين الأولين برجال الكنيسة في الشام وما بين النهرين والمناقشات الشفوية التي دارت بين الفريقين في المدارس الملحقة بالكنائس والأديرة، بل ودخول الكثيرين من المثقفين المسيحيين في الدين الإسلامي، كل أولئك وكثير غيره يدل دلالة واضحة على أن القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) كان بدء اتصال المسلمين بالآراء الفلسفية اليونانية والمسيحية الغنوصية القديمة " [4]

---

[1] جورج طرابيشي ، مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام ، مرجع سابق ، ص 101 .

[2] المرجع نفسه ، ص 115 .

[3] المرجع نفسه ، ص 119 .

[4] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص 293 .

و " في أوربا في العصور الوسطى كان الأباطرة والملوك يستبدون بالسلطة، ولإضفاء جانب القداسة على حكمهم مزجوه بالصبغة الكهنوتية، فهم في نظر العامة يحكمون بالحق الإلهي، وهم نواب عن السماء لا يمكن معارضتهم ولا التفكير في إزالتهم، وبالمقابل فإن ظهور فكرة التقديس في العالم الإسلامي فإن لها ملابسات قد تختلف بعض الشيء، ففي النصف الثاني من القرن الأول الهجري كانت الدولة الأموية تستبد بالسلطة وحولت الخلافة المبنية على الشورى واختيار الأفضل إلى ملك عضوض، ومارست أنواع الاضطهاد والقهر ضد الحركات المعارضة، ومن أبرز هاته الحركات الشيعة، حيث ظهرت لدى هاته الطائفة في ظل هاته الظروف نظرية السلطة الدينية أو الحق الإلهي عند الشيعة، والتي تمنح العصمة للأئمة وتضفي عليهم هالة من القداسة لا يمكن لأي من البشر الاعتراض عليها سواء أكان ذلك في التشريع أو التنفيذ، وعبر مراحل لاحقة على اختلاف النوايا والغايات كانت النتائج شبيهة بين كهنوت الكنيسة الكاثوليكية في أوربا والشيعة في الحضارة الإسلامية " [1]

وقد كان للترجمة دور كبير في نقل الأفكار الفلسفية الجديدة للعالم الإسلامي، ومن أبرز المترجمين والنقلة عن السريانية واليونانية: [2]

. ماسرجويه الطبيب السرياني اليهودي: ترجم كناش القس أهرون بن أعين الطبيب الإسكندراني عن السريانية.

. عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي المتوفى سنة 220 هـ . 835 م: ترجم كتاب الأغاليط سوفسطيقا، الحكمة المموهة، المغالطة والأغاليط لأرسطو، وترجم أيضا شرح يحي النحوي على كتاب السماع الطبيعي لأرسطو، وترجم أيضا أجزاء من تاسوعات أفلوطين "

. حنين بن إسحاق (260 هـ . 872 م): من أشهر النقلة والمترجمين، كان مسيحيا نسطوريا، اختاره المأمون لرياسة بيت الحكمة، وقد ترجم كتب أرسطو، كما ترجم لأفلاطون.

. إسحاق بن حنين: المتوفى سنة 298 هـ . 911 م، كان معاصرا لابن الرومي، ترجم كتاب السوفسطائي لأفلاطون، وما بعد الطبيعة والنفس والكون والفساد لأرسطو.

. ثابت بن قرة: المتوفى سنة 288 هـ . 901 م، وهو من أشهر علماء الصابئة في العهد الإسلامي.

---

[1] محمد عمارة ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، مرجع سابق ، ص 22 . 23 .

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص 307 . 308 .

. قسطا بن لوقا: يوناني الأصل، ولد ببعلبك وعرف بالبعلبكي، توفي سنة 300 هـ . 912 م.

. يحي بن عدي المنطقي: المتوفى سنة 364 هـ . 974 م، من أشهر مترجمي القرن الرابع للهجرة.

ومن أبرز المترجمين عن الفارسية والهندية واليونانية: [1]

. عبد الله بن المقفع: المتوفى سنة 143 هـ . 760 م، نقل الكثير من التراث الفارسي القديم إلى العربية.

. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حبيب الفزاري الكوفي: المتوفى سنة 161 هـ . 777 م، وهو من علماء الشيعة في عصر المنصور، اشتهر بعلم النجوم والترجمة من الهندية إلى العربية.

. أبو سهل الفضل بن أبي سهل بن نوبخت: المتوفى حوالي سنة 203 هـ . 815 م، عاش في عصر الرشيد والمأمون، نقل من الفارسية إلى العربية.

. الحسن بن موسى النوبختي: المتوفى حوالي 310 هـ . 923 م، ترجم من اليونانية إلى العربية.

ولا شك أن هذه الترجمة قد نقلت كثيرا من الأفكار . لاسيما . ما تعلق بالفلسفة اليونانية إلى الفكر الإسلامي، وقد سبق الحديث في الفصل الثاني عن ألأثر الكبير الذي طال الفكر المسيحي من خلال هذه الفلسفة، وأبرز مظاهره ما اتضح في إنجيل يوحنا، ثم تعدى هذا الأثر إلى الفكر الإسلامي.

---

[1] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص 309 . 310 .

المبحث الثاني: الوساطة في الفكر الشيعي:

المطلب الأول: عند عموم الشيعة :

. تعريف مصطلح الشيعة في اللغة :

جاءفيلسان العرب :

" **والشيعة** : القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فه شيع ، وأصل الشيعة : الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالىعليا وأهل بيته رضوانالله عليهم أجمعين، حتى صارلهم اسما خاصا ... وأصل ذلك من المشايعة ، وهي المتابعة والمطاوعة .

والأشياع أيضا : الأمثال، والشيعة: الفرقة.

ويقال: فلان يشيعه علىذلك أي: يقويه، ومنه تشييع الناربإلقاء الحطب عليها يقويها.

وشيعه وشايعه كلاهما : خرج معه عند رحيله ليودعه ويبلغه منزله، وقيل هو:أنيخرج معه يريد صحبته وإيناسه إلى موضع ما " [1]

[1] ابن منظور ، مرجع سابق ، ص 2377 .

. تعريف الشيعة في الاصطلاح :

تطلق تسمية الشيعة على الذين " شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته نصا ووصية إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، قالوا وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية، هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا على الكبائر والصغائر " [1]

ويقول مصطفى غالب: " فالفئة التي والت علي بن أبي طالب وأقرت له بالإمامة والخلافة من بعد النبي سميت بالشيعة لكونها شايعته وبايعته، وتطورت العقيدة الشيعية بمرور الزمن فأصبحت الولاية والإمامة ركنا من أركان الدين وأنها واجبة على الله تعالى من باب اللطف ووجوب نصبه من قبله تعالى لإقامة الحجة البينة على عباده. .. ودفعهم هذا التطور إلى تقصي الأحكام الإسلامية في القرآن لدعم آرائهم واكتشاف الحجج التي تثبت معتقداتهم. .. والمذاهب الباطنية اعتمدت في أصولها المذهبية الشيعية والتقت مع الشيعة في أكثر من نقطة وأبعد من غاية، وأبرز أوجه التلاقي عند الباطنية والشيعة قضية الإمامة وضرورة وجود الإمام المنحدر من صلب علي بن أبي طالب صاحب الحق الشرعي في الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن حفدة النبي أحق الناس بأن يعرفوا حقيقة رسالة جدهم، فهم ورثة علم النبي، خصهم به ليكونوا حجة على المسلمين من بعده" [2]

---

[1] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 144 . 145 .

[2] مصطفى غالب ، الحركات الباطنية في الإسلام ، د ط ، دار الأندلس ، بيروت ، لبنان ، د س ن ، ص 48 . 49 .

. غلو الشيعة في شخص الإمام علي رضي الله عنه : وقد " أضفى الشيعة جميعا على علي بن أبي طالب قداسة خاصة تأرجحت بين كونه وصيا ووليا وإماما ومهديا ونبيا وإلها. .. وأول صورة نجدها للغلو في علي هي صورة السبئية. .. وقد نسبت السبئية إلى عبد الله بن سبأ وتجمع المصادر السنية والشيعية أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا يمنيا فأظهر الإسلام. .. وقد تنقل بين صنعاء والحجاز والبصرة والكوفة حتى استقر في مصر، وقد أوحى إلى الناس كلاما مضمونه: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل: بلى فيقول له: فرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام ثم يقول: وقد أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو الأحق بالإمرة من عثمان " [1]

وقد بالغت الشيعة في تقديس علي رضي الله عنه إلى درجة أن الأوائل منهم ذهبوا إلى: " ولاية علي وعصمته، وأنه العلم النبوي الخاص الذي لم يطلع عليه النبي غيره حين أدركته منيته، وفي الكوفة أيضا آمن الشيعة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك لعلي كتبا خاصة، ثم حددت الشيعة المتأخرة هذه الكتب بالكتب الآتية: مصحف فاطمة وعلى هامشه علم ما كان ويكون وما هو كائن، وقد أملاه النبي على وصية صاحب الأمر بعده.. وصور الشيعة عليا وبيده كرامات لا تقل عن المعجزات، وعددوا هذه الكرامات بل تكلموا عن بدء وجوده " [2]

ويضيف مصطفى غالب : " ولا بد للباحث في شؤون الحركات الباطنية في الإسلام من التحدث عن الإمام جعفر الصادق مفجر الثقافات الفكرية الإسلامية وعميد المدارس الفلسفية الباطنية في الإسلام " [3]

وهناك اختلاف بين فرق الشيعة في خصوصية الإمامة، وفيمن تكون، يقول مصطفى غالب عن ذلك : " والاختلاف بين عموم الفرق الشيعية هو في سوق الإمامة وفي أشخاص الأئمة، فالكيسانية منهم أخرجوها عن ولد فاطمة بعد الاعتراف بإمامة علي والحسن والحسين، وكذلك صنع الزيدية فإنهم لم يعترفوا بإمامة الأئمة من بعد الإمام الرضا، لعدم تحقق شرائط الإمامة فيهم على مذهبهم،

---

[1] علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط 8 ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ج 2 ، ص 36 . 37 .

[2] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 43 . 44 .

[3] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 50 .

وأما الإسماعيلية فقد وافقوا الإمامية في إمامة خمسة منهم وافترقوا عنهم في إمامة السادس، وهو عند الإمامية السابع السابع إسماعيل بن جعفر وولده مبتدئة بمحمد بن إسماعيل وبعقبه إلى يوم الناس هذا، وعلى العموم فإن جميع الفرق الشيعية ما خلا القليل منها يحصرون الإمامة بآل علي وفاطمة من بني الحسن والحسين عند الزيدية " [1]

[1] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 57 .

المطلب الثاني: لمحة عن فكرة الوسيط عند بعض فرق الشيعة :

وسنذكر بعضا من هذه الفرق التي يطلق عليها أيضا: الفرق الباطنية فيما يلي:

. **الناووسية:** التي تزعم أن جعفر الصادق لم يمت ولا يموت، وهوالقائم المهدي الذي سيعود ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

. **الموسوية:** أتباع الإمام موسى الكاظم، وتتبع مذهبا باطنيا غير الاثني عشرية.

. **الإسماعيلية:** القائلة بإمامة إسماعيل أكبر أبناء جعفر الصادق.

. **المفضلية:** وتنسب إلى المفضل بن عمر الجعفي تلميذ الإمام جعفر الصادق، وكانت هذه الفرقة الأساس الذي شيدت عليه النصيرية قواعد مذهبها [1]

. البيانية: أتباع بيان بن سمعان النهدي، قالوا بنتقال الإمامة من أبي هاشم إليه، وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: وحل في علي جزء إلهي واتحد بجسده فيه، كان يعلم الغيب. .. ثم ادعى بيان أنه انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماما وخليفة، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم سجود الملائكة " [2]

. الإمامية: " وهم القائلون بإمامة علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين " [3]

. الإسماعيلية: " قالوا إن الإمام بعد جعفر، إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده " [4]

. الاثنا عشرية: " إن الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الإمامة بعده في أولاده، فقالوا الإمام بعد موسى ابنه علي الرضا. .. ثم بعده محمد التقي. .. ثم بعده علي بن محمد التقي. .. وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه القائم المنتظر. .. وهو الثاني عشر " [5]

---

[1] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 60 .

[2] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 151 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 163 .

[4] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 170 .

[5] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 171 . 172 .

. الغالية (غلاة الشيعة): " الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية. .. وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق " [1]

. السبئية: " أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي عليه السلام: أنت أنت، يعني أنت الإله فنفاه إلى المداين، وزعموا أنه كان يهوديا فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى مثل ما قال في علي عليه السلام، وهو أول من أظهر القول بالفرض بإمامة علي " [2]

. النصيرية: " من غلاة الشيعة. .. ومن عقائدهم إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم " [3]

. الباطنية: " وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا. .. ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة. .. قالوا: وكذلك نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته، أبدع العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس الذي هو غير تام. .. قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال، واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس. .. واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الإنسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار " [4]

يقول مصطفى غالب: " ولم يبق من الفرق الباطنية المعروفة في التاريخ حتى الآن إلا ثلاث فرق رئيسية لا تزال تحافظ على التراث الباطني القديم وهي: الإسماعيلية بفروعها والنصيرية والدرزية " [5]

ثم يضيف: " والتأويل حسب المفهوم الإسماعيلي يختلف تمام الاختلاف عن التفسير كما يفهمه عامة الفرق الإسلامية الأخرى، لأن التفسير يقصد به شرح أو ترجمة المعنى لكل كلمة أو جملة عامة لا يفهم معناها، أما التأويل فيقصد به باطن المعنى أو رموزه وإشاراته أو الجوهر الخفي وراء الكلمة

---

[1] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 176 .

[2] المرجع نفسه ج 1 ، ص 177 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 192 . 193 .

[4] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 201 . 203 .

[5] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 61 .

التي لا تدل عليه، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن المذهب الإسماعيلي يخص الناطق (النبي) بالتفسير الظاهر، ويعطي حق التأويل الباطن للإمام، لأن الناطق حسب أصول المذهب الإسماعيلي يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر أما الإمام فتجسد فيه الحقيقة والتأويل والفلسفة الباطنية، باعتبار أن القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه الظاهر للناس، فهو إذا صاحب التنزيل للقرآن، أما أسرار القرآن التأويلية الباطنية وإظهار معاني الرموز والإشارات فقد خص بها علي والأئمة من بعده إلى يوم الدين " [1]

واعتبر الإسماعيلية الولاية أفضل دعائم الدين " فإن أطاع المؤمن الله تعالى وأقر برسالة الرسول الكريم وقام بفروض الدين كلها ثم عصى الإمام أو كذب به فهو آثم في معصيته وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول " [2]

كما أن الإسماعيلية تقول بأن تعيين الإمام سابق في النص، " ومن أصول العقيدة الإسماعيلية ضرورة وجود الإمام المنصوص عليه من نسل علي بن أبي طالب، والنص على الإمام يجب أن يكون من الإمام الذي سبقه بحيث تتسلسل الإمامة في الأعقاب، ولا تزال الإمامة المحور الذي تدور عليه كل التأويلات الباطنية وفلسفتها، لأن الإمامة حسب المفهوم الإسماعيلي ركن أساسي لجميع أركان الدين " [3]

وإننا نلمح هنا شبها واضحا ببعض العقائد المسيحية خصوصا، مثلا ما تعلق بدينونة المسيح وأنه كلمة الله بالمفهوم المسيحي وغير ذلك، يقول مصطفى غالب: " ومن الملاحظ أن الإسماعيلية يعتبرون من حيث الظاهر أن الأئمة من البشر وأنهم خلقوا من طين، فهم يتعرضون للأمراض والموت مثل غيرهم من بني آدم، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون على الإمام نعوت وجه الله، ويد الله وجنب الله، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو الصراط المستقيم والذكر الحكيم إلى غير ذلك من الصفات " [4]

---

[1] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 93 .

[2] المرجع نفسه ، ص 98 .

[3] المرجع نفسه ، ص 98 .

[4] المرجع نفسه ، ص 98 .

ومن عقائد الإسماعيلية أن الإنسان مثلا " لا يعرف إلا بوجهه ولما كان الإمام هو الذي يدل العالم على معرفة الله، فبه إذن يعرف الله فهو وجه الله الذي يعرف به الله، وأن اليد هي التي يدافع بها الإنسان عن نفسه، والإمام هو الذي يدافع عن دين الله، فهو على هذه المثابة يد الله " [1]

[1] مصطفى غالب ، مرجع سابق ، ص 99 .

. المطلب الثالث: سلطة الإمام عند الشيعة الإسماعيلية:

قد حدث عند هذه الفرقة مثل ما حدث للمسيحيين القائلين بالتقليد الكنسي، وغفران الذنوب، حيث يقوم الإمام مقام الوسيط الذي يغفر و يكون بابا إلى الله، يقول عبد الرحمن بدوي: " كذلك يجب على المؤمنين أن يخبروا الإمام بأحوال أنفسهم وأن يسألوه في شؤونهم وأن يلتمسوا لديهم الاستغفار عند الله مما يرتكبون من آثام، ذلك أن الله جعل الأئمة أبوابا لرحمته تعالى وأسبابا لمغفرته، فمن خالف الله في شيء فعليه أن يأتي الإمام ويرفع الأمر إليه تائبا متنصلا مما صار إليه مستغفرا مما ارتكب من ذنوب في حق الله، مستشفعا إلى الله بإمام دهره من هذه الذنوب، فمن أراد غفران الله فليجأ إليه من أبوابه وهم الأئمة " [1]

ونجد الدليل على ذلك من مظانهم ومصادر مذهبهم، فها هو القاضي النعمان يقول: " فينبغي لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون في جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقد إمامتهم اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه وسخطهم مقرون بسخطه، وأن التوبة لا تكون إلا بالإقلاع عنه حتى يرضى ما رضوه ويسخط ما سخطوه ويحب ما أحبوه ويكره ما كرهوه، ويعتقد ذلك قولا وفعلا ونية وعملا، ولو كان ذلك فيه حتف نفسه واستهلاك أهله وماله وولده " [2]

ويقول في موضع آخر: " فينبغي لأتباع الأئمة أن يعلموا أن الله عز وجل جعلهم لهم أبوابا لرحمته وأسبابا لمغفرته، فمن خالف شيئا مما عاهدهم عليه أو ضيع أمرا تقدموا إليه أو اقترف شيئا أشفق منه، فعليه أن يأتيهم ويرفع ذلك من أمره إليهم تائبا متنصلا مما صار إليه مستغفرا من ذنوبه فيه، مستشفعا إلى الله بإمام دهره من ذنبه " [3]

ويقول أيضا: " وأكثر ما نقول في الأئمة صلوات الله عليهم في مثل هذا أنهم يعلمون ما غاب عن الخلق سواهم من العلوم وينظرون بنور الله جل ذكره " [4]

---

[1] عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، د ط ، دار العلم للملايين ، د م ن ، 1997 ، ص 1044 .

[2] النعمان بن محمد المغربي ، كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة ، تحقيق محمد كامل حسين ، د ط ، دار الفكر العربي ، د م ن ، د س ن ، ص 38 . 39 .

[3] المرجع نفسه ، ص 51 .

[4] المرجع نفسه ، ص 53 .

وتصل درجة الرهبة من الأئمة إلى خاصية من خصائص الألوهية حيث نجد القاضي النعمان يقول في ذلك: " ينبغي لمن عرف الأئمة أن يخافهم كما يخاف ربه ويتقيهم كما يتقي الله، إذ كان الله عز وجل قد قرن طاعتهم بطاعته وجعلهم الوسائط فيما بينه وبين خلقه والشهداء على عباده فرضاهم موصول برضاء الله وسخطهم معقود بسخطه وبهم يثبت وبهم يعاقب، قال جعفر بن محمد: " والله ما هو إلا الله عز وجل وأومأ بيده إلى السماء، ونحن وأومأ بيده إلى نفسه، وشيعتنا منا وسائر الناس في النار، بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله، من أطاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله، سبقت طاعتنا عزيمة من الله إلى خلقه أنه لا يقبل من أحد عملا إلا بنا، فنحن باب الله وحجته وأمناؤه على خلقه، وحفظة سره ومستودع علمه، فالواجب على جميع العباد التقرب بالطاعة إلى أولياء الله والتزين بالأعمال الصالحة عندهم " [1]

ويقول أيضا: " فينبغي لمن اعترض عليه على ما قدمنا ذكره من إنكار ما يكون منهم في هذا الباب وغيره أن يستغفر الله منه ويرجع عنه إلى التسليم لهم والرضاء بفعلهم وترك التعقب والإنكار عليهم واعتقاد ذلك بقلبه وإخلاص نيته فيه، ويعلم أن كل ما يفعله الأئمة صلوات الله عليهم صواب ورضا لله وحكمة من حكمه أودعهم إياها وأيدهم بها ووفقهم لها " [2]

ويقول في موضع آخر: " فينبغي لمن واجه الإمام عليه السلام أن يبدأ بالسلام عليه، ثم يقبل الأرض بين يديه ويعتقد ذلك تعظيما له وتقربا إلى الله عز وجل به، ويقول في السلام عليه قبل انحطاطه لتقبيل الأرض " السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته " ويكون ذلك بحيث يراه الإمام " [3]

ونختم الفكرة بقوله: " والإمام هو مصدر التشريع بعد القرآن والسنة المؤكدة عن طريق أهل البيت، فلا يقبل الشيعة إسنادا إلا عن طريقهم، فالإمام وارث العلم النبوي، وإنما يعلو على البشر باتصاله الدائم بالعلم الإلهي، ولم يصل إلى هذا عن اكتساب واعتمال دليل، بل ينقدح العلم في نفسه انقداحا، إنه منه وفي طبيعته ومادته انتقل إليه العلم الغيبي بعد تسلسل طويل في أرواح الروحانيين من الملائكة والأنبياء " [4]

---

[1] النعمان بن محمد المغربي ، مرجع سابق ، ص 78 . 79 .

[2] المرجع نفسه ، ص 89 .

[3] المرجع نفسه ، ص 105 .

[4] علي سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 223 .

. المطلب الرابع: الإمامة ركن من الدين عند الشيعة:

يقول صاحب كتاب الشيعة البذور والجذور: " زاد الشيعة ركنا خامسا، وهو الاعتقاد بالإمامة وأنها منصب إلهي كالنبوة، فكما يختار الله من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان النبي يقوم بها سوى أن الإمام لا يوحى إليه. .. ويشترط أن يكون الإمام معصوما كالنبي " [1]

وقد جاء في كتاب عقائد الإمامية: " و نعتقد أن الأنبياء معصومون قاطبة وكذلك الأئمة. .. والعصمة هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان. .. وهذا الدليل على العصمة يجري عينا في الإمام، لأن المفروض فيه أنه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي " [2]

وجاء فيه أيضا: " نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة، وعلى الأقل أن الاعتقاد بفراغ ذمة المكلف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقف على الاعتقاد بها إيجابا أو سلبا. .. كما نعتقد أنها كالنبوة لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم، وعلى هذا فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول " [3]

و نقرأ فيه: " فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار و الانتخاب من الناس. .. وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى سواء أبى البشر أم لم يأبوا " [4]

---

[1] محمد جابر ، الشيعة الجذور والبذور ، ط 1 ، مركز الأبحاث العقائدية ، إيران ، 1430 هـ ، ص 112 .

[2] محمد رضا المظفر ، عقائد الإمامية ، ط 2 ، د م ن ، العراق ، د س ن ، ص 41 . 42 .

[3] المرجع نفسه ، ص 54 . 55 .

[4] المرجع نفسه ، ص 55 .

وعن عصمة الإمام يقول صاحب الكتاب: " ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى سن الموت عمدا أو سهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظة الشرع والقوامون عليه حالهم في ذلك حال النبي. .. أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه " [1]

و " إن قوة الإلهام عند الإمام التي تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوة القدسية الإلهامية بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم، وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية لا غطش فيها ولا إبهام" [2]

كما جاء في كتاب عقائد الإمامية: " ونعتقد أن الأئمة هم أولوا الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبل إليه والأدلاء عليه. .. ولذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء. .. بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته، ووليه وليه وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول، والراد على الرسول كالراد على الله تعالى. ... ولهذا نعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلا من نمير مائهم ولا يصح أخذها إلا منهم، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم " [3]

والمشكلة التي حدثت أنه لم يقتصر الأمر على التقديس ونسبة العصمة إلى الأئمة، بل تجاوز الغلو بكثير من المنتسبين إلى التيار الشيعي أنهم أضفوا على الأئمة صفة أعلى من النبوة نفسها، فنسبوهم إلى مرتبة الإلهية، يقول نبيل الحيدري: " برز الغلاة الذين غالوا في الأئمة إلى درجة الألوهية، في عهد أولهم الإمام علي بن أبي طالب ظهرت شخصية مهمة جدا وأثارت جدلا كبيرا في التاريخ

---

[1] محمد رضا المظفر ، مرجع سابق ، ص 56 .

[2] المرجع نفسه ، ص 57 .

[3] المرجع نفسه ، ص 58 . 59 .

والمؤرخين والمحققين، وهو عبد الله بن سبأ الذي غالى في الإمام علي إلى درجة فوق البشر والمنزلة الإلهية، وكل ميزات الإله وصفاته وهو يقول لعلي " وأنت أنت " يعني أنه الله تعالى ثم تكفير من يختلف معه مهما كان ومنهم الخلفاء الراشدون الثلاث أبو بكر وعمر وعثمان " [1]

و " ومن أخطر الآفات في الفرق والملل هو الغلو والتقديس العالي وما يتبعها ويتفرع عنها. .. ولقد كان في العصور المختلفة لأئمة أهل بيت النبي فيما بعد الإمام علي أيضا رجال وفرق وحواش للأئمة قد وضعوا أحاديث كثيرة مكذوبة فيها من الغلو في الإمام علي وأهل بيته والتكفير والبغضاء، وهو ما ينافي حتى القرآن الكريم وينافي أيضا الأئمة " [2]

وقد كان للعقائد الفارسية القديمة بالغ الأثر في مسألة تقديس الأئمة، حيث أخذ الشيعة صفات تقديس الفرس لملوكهم وأدخلوها على اعتقاداتهم في أشخاص أئمتهم. [3]

ولقد " كان الفرس يعتقدون أن ملوكهم منحدرة أصلا من الإله صلبا من صلب واحدا بعد آخر في الوراثة الإلهية عن طريق الأبناء في اختيار إلهي أزلي قبل الخلق، فهي نور بعد نور من النور الإلهي النازل إلى الملوك ملكا بعد آخر في الوراثة المختارة قبل الخلق ليكون سلطان الله وظله في الأرض، فالخروج عليه خروج على الإرادة الإلهية، لأن حق شاهنشاه ملك الملوك حق إلهي مقدس، فتكون طاعته واجبة مطلقا، فهي الوحيدة التي تمتلك النور الإلهي والحق الإلهي الذي ينتقل في أصلابها وراثيا من الآباء إلى الأبناء، كان من الصعب على الغطرسة الفارسية وجبروت كسرى ونظرتهم الاستعلائية على العرب أن يروا ملكهم يحطمه العرب ويزيلون دينهم. .. مما جعل خضوعهم للدين ظاهريا، ولكن الانتقام بأسلوب مدروس في الغلو في الأئمة وتلاقح دمائهم مع الأئمة والتكفير لمخالفيهم " [4]

ومن " أبرز ميزات التشيع الفارسي هو الغلو في الأئمة لدرجة أنها أخذت كل صفات الله سبحانه، ثم سلبته الإرادة بعد أن فوض لها الخلق كله، فالناس كلهم مخلوقون لهم وبواسطتهم ولأجلهم، واعتبرت الإمامة هي مناط الإيمان " [5]

---

[1] نبيل الحيدري ، مرجع سابق ، ص 37 .

[2] المرجع نفسه ، ص 71 . 72 .

[3] المرجع نفسه ، ص 75 . 76 .

[4] المرجع نفسه ، ص 87 . 88 .

[5] المرجع نفسه ، ص 203 .

والحاصل أن الأئمة عند الشيعة " هم وجه الله وعينه ويده، وكل ما أضيف لله في القرآن فإنهم أهل البيت. ... وعن الصادق " نحن المثاني ونحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم عرفنا من عرفنا ومن جهلنا فإمامه اليقين " [1]

والأئمة هم " المثل الأعلى لله تعالى صفة وفعلا، أنهم كانوا حملة علم الله ودينه قبل خلق الخلق، عندهم كتب الأنبياء وراثة، أنهم أمناؤه وحججه ووسائط بينه وبين خلقه أنهم مخلوقون من نوره، رائحة فاطمة رائحة الجنة، مبغضهم لا يرى الرسول يوم القيامة. .. وعناوين أمثالها كثيرة وتحت كل باب مجموعة من الأحاديث في الغلو في الأئمة وأصحابهم والبغضاء لمخالفيهم " [2]

وقد " أضفى الشيعة جميعا على علي بن أبي طالب قداسة خاصة تأرجحت بين كونه وصيا ووليا وإماما ومهديا ونبيا وإلها. .. والإمام هو مصدر التشريع بعد القرآن والسنة المؤكدة عن طريق أهل البيت، فلا يقبل الشيعة إسنادا إلا عن طريقهم، فالإمام وارث العلم النبوي، وإنما يعلو على البشر باتصاله الدائم بالعلم الإلهي، ولم يصل إلى هذا عن اكتساب واعتمال دليل، بل ينقدح العلم في نفسه انقداحا، إنه منه وفي طبيعته ومادته انتقل إليه العلم الغيبي بعد تسلسل طويل في أرواح الروحانيين من الملائكة والأنبياء، في البدء كانت هناك مادة نورانية انتقلت من نبي إلى نبي حتى وصلت محمدا ومنه إلى علي وفاطمة، واجتمع النور في الأئمة الفاطميين، فمادة أرواحهم من هذا النور الخلاب الذي بهر المخلصين والمخبتين في الشيعة، فآمنوا به إيمانا عجيبا، ولقد آمن من قبل الملائكة حين انتقل هذا النور إلى آدم فسجد الملائكة إلا إبليس أبى واستكبر، وقد أمر الله آدم أن ينظر إلى قمة العرش الإلهي حيث شاهد تلك الأجسام النورانية المقدسة منعكسة في هذا القدس العظيم، كما تنعكس صورة الوجه في مرآة صافية، فانعكاسات هذه الأجسام المقدسة محتواة في العرش الإلهي، ومنها إمام العصر يؤمن به خلص المؤمنين، بينما يكفر به أتباع الشياطين، فالعلم الغيبي إذن للأئمة هو أشبه بالوحي، بل إن علوم الأئمة أشمل وأعظم من علوم الأنبياء باستثناء النبي محمد صلى الله عليه وسلم " [3]

---

[1] نبيل الحيدري ، مرجع سابق ، ص 178 .

[2] المرجع نفسه ، ص 178 . 179 .

[3] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 223 . 224 .

ومن " أبرز ميزات التشيع الفارسي هو الغلو في الأئمة لدرجة أنها أخذت كل صفات الله سبحانه ثم سلبته الإرادة بعد أن فوض لها الخلق كله، فالناس كلهم مخلوقون لهم وبواسطتهم ولأجلهم، واعتبرت الإمامة هي مناط الإيمان واعتبر السنة (المخالفون والنواصب كما يسمونهم) هم كفار خالدون في النار " [1]

ولأن " دور النبوة مقفل وقد كان محمد خاتم الأنبياء وآخر أولئك الذين جاءوا للإنسانية بشريعة جديدة، فقد كان أجل النبوة النهائي موعدا لابتداء دور جديد هو دور الولاية أو الإمامة، وبتعبير آخر يمكن القول إن لعلم النبوة متمم ضروري هو علم الإمامة. .. إن دور الولاية إذن هو دور الإمام يعقب النبي، نعني دورة الباطن تعقب دورة الظاهر والحقيقة تتلو الشريعة " [2]

وعند الإسماعيلية فإنه " وكما كان الأمر بالنسبة لآدم الأول، فإن لكل إمام من الأئمة الذين يتعاقبون في كل حقبة من حقب الدور هيكله النوراني القدساني الخاص، والذي يتكون بهذه الطريقة، ومجموع الأئمة يشكلون الهيكل النوراني الأعظم، وهو على وجه التقرير قبة الهيكل النوراني، وعندما يترك إمام من الأئمة هذا العالم يرتفع هيكله معه إلى أحشاء الملاك العاشر (آدم الروحاني . الإنسان الملكوتي)، ثم ينتظرون هناك جميعا قيامة القائم أو إمام القيامة الذي يختم الدور ليرتفعوا معه عند مجيئه لخلافة الملاك العاشر " [3]

يقول ميرسيا إلياد: " وبالنتيجة فإن الإمام بالنسبة للشيعة الاثني عشرية كما هو الأمر بالنسبة للإسماعيليين يصبح الوسيط بين الله والمؤمنين " [4]

ويبدو تأثر الفكر الشيعي بغيره من الأفكار الدينية القديمة حيث لعب الإمام الخفي دورا بارزا وحاسما في تجربة التصوف لدى الإسماعيلية وغيرها من فروع الشيعة الأخرى، كما أن إضفاء طابع القداسة الذي يتجاوز في بعض الأحيان درجة البشرية إلى درجة الألوهية . على المعلمين الروحيين قد

---

[1] نبيل الحيدري ، مرجع سابق ، ص 178 . 179 .

[2] هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي ، ط 2 ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت . لبنان ، 1998 ، ص 69 . 70 .

[3] المرجع نفسه ، ص 154 .

[4] ميرسيا إلياد ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 51 .

أخذه الفكر الشيعي في كثير من تجلياته من أفكار دينية أخرى على غرار الفكر الديني الهندوسي، والفكر المسيحي في العصور الوسطى. [1]

ويؤكد أحمد محمد جاد على تأثر الفكر الشيعي بغيره ـ لا سيما الفكر المسيحي ـ فيقول: " وقضية الوساطة قديمة، فنجد لها أصلا في عقيدة مَنْفِس، وبما يعرف ب " لاهوت الكلمة " و أن كل شيء صار بواسطتها. .. وكذا في الديانة السومرية وفي الهندوسية حيث عبرت عبرت هذه الديانة عن الواسطة بين الله والعالم بالكلمة التي ينظر إليها على أنها الإله الثاني المبدع للكون والإنسان والمليء بالقدرة والطاقة اللامتناهيان، ولدى فيلو اليهودي فإن الواسطة بين الله (العقل الخالص)، والإنسان ضرورية ومهمة وهي ما يعبر عنه بالكلمة أو اللوجوس التي توصف بأنها قانون العالم وحاكم الكون، وهي ليست أداة العالم الإلهي فقط، بل هي ابن الإله الأصغر. .. وهذا أمر يشير إلى التأثير المتبادل بين الغنوصيات المتعددة في الديانات السماوية، ومثل ذلك نجده أيضا في المسيحية، إذ الكلمة هي الحاكم للكون والخالق له والوسيط بينه وبين الله، فموقف الإسماعيلية من الأمر باعتباره الواسطة بين الله والعالم. .. ولا يكاد يختلف الأمر عما قالت به ديانات الأسرار القديمة، سوى أن الإسماعيلية حاولوا وضع الأسرار في قالب إسلامي بصياغتها من التحوير قليلا كان أم كثيرا في إطار الآيات القرآنية بعد تأويلها باطنيا وغنوصيا " [2]

كما أن " عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة تأثرت بعقيدة مجيء المسيح الدجال عند اليهود، وأخذت من صفاته مثل الانتقام كما جاء في الأخبار اليهودية. .. فعند النصيرية والإسماعيلية والدروز نجد مثلا أن مهمة المهدي المنتظر قتل جميع الأعداء بيده وبيد أوليائه " [3]

وقد حاول الشيعة إيجاد سند لفكرة الإمام المنتظر، ولكن يبدو أن الفكرة لها تأثر بفكرة المسيح التي " أنتجها العقل اليهودي، وهي تعني منقذا ومخلصا يظهر لإنقاذ البشر، وما زال اليهود يتطلعون لظهوره. .. وأثرت الفكرة اليهودية في المسيحية أيضا، فالمسيحية وقد اعتقدت في ظهور المسيح تؤمن أيضا بخلوده أولا ثم ببعثه ثانيا " [4]

---

[1] ميرسيا إلياد ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 136 .

[2] أحمد محمد جاد ، أثر الأفلاطونية المحدثة على بناء الإلهيات عند الإسماعيلية ، د ط ، دار الهاني للطباعة والنشر ، د م ن ، 1425 هـ . 2004 م ، ص 71 . 72 .

[3] صابر طعيمة ، الشيعة معتقدا ومذهبا ، ط 1 ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، 1408 هـ . 1988 م ، ص 31 .

[4] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 227 . 228 .

ويذهب كثير من الباحثين إلى أن بعض أتباع الملل والنحل المختلفة، كان يحمل الحقد الدفين على الإسلام ويرى في الفتوحات كبتا وفرضا للعقيدة ومحوا لثقافات ومعتقدات أولئك الأتباع وقد " برزت ثقافات الفرس واليهود في شكل أحقاد شعوبية وقومية ضد الإسلام وأهله، فتطورت فكرة التشيع حتى ظهر من يقول أن الإمامة ليست من المصالح التي تفوض إلى الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز للنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين إمام لهم ويكون معصوما"[1]

وتسربت إلى الفكر الشيعي عقائد تشبه إلى حد بعيد عقائد النصارى في شخص المسيح، ويشير إلى ذلك صابر طعيمة بقوله: " كما ظهر لدى غلاة الشيعة ما يعرف بعقيدة الحلول والاتحاد، حيث قالوا بأن عليا قد حل فيه جزء من الذات الإلهية، فهو بشري وإلهي في آن واحد، وهذا ما نجد له مثيلا في العقيدة النصرانية فيما عرف بالناسوت واللاهوت في شخص عيسى ابن مريم عليه السلام. .. كما وجد من غلاة الشيعة من رفع مقام علي رضي الله عنه فوق مقام النبوة، وقالوا بعلمه الغيب"[2]

وكذلك نجد ما يتعلق بعقيدة الفداء التي تعد من صميم العقائد المسيحية حاضرة لدى الشيعة، يقول أبو العلا عفيفي: " ولا شك أن الشيعة أيضا هم الذين قرنوا الولاية بالاستشهاد متخذين من مقتل الحسين بن علي مثالا للولي الشهيد الذي ضحى بحياته في سبيل نصرة الحق والله على نحو ما ينظر المسيحيون إلى استشهاد المسيح " [3]

يقول محسن الأراكي عن قضية الإمامة: " ولأهمية مفهوم الإمامة الإلهية وموقعيتها الحساسة فقد اختص الحق تعالى لنفسه بحق التعيين والتنصيب ونفاه جل وعلا عمن سواه بمن فيهم الرسل والأنبياء عليهم السلام ناهيك عن سائر الناس " [4]

ويقول في موضع آخر: " فالطاعة لله وحده، ومن هنا فلا بد أن يعين الله في خلقه إماما تكون طاعته طاعة له، أي لا بد أن يكون هناك إمام من الله يأمر الله بطاعته حتى يتحقق التوحيد في

---

[1] محمد عبد الحميد الحمد ، الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام ، ط 1 ، د م ن ، د ب ن ، 2004 م ، ص 46 . 47 .

[2] صابر طعيمة ، مرجع سابق ، ص 33 . 34 .

[3] أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، د ط ، دار الشعب للطباعة والنشر ، بيروت ، د س ن ، ص 280 . 281 .

[4] محسن الأراكي ، نظرية النص على الإمامة في القرآن الكريم ، ط 2 ، المجمع العالمي لأهل البيت ، د م ن ، 1428 هـ ، ص 16 .

الطاعة لله سبحانه وتعالى بطاعة الإمام التي هي طاعة لله سبحانه وتعالى " [1]

وقد فسر الأراكي الآية : " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس " [2]، بما يلي: " دلت الآية على نزول الأمر من الله على رسوله بتبليغ إمامة علي بعده، ونص الآية شاهد على نزولها في أمر الإمامة " [3]

ويلاحظ الباحث مدى تأثر الفكر الشيعي أيضا بالأفلاطونية المحدثة حيث: " تقوم فلسفة الشيعة الاثنا عشرية على أساس أن العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك حقيقة الذات الإلهية، وليس لهذه الذات صفات، وإنما تنصب الصفات على العقل الأول الذي أبدعه الله. .. وعن العقل صدرت النفس الكلية وعن هذه صدرت المادة، وعن اتحاد العقل والنفس والمادة والزمان والمكان تصدر حركة الأفلاك والطبائع، فقالت الإسماعيلية بالفيض أو الصدور على نحو ما صنع الفارابي وابن سينا " [4]

وحتى تلقى فكرة الإمامة قبولا لدى الأتباع فقد أعطاها المنظرون للفكر الشيعي صورة القداسة المنبثقة من بيت النبوة، وعن هذا يقول عبد الرحمن بدوي: " ثم جاءت نظرية الشيعة في النبوة فاستخلصت نتائج هذا التصوير البعيدة، وذلك لأنه لما كان الشيعة قد ارتفعوا في نظرياتهم بطبيعة الأئمة إلى مقام فوق مقام الطبيعة الإنسانية وجعلوا لهؤلاء مكانة في العالم العلوي كان من الضروري أيضا أن يكون محمد نفسه باعتباره جدا أعلى للأئمة أن يكون له نصيب في الأسطورة التي نسجتها الشيعة حول أهل البيت، فحين خلق الله آدم وضع في ظهره محمد وعلي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين على صورة جواهر منيرة أرسلت نورها في جميع أنحاء العالمين العلوي والسفلي، ولهذه الجواهر الموضوعة في جسم آدم كان السجود الذي أمر الله الملائكة به، فسجدوا إلا إبليس " [5]

ويضيف بدوي: " ووجد الاعتقاد بوجود محمد وجودا سابقا أعظم صورة وصل إليها في النظرية القائلة بأنه هو كل التجليات التي تجلت فيها الروح القدسية، فلا خلاف بين الأنبياء إلا في المظهر الخارجي، أما في الحقيقة فإنه رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر جسمانية متباينة كي يعلن للناس إرادة الله وينبئهم بمشيئته. .. وهذه النظرية ترجع في أصلها إلى الغنوصية

---

[1] محسن الأراكي ، مرجع سابق ، ص 46 . 47 .

[2] المائدة : 69

[3] محسن الأراكي ، مرجع سابق ، ص 126 .

[4] إبراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية . منهج وتطبيقه ، ج 2 ، د ط ، دار المعارف ، مصر ، د س ن، ص 66 .

[5] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1940 ، ص 226 .

المسيحية، أي إلى الفكرة التي عبرت عنها المواعظ المنسوبة إلى القديس كليمانس فقالت الموعظة رقم 18 فقرة 13: " ليس ثمة غير نبي صادق واحد، هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس يمر خلال عصور العالم منذ البدء بأسماء وصور متغيرة " [1]

ولقد " أحيط سلمان الفارسي بهالة كبيرة من القدسية والغلو وعلم الغيب والمعاجز والكرامات والأسرار في التشيع الفارسي بظاهرة عجيبة غريبة ليكون محور التشيع الفارسي سلمان الفارسي وقومه أي الفرس ومبادئه كالغلو في الأئمة والتكفير للخلفاء وردة الأمة. .. فقد جاء في الروايات الغريبة المنسوبة للأئمة منها قولهم: " أن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا" [2]

وتماما حدث مع الشيعة مثل ما حدث مع المسيحيين من قبل فمثلا: " في أوربا في العصور الوسطى كان الأباطرة والملوك يستبدون بالسلطة، ولإضفاء جانب القداسة على حكمهم مزجوه بالصيغة الكهنوتية، فهم في نظر العامة يحكمون بالحق الإلهي وهو نواب عن السماء لا يمكن معارضتهم ولا التفكير في إزالتهم، وبالمقابل فإن ظهور فكرة التقديس في العالم الإسلامي فإن لها ملابسات قد تختلف بعض الشيء، ففي النصف الثاني من القرن الأول الهجري كانت الدولة الأموية تستبد بالسلطة وحولت الخلافة المبنية على الشورى واختيار الأفضل إلى ملك عضوض ومارست أنواع الاضطهاد والقهر ضد الحركات المعارضة، ومن أبرز هاته الحركات الشيعة، حيث ظهرت لدى هاته الطائفة في ظل هاته الظروف نظرية السلطة الدينية أو الحق الإلهي عند الشيعة، والتي تمنح العصمة للأئمة وتضفي عليهم هالة من القداسة لا يمكن لأي من البشر الاعتراض عليها سواء أكان ذلك في التشريع أو التنفيذ، وعبر مراحل لاحقة على اختلاف النوايا والغايات كانت النتيجة شبيهة بين كهنوت الكنيسة الكاثوليكية في أوربا والشيعة في الحضارة الإسلامية " [3]

وإن من أبرز المراجع الشيعية التي أولت قضية وساطة الإمام وقداسته كتاب الكافي للكليني، والذي سنقوم بنقل بعض ما جاء فيه عن هذه الفكرة .

---

[1] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق، ص 235 .

[2] نبيل الحيدري ، مرجع سابق ، ص 37 .

[3] محمد عمارة ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية ، مرجع سابق ، ص 22 . 23 .

نقرأ في هذا الكتاب مثلا : " عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون الأرض ليس فيها إمام ؟ قال: لا، قلت: يكون إمامان ؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت "، وفي موضع آخر : " " عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم وإن نقصوا شيئا أتمه لهم " [1]

وجاء فيه أيضا: " لا يكون العبد مؤمنا حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويسلم له " [2]

و عن جابر قال: " سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا " [3]

و " عن سورة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: " والله إنا لخُزّانُ الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضة إلا على علمه " وفي نفس السياق: " نحن خزان علم الله ونحن تراجمة وحي الله ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض " [4]

وتبدو قضية الوساطة واضحة في النص الآتي: " الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه " [5]

وفيه أيضا: " كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه باب الله الذي لايؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الأئمة عليهم السلام واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى " [6]

و " عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن لله عز وجل علمين، علم لا يعلمه إلا هو، وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه " [7]

---

[1] محمد بن يعقوب الكليني ، الكافي ، تحقيق وتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري ، ط 5 ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران ، 1363 هـ ، ج 1 ، ص 178 .

[2] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 180 .

[3] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 181 .

[4] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 192 .

[5] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 193 .

[6] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 197 .

[7] المرجع نفسه ، ج 1 ، ص 256 .

كما نقرأ ما يصدق هذا الكلام في مرجع آخر من مراجع الشيعة وهو كتاب الإمامة للقمي، فمما ورد فيه أن: " من أنكر واحدا من الأئمة عليهم السلام، عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من عرف الأئمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه أمؤمن هو ؟ قال: لا، قلت: أمسلم ؟ قال: مسلم " [1]

و" أن أبا جعفر قال: " من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية كفر ونفاق وضلال " [2] "

ومن هذه النصوص وغيرها يمكن أن نعتبر أن قطب الرحى الذي يدور عليه الفكر العقدي الشيعي هو شخص الإمام الذي لا بد من إضفاء طابع القداسة عليه، فهو مصدر المعرفة ومصدر الوجود، وهو الوسيط بين العبد وربه إذ لا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفة الإمام، " ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية " [3]

ومن الشيعة المعاصرين نجد الخميني الذي يقول عن الولاية ومكانة الإمام: " وثبوت الولاية والحاكمية للإمام لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل " [4]

ويقول في موضع آخر: " نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة للفقهاء لا يزال محفوظا لهم، لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين، كانوا على علم بأن هذا المنصب لا يزول عن الفقهاء من بعدهم بمجرد وفاتهم " [5]

---

[1] ابن بابويه القمي ، الإمامة والتبصرة ، ط 1 ، مدرسة الإمام المهدي ، قم المقدسة ، 1404 هـ ، ص 90 .

[2] المرجع نفسه، ص 82 .

[3] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 225 .

[4] روح الله الخميني ، الحكومة الإسلامية ، ط 3 ، د س ن ، د م ن ، ص 52 .

[5] المرجع نفسه ، ص 91 .

ومن أسباب ادعاء العصمة للإمام عند الشيعة :

. أن الإمام هو صاحب السلطة، و أن الأرض لا تخلو من قائم بالحق.

. نسب الاثنا عشرية للإمام العلم الإلهي وعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون، فلا بد أن يكون حامل هذا العلم معصوما عن الخطأ والنسيان.

. النور الإلهي نور محمد، كيف يكون مستقرا في إمام ويكون هذا الإمام عرضة للخطأ، وهنا مدخل للغنوصية في مصدرها الأفلوطيني المحدث.

. الإمام مصدر الأحكام، ولا بد أن يكون اجتهاده مبرءا من العيوب معصوما من الأخطاء " [1]

[1] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 226 .

. المطلب الخامس: تأثر الفكر الشيعي بالأفلاطونية المحدثة [1]

لقد سبقت الإشارة إلى الأفلاطونية المحدثة ومدى أثرها على الفكر المسيحي خصوصا ثم على بعض المدارس التي تنسب نفسها إلى الإسلام كالشيعة، ويقول عن هذا الأثر علي سامي النضار ما يلي: " لم تسبغ الإسماعيلية الألوهية أبدا على الأئمة. .. ولكنهم استخدموا في الدور السري فكرة العقول الأفلوطينية المحدثة في براعة نادرة حتى يحققوا فكرة السبعة، فرأوا أنه يتحكم في الكون دائما سباع أي سبعة من الناطقين: آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد وعلي، وينتهي الدور بالقائم محمد بن إسماعيل، هؤلاء السبعة هم السبعة الناطقون الذين تجلى فيهم العقل الكلي الموجود، ولم يخل العالم في فتراته المختلفة بين كل ناطق وناطق من موجودات أو كائنات تقوم مقام الناطقين وتملأ تلك الفترات، وفيهم أيضا أعظم مظاهر تجلي العقل الكلي في نظام بديع وتسلسل فذ، وكل قائم من هؤلاء القائمين يفيض عليه ما فاض على من سبقه. .. لم يعلن الإسماعيليون أبدا أن محمد بن إسماعيل نبي أو أنه أتى بدين جديد ينسخ به الشريعة المحمدية، ولكنهم أعلنوا أنه الولي القائم الذي أتى ليفسر القرآن باطنيا أتى بالتأويل " [2]

و " لقد أخذت العقائد الإسماعيلية من مصادر متعددة فأخذت من الفلسفة اليونانية، ومن فلسفات أفلوطين وأرسطو والفيثاغورية الجديدة وعقائد مسيحية ويهودية. .. وقد استخدم دعاة الإسماعيلية نظرية العقل الكلي والنفس الكلية ونظرية الفيض الأفلوطينية " [3]

يضيف أحمد محمد جاد: " ويبدو أن أفلوطين كان المصدر الأساسي لفكرة الفيض عند متكلمي الإسماعيلية. .. حيث تقوم فكرة الفيض على أساس أن كل مبدأ ينتج المستوى الأدنى منه في الوجود، ونظام الوجود أبدي. .. والسبب في ذلك أن الكمال منتج دائما وخلاق بالضرورة، ذلك لأن الواحد ما دام كاملا فإنه لا يسعى وراء شيء ولا يملك شيئا فإنه يفيض، وهو فيضانه الذي يبدع شيئا يختلف عنه، وهذا ما يلح عليه أفلوطين في كتاباته كثيرا " [4]

---

[1] تنسب **الأفلاطونية المحدثة** إلى أفلوطين الذي سماه العرب بالشيخ الإسكندراني ، وقد كانت الإسكندرية مهدا لها .(أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاها ، مرجع سابق ، ص : 402) .

[2] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 298 . 299 .

[3] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 307 .

[4] أحمد محمد جاد ، مرجع سابق ، ص 79 . 80 .

وعن تأثر الشيعة بمذاهب أخرى يقول: " وبالجملة فإن الإسماعيلية قد تأثرت في صياغة مفهوم التوحيد لديها بالعديد من الاتجاهات الغنوصية المماثلة لها، فلقد تأثرت بالثنوية المرتبطة بالوثنية الغنوصية في صياغتها المسيحية، وبالمندائية وبفلسفة النور البوذية. .. وفي القرن الرابع الهجري بدأت تتأثر بالأفلاطونية المحدثة " [1]

كما نجد أن الشيعة استخدموا في إقرار هذه العقائد ما أسموه بالتأويل، وعن هذا يقول النشار: " وقدم الغلاة من الشيعة فكرة التأويل، وقد سبقهم إليها الشيعة المعتدلة ولكنهم تغالوا فيها ورأوا أن للآيات باطنا لايعلمه سوى الإمام وخاصته، ودخلت **الكبالا اليهودية** [2] في عقائدهم ففسروا الآيات القرآنية في ضوء منهج الكبالا. ... أعلنوا أن للآيات ظاهرا وباطنا، وأخذوا يفسرون هذا الباطن كما يحلو لهم مذهبهم الفلسفي، ودخلت الإسرائيليات عامة في النظريات الغالية، كما دخلت الغنوصيات وانتقلت إلى التصوف الفلسفي " [3]

---

[1] أحمد محمد جاد ، مرجع سابق ، ص 209 . 210 .

[2] **القبالة أو الكبالا** (**kabbalah**) : هي تقليد معترف به في التصوف اليهودي ، ومن فلسفتها أن خلق العالم حدث عن طريق سلسلة من الفيوضات الإلهية " (جون ر . هينليس ، معجم الأديان ، ترجمة : هاشم أحمد محمد ، مراجعة وتقديم : عبد الرحمن الشيخ ، ط 1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010 ، ص 367 .

[3] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 267 . 268 .

المطلب السادس: إخوان الصفا وفكرة الوساطة

تعد هذه الفرقة من أكثر الجماعات غموضا وسرية في التاريخ، وتعد "[1] من أخطر الجمعيات السرية التي ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجري في البصرة كمنطلق للفكر الشرقي القديم الذي حاول أن يتحرك من جديد من خلال الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي لبث هذه الآراء وتحويلها إلى حركة تمثلت في حركة القرامطة من بعد، وإن أكبر الريب والشكوك التي تتصل بهذه الجماعة السرية إنما يتمثل في إخفاء أصحابها أسماءهم في أشد عصور حرية الرأي والفكر. .. فقد عرف أن خمسة من أتباع المجوسية القديمة ومن أتباع ماني ومزدك ممن أعلنوا الإسلام تقية هم الذين كتبوا هذه الرسائل، وفرضوا فيها منهجا زائفا يحمل الدعوة لقلب المجتمع الإسلامي وضرب الإسلام من الداخل، وجعلوا قوامه خلط الشريعة الإسلامية بالفلسفة اليونانية والغنوصية، وقوامه الفلسفة الباطنية " [2]

ولقد كانت رسائل إخوان الصفا مليئة بالأفكار الأفلاطونية المحدثة، حيث " أرادت الإسماعيلية بوضع هذه الرسائل أن تثبت معرفة الأئمة بعلوم باطنية لا يعرفها سواهم، ويبدو هذا من محاولة هذه الرسائل الإلمام بجميع نواحي الفلسفة الغنوصية من أفلاطونية محدثة وفيثاغورية مختلطة مع العقائد الإسلامية، وقد أعلن إخوان الصفا أن هذه الوصاية المخصوصة لأهل البيت عليهم السلام، لا يحتاجون فيها إلى مديري غيرهم وإلى علماء سواهم، ولا يطلع الناس على أسرارهم ولهم علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها وأعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم " [3]

ويضيف النشار قائلا: " إن إخوان الصفا يقولون بالفيض الأفلوطيني، ونستطيع أن نقول إن أسلوب عرض فكرة الفيض يكاد أن يكون واحدا عندهم وعند أفلوطين، وكما أن الفيض عنده يتم على أساس الكمال الإلهي وصدور الموجودات عن هذا الكمال فإنه يتم في نظر الإخوان أيضا على

---

[1] **إخوان الصفا** : " جماعة سرية من المفكرين ، عاشت في البصرة بالعراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وكان لها فرع في بغداد ، سماها مؤسسوها إخوان الصفا وخلان الوفا ، ويرى كثير من الباحثين أن هذه الجماعة باطنية إسماعيلية ،عملت على إشاعة مذهبها المتطرف وتثبيت أركان الدولة الفاطمية ، ومن أجل الوصول إلى أغراضها وضعت هذه الجماعة رسائل جامعة لأنواع متعددة من المعارف ، عرفت برسائل إخوان الصفا ، تناولت العلوم الرياضية والدينية والكونية والفلسفية " (محمد غالب بركات ، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث اليهودية ، المسيحية ، الإسلام ، ط 1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2011 ، ص 207) .

[2] أنور الجندي ، مرجع سابق ، ص 116 .

[3] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 290 . 291 .

أساس هذا المبدأ. .. وفيما يتعلق بمراتب الوجود الأولى فإن مبادئ الموجودات عند أفلوطين تبدأ بثالوث مقدس: الواحد، العقل، النفس وليس هؤلاء الثلاثة بالمتساويات، فالواحد أسماها والعقل يتلوه والنفس أدناها، وكذلك الرأي عند الإخوان (الصفا) فيقولون أن الموجودات الأولية هي ثلاثة: الباري والعقل والنفس " [1]

وما حدث عند إخوان الصفا أنهم أخذوا من مصادر الفلسفة اليونانية على اختلاف مشاربها، يشير محمود إسماعيل إلى ذلك فيقول: " وبخصوص الإفادة من المرجعيات المتعددة والمتنوعة في تقديم نسق عقلاني في الإلهيات، نهلوا من الفلسفة اليونانية بسائر تياراتها، فتأثروا بأفلاطون وأرسطو . إلى حد ما . وفيثاغورس وأفلوطين في تفسير مظاهر الوجود. .. ومن أفلوطين أخذوا كذلك نظريته في الفيض مع إجراء تعديلات جوهرية عليها " [2]

و " يلفق إخوان الصفا طريقة الفيض مما كان في هذه النظرية عند أفلاطون وأفلوطين ثم يمزجونها بفلسفة فيثاغوراس في الأعداد وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة نزولا إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهيولى والصورة، يجري الفيض في تسع دركات من أعلى إلى أدنى لأن الأرقام تسعة. .. وفيما يلي وصف لظاهر نظرية الفيض عند إخوان الصفا :

. إن الموجود الأول (الله) قديم قائم بنفسه حكيم قدير عالم، ومنه يكون الفيض حسب المراتب التالية:

أولا: قال إخوان الصفا: إن الباري جل ثناؤه أول شيء اخترعه وأبدعه من من نور وحدانيته كان جوهرا بسيطا يقال له العقل الفعال، كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار فالعقل الفعال عند إخوان الصفا إذن هو الواحد المقابل لله، بعد أن خلق الله العقل الفعال أودع الله فيه جميع صور الموجودات حتى تفيض تلك الموجودات من العقل الفعال، لأن الله لا يمكن أن يباشر إيجاد الموجودات التي تتصل بالمادة، وهذا العقل يسمى أيضا العقل الكلي.

ثانيا: تفيض النفس الكلية من العقل الكلي، وهي التي تتحكم في العالم بالتحريك والتشكيل والتصوير.

ثالثا: يفيض الجسم الكلي . وهو جملة الوجود المادي . من النفس الكلية .

---

[1] فؤاد معصوم ، مرجع سابق ، ص 232 . 233 .

[2] محمود إسماعيل ، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ط 1 ، عامر للطباعة والنشر ، المنصورة ، 1996 ، ص 76 .

رابعا: من النفس الكلية مباشرة تفيض الهيولى الأولى، وهي جوهر بسيط لم يتلبس بعد بصورة، ولكن فيه استعدادا لأن يتخذ كل صورة من صور المصنوعات الإلهية الأولى كالماء والتراب والرخام وأشباهها.

خامسا: تفيض الطبيعة (قوى الطبيعة)، وهي التي تفعل الحياة في الأجسام الموجودة في عالمنا من الحرارة والنمو، وهنا يقف أثر العقل الفعال (العقل الكلي) لأن الفيوضات التالية ناقصة ولا تليق باهتمامه.

سادسا: يفيض الجسم أو الجسم الكلي المطلق، وهو ما أصبح له طول وعرض وعمق.

سابعا: يفيض الفلك، وهو جسم شفاف كرِيّ يحيط بالعالم.

ثامنا: تفيض الأركان (العناصر الأربعة) الماء والهواء والتراب والنار.

تاسعا: تفيض المولدات (الأجسام الجزئية العامة مثل الخشب والحديد والنبات واللحم ". [1]

ويروي الفلاسفة الدينيون كإخوان الصفا وغيرهم " عن النبي كلاما يعبر عن آرائهم هم أنفسهم في مسائل فلسفية دينية، كما أنه كان لمذهب الإسماعيلية في هذا الميدان جولات وصولات، وهو المذهب الذي نقل أصحابه نظريات الأفلاطونية المحدثة إلى ميدان الحياة السياسية والاجتماعية الرحب الفسيح، فمن هذه الدوائر كلها صدرت ثروة ضخمة من الأحاديث، صور فيها النبي بصورة ترجمان للأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية " [2]

ونختم حديثنا عن إخوان الصفا بما ذكره عبد الرحمن بدوي في الآتي: " فالقول بأن العقل الكوني هو أول شيء صدر مباشرة عن الذات الإلهية يصور على النحو الآتي: " أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب ". .. وليس من شك في أن هذه الأحاديث إنما وضعت تحت تأثير الفكرة القائلة بأن العقل الكوني هو أول جوهر روحي صدر عن الذات الإلهية، وهي داخلة في عداد تلك المجموعة الضخمة من الأحاديث الموضوعة في هذا المعنى. .. والحديث الذي أوردناه آنفا . والذي إن أمعنا النظر فيه وجدناه لا يكاد يتفق مع المعتقدات الإسلامية السائدة . سرعان ما انتشر وحرص على إذاعته في البيئات الإسلامية المتحررة التي أضافت إلى الإسلام أفكارا أفلوطينية، أو طبعت إسلامها بطابع أفلوطيني (مثل إخوان الصفا والإسماعيلية و

---

[1] عمر فروخ ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط 4 ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان ، 1983 ، ص 386 . 387 .

[2] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 219 .

المتصوفة) ، ولكنه لم يخترع في هذه البيئات، إنما هي تلقته فرحبت به أحر ترحيب وصادف هوى في نفسها فحرصت عليه وتعلقت به وأهابت به في كل مرة كان فيها ملائما لنظرياتهم مؤيدا لمذاهبهم"[1]

[1] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 219 . 221 .

المبحث الثالث: الوساطة في الفكر الصوفي :

لقد برز مفهوم الوساطة عند المتصوفة جليا من خلال النظام الذي تسلكه مختلف الطرق، ولم يبق مجرد مفهوم نظري، بل تم تطبيقه في ممارسات مدارس التصوف المختلفة، إذ لا يمكن للمريد نيل القرب و القبول إلا بمباركة شيخ الطريقة، ثم لا تتاح له فرصة الارتقاء في سلم الطريقة حتى يلج من الباب، وهذا الباب هو ذلك الشخص المقدس الذي تكتنفه هالة من الغموض والأسرار التي لا تكشف لغيره.

وسنحاول التركيز على فكرة الوساطة عند الصوفية من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول: مفهوم التصوف

. لغة : جاء في اللغة معنى الفعل: صفا ": الصفو و الصفاء . . نقيض الكدر، صفا الشيء و الشراب ، يصفو صفاءصفُوّا، وصَفوه وصَفوته وصِفوته وصُفوته ما صفا منه

وصفوة كل شيء : خالصه من صفوة المال وصفوة الإخاء .

واستصفيتَ الشيء إذا استخلصته .

واستصفى الشيء و اصطفاه : اختاره.

وصفيُّ الإنسان: أخوه الذي يصافيه الإخاء .

. اصطلاحا : جاء في معنى التصوف كلام كثير ، وسنقتصر على بعض من ذلك استنادا إلى ما ذكره صاحب كتاب التعرف على مذهب التصوف حيث يقول :

" قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها ، وقال بشر بن الحارث : الصوفي من صفا قلبه لله .

وقال بعضهم : الصوفي من صفت لله معاملته ، فصفت له من الله عز وجل كرامته .

وقال : قوم إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم بقلوبهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه .

وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال قوم : إنما سموا صوفية للبسهم الصوف " [1].

وأما الجنيد فقد قال عن التصوف لما سئل عن معناه : " تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة ، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة " [2].

وقد عرفه سعد رستم بقوله: " مذهب روحي وجد ضمن كل دين، اتخذه فئة من الناس سلوكا في العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، معرضين عن مباهج الدنيا وملذاتها وبهرجها، مقبلين على حياة التبتل والتأمل ضمن نظام تربوي خاص ورياضات روحية تصل بصاحبها لمقام العرفان بالله واكتشاف الحقيقة " [(3)]

[1] أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ، التعرف على مذهب أهل التصوف ، د ط ، د س ن ، ص 5 . 6 .

[2] المرجع نفسه ، ص 9 .

[(3)] سعد رستم ، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ، ط 3 ، دار الأوائل ، سورية . دمشق ، 2005 ، ص : 175 .

المطلب الثاني: أصل التصوف ونشأته :

اختلف الباحثون في أصله ونشأته وكذا مصادره ومشاربه ولعلنا نوجز مختصر هذا الاختلاف فيما ذهب إليه أبو العلا عفيفي فيما يلي: [1]

" **. أولا:** النظرية القائلة بأن التصوف تعبير عن الناحية الباطنية في الإسلام، وهذا هو ادعاء الصوفية أنفسهم، لأنهم يعتبرون أنفسهم ورثة الرسول، أي ورثة العلم الباطن، فالتصوف بهذا المعنى إدراك باطني لحقائق الشريعة المعبر عنها بلسان الظاهر، والباطنيون يؤولون القرآن تأويلا خاصا لم يؤثر عن النبي أنه فعله، كما لم يؤثر عنه أنه كان صوفيا بهذا المعنى ولا باطنيا.

. ثانيا: النظرية القائلة بأن التصوف رد فعل للعقل الآري ضد دين سامي فرض عليه فرضا، ولهذه النظرية صورتان:

أ . الصورة الهندية: والقائلون بها يرون أوجه الشبه بين بعض النظريات الصوفية في أرقى أشكالها وبين الفيدانتا [2].

ب . الصورة الثانية: هي الصورة الفارسية التي يدعي أصحابها أن التصوف الإسلامي نتاج فارسي في نشأته وتطوره.

ج . الصورة الثالثة: نظرية الأفلاطونية الحديثة: وهي نظرية قال بها: ماركس. .. وبراون. .. ونيكلسون " [3]

ثم يقول أبو العلا عفيفي معلقا على هذه النظريات: " أخفقت هذه النظريات كلها في تفسير نشأة التصوف وتطوره في الإسلام، لأن كل واحدة منها تحاول أن ترد هذه الحركة الكبيرة المعقدة إلى أصل واحد، وتنظر إليها من جانب خاص دون الجوانب الأخرى. .. في كل واحدة من هذه النظريات شيء من الحق، ولكن لا واحدة منها تعبر عن الحقيقة كاملة، لقد مر التصوف بأدوار مختلفة لكل دور خصائصه ومميزاته، انتشر في بيئات وشعوب متباينة تباينا ثقافيا وعقليا واجتماعيا

---

[1] أبو العلا عفيفي ، مرجع سابق ، ص : 57 . 58

[2] **الفيدانتا** : " إحدى الفلسفات الخلاصية في الهندوسية الكلاسيكية ... وفي الأصل فإن الفيدانتا هي ببساطة لاهوت ينصب اهتمامه الأساسي على معرفة القدرة الإلهية (براهمان . brahman) " . جون هينليس ، مرجع سابق ، ص : 779 . 780 .

[3] أبو العلا عفيفي ، مرجع سابق ، ص 57 . 60 .

بقدر ما كانت متباينة تباينا جغرافيا، ولم يكن بين الشعوب الإسلامية . عندما ظهر التصوف . من الروابط التي تربطها سوى وحدة الدين واللغة، فكان من الطبيعي أن تنمو البذور الأولى للظاهرة الجديدة وتترعرع وتؤتي ثمارها متكيفة بظروف البيئات التي نبتت فيها، ولذلك ظهر في تاريخ التصوف الزهد البسيط السني، كما ظهر فيه الزهد الرهباني أو القريب من الرهباني، وظهرت فيه المدارس التي انفردت كل منها بلون خاص من حيث تعاليمها النظرية والعملية ومن حيث اصطلاحها. .. أضف إلى هذا أن التصوف ابتداء من القرن السادس الهجري دخل في دور فلسفي وصل إلى ذروته في تصوف أصحاب وحدة الوجود " [1]

المطلب الثالث: مكانة الأولياء والشيوخ عند الصوفية

إذا دققنا النظر في حقيقة التصوف فإننا نجده مذهبا روحيا موجودا في كل ديانة، حيث يلتزم أصحابه بطريق معين يفرض عليهم نمطا من التفكير والسلوك والانقطاع عن الملذات والشهوات الدنيوية للارتقاء في مدارج التبتل والعبادة، ومما لا شك فيه أن التصوف الإسلامي كغيره من المذاهب ناله حظه من التأثر بالفلسفات والأفكار الخارجية. [2]

وإذا تحدثنا عن مقام الولي والشيخ لدى الصوفية فإننا نجد تشابها كبيرا مع الشيعة، فقد أسبغ الشيعة على أوليائهم وشيوخهم قدرا من القداسة تجاوز في كثير من الأحيان درجة الأنبياء، بل إن أكثر المدارس الصوفية تجعل مناط فكرها العقدي منطلقا من مبدأ الإمامة وما يلحقها من معتقدات، ومصادر المتصوفة مليئة بذكر درجات الأئمة ومكانتهم وما يجب لهم من طاعة وتقديس، وسنحاول ذكر بعض ما ورد في هذه المصادر وتحليله.

يقول القشيري في الرسالة: " ومن شرط الولي أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما " [3]

---

[1] أبو العلا عفيفي ، مرجع سابق ، ص : 61 . 62 .

[2] المرجع نفسه ، ص 175 .

[3] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، الرسالة القشيرية ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1422 هـ . 2001 م ، ص 292 .

وجاء في الرسالة: " سمعت أحمد بن يحي الأبيوردي يقول: من رضي عنه شيخه لا يكافأ في حال حياته لئلا يرق له، فإنهم مجبولون على الكرم، فإذا مات ذلك الشيخ فحينئذ يجد المكافأة بعده " [1]

وعن التسليم المطلق من المريد لشيخه وطريقته يقول القشيري : " ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة، وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة، فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب، والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أصحاب العقل والفكر، وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة، فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود، فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال " [2]

ويقول في موضع آخر: " ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبدا، هذا أبو يزيد يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. .. وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا نفسا فهو عابد هواه، لا يجد نفاذا " [3]

ويقول أيضا: " ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه، ولو كتم نفسا من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته، ولو وقعت له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت، ثم يستسلم لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر ما يراه، ولا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين، لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى، وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار " [4]

وجاء فيها أيضا: " وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته، ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غب ذلك ولو بعد حين، ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته، وذلك لا يخطئ " [5]

---

[1] القشيري ، مرجع سابق ، ص 363 .

[2] المرجع نفسه ، ص 424 .

[3] المرجع نفسه ، ص 426 .

[4] المرجع نفسه ، ص 427 .

[5] المرجع نفسه ، ص 431 .

وقد بلغ الغلو في شخص الشيخ عند المتصوفة مبلغا عجيبا، حيث نقرأ مثلا قول السهروردي:

" وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره. .. وهكذا أدب المريد في مجلس الشيخ ينبغي أن يلزم السكوت ولا يقول شيئا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك، وشأن المريد في حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقا يساق إليه، فتطلعه إلى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله، وتطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شيء لنفسه، وذلك جناية المريد وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ، على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ، بل يبادئه بما يريد لأن الشيخ يكون مستنطقا نطقه بالحق، وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقي لهم. .. فالشيخ ينقى بذكر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه إلى الله ويسأل الله المعونة والسداد، ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق، فالشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحي، فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الإلهام"[1]

ثم يضيف: " فأحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولا وفعلا " [2]

ونقرأ له أيضا: " واستغراقه (المريد) في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى السماع، ومن الأدب أن لا يكتم على الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة، ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، وما يستحي من كشفه يذكره إيماء وتعريضا، فإن المريد متى انطوى ضميره على شيء لا يكشفه للشيخ تصريحا أو تعريضا يصير على باطنه منه عقدة في الطريق، وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة " [3]

وعلى المريد كما يقول النقشبندي: " أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفتح له أبدا، قال أبو يزيد: من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان. .. ثم بعد ذلك يسعى إلى قطع العلائق والشواغل. .. ثم يلتزم العهد مع الله تعالى أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه به، ولا يعترض

---

[1] شهاب الدين السهروردي ، عوارف المعارف ، تحقيق : عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، د ط ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ص 206 . 207 .

[2] المرجع نفسه ، ص 208 .

[3] المرجع نفسه ، ص 214 .

عليه بقلبه في شيء. .. ثم يجب عليه حفظ سره عن غيره لا عن شيخه، فشيخه نفس من أنفاسه، وإلا فقد خانه في صحبته، وإن وقع في خاطره مخالفة شيخه فيما أشار به فينبغي أن يقر له بذلك في وقته ثم يتمثل بأمره من سفر أو حضر أو أمر شاق، كل ذلك عقوبة له على خطور الخيانة والمخالفة بباله، ولا يجوز للمشايخ التجاوز عن المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله عز وجل " [1]

ويقول: " وقبول قلوب المشايخ للمريد أول شيء على سعادته وأصدق شاهد، ومن رد قلب شيخ من المشايخ فإنه يرى غب ضرره لا محالة ولو بعد حين، ومن ترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ " [2]

وفي طريقة تلقين المريد بعد ثبوت صدقه جاء: " أن يأمر الشيخ بالاستخارة، وهو أن يستخير المريد أيضا، فإن وافقت استخارتهما يأمر الشيخ المريد أن يغتسل بغسل التوبة ثم يصلي المريد صلاة التوبة ركعتين ثم يتصدق بصدقة، ثم يجيء عند الشيخ والشيخ يجلسه بين يديه ويلصق ركبتيه بركبتيه، ثم يأخذ الشيخ بيده اليمنى يد المريد كالمصافحة، ثم يستتيب الشيخ من جميع المعاصي والمخالفات التي أضاع عمره بها ويأخذ عليه العهد " [3]

وعلى المريد أن لا يعارض ولا يستغرب سلوكا صدر من شيخه، كما يقول النقشبندي: " فمن صحب شيخا فوقه في المرتبة فأدبه ترك الاعتراض ظاهرا وباطنا وحمل ما يبدو منه على وجه جميل "[4]

وفي الطريقة النقشبندية مثلا في أوراد الذكر نجد: " وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم، وهو انتفاء وجود البشرية، وبعده يتشرب بالفناء وبالاستهلاك في الجذبة الإلهية، وإن لم تظهر النتيجة عند ذلك العدد فإنما هو من القصور في الشرط، وهو صدق الإرادة والرابطة للشيخ والمتابعة بأمر الشيخ والتسليم إليه في جميع الأمور، وسلب الاختيار عند اختيار الشيخ وطلب رضاه في كل حال، فبرعاية هذه الشروط يتوارد الفيض الإلهي من باطن الشيخ إلى باطن المريد على طريق الفيض والإمداد " [5]

---

[1] أحمد النقشبندي الخالدي ، جامع الأصول الطرق الصوفية ، تحقيق : أديب نصر الله ، ط 1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت . لبنان ، 1997 ، ص 52 . 54 .

[2] المرجع نفسه ، ص 58 .

[3] المرجع نفسه ، ص 91 .

[4] المرجع نفسه ، ص 133 .

[5] المرجع نفسه ، ص 138 .

وعن السلسلة النقشبندية نجد بعض الأوصاف التي تضفي على الشيخ طابعا أقرب إلى الإلهية منه إلى البشرية، حيث نقرأ مثلا: " عن إمام الطريقة وغوث الخليقة، ذي الفيض الجاري والنور الساري المعروف بشاه نقشبند بهاء الدين محمد البخاري الأويسي قدس سره وأعم بره " [1]

ونجد أيضا: " عن القطب الرباني غوث الخلائق عبد الخالق الغجدواني قدس سره " [2]

ثم يقول مؤلف الكتاب: " واعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل، وأقل ما يحصل للمريدين إذا دخل في سلسلة القدم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل " [3]

يقول المؤلف: " واعلم أن طرق الوصول إلى الله تعالى والفناء عند السادات أربعة:

الطريقة الأولى: وهي الأعلى والأقوى في محبة الشيخ الحقيقي الكامل بطريق المشروط بثلاثة شروط هي:

الشرط الأول: أن يصحبه خدمة له وانتسابا إليه وافتخارا به وإقبالا عليه.

الشرط الثاني: أن لا يعترض شيخه ولا ينكر عليه فعلا من أفعاله مطلقا ظاهرا كان أو باطنا، ويعد ذلك ذنبا وعليه أن يستغفر تعالى منها، لأن شيخه بيد الله تعالى، والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ولكنه يمتحن من أراد من خلقه بالشيخ وغيره.

الشرط الثالث: أن يكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل لا يخالفه في شيء مطلقا ولا ينتصر لجانب نفسه مع شيخه أبدا، ومحبة الشيخ وشيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى بحاله لا بواسطة شيء آخر كالخرقة والذكر " [4]

الطريقة الثانية: " وهي طريق مستقل للوصول، وهي عبارة ربط القلب بالشيخ الواصل إلى مقام المشاهدة المتحقق بالصفات الذاتية وحفظ صورته في الخيال ولو بغيبته. .. والشيخ كالميزان ينزل الفيض من بحر المحيط إلى قلب المريد المرابط. .. وقيل الفناء في الشيخ مقدمة الفناء في الله " [5]

---

[1] النقشبندي ، مرجع سابق ، ص 140 .

[2] المرجع نفسه ، ص 141 .

[3] المرجع نفسه ، ص 143 .

[4] المرجع نفسه ، ص 222 .

[5] المرجع نفسه ، ص 223 .

ومن شروط المريد: " إذا أردت تحصيل العقيدة وقصدت الشيخ فقل عنده: جئت إليكم لطلب معرفة الله تعالى، وبعد قبول الشيخ لا تلتمس شيئا، بل اخدمه بالميل والرغبة حتى تحصل له القبول التام " [1]

وعن آداب زيارة المريد لقبر الشيخ يقول المؤلف: " ثم إذا وقع بصره على مرقد حضرة القبر يقرأ الفاتحة في كل خطوة مرة إلى سبع خطوات ويربط قلبه بقلب حضرة القبر على الوقوف القلبي للاستفاضة من باطنه سواء كان من الأحياء أو من الأموات، ثم يقف متوجها إلى ضريح المزار قريبا من رجليه مستديرا للقبلة ملاحقا مرشده الشفيع له بحضرة المزار ومتوسلا بذلك الشفيع إليه. .. ثم يستفيض من قلبه جاعلا قلبه ملاصقا بقلب المزار، ولا يسهو عن الوقوف القلبي بغاية التضرع والانكسار، ولا يتغافل ويحسن الظن به إن كانت له حاجة فإنها تقضى بواسطته بإذن ربه " [2]

وقد أنكر الصوفية حق الفرد " وليس فقط في البحث عن الطريق بالمحاولة والخطأ، ولكن حتى في ظل التوجيه لأن الشيوخ كانوا هم الوسطاء، وهم الذين يحددون المهام الروحية والتي أصبحت عملية آلية وقد تضمنت بداية المريد إخضاع إرادته لإرادة الشيخ. .. إن سمتها الخاصة مع ذلك هي أن المعرفة بالله تعتمد على الولاية، والولاية تُنقل خلال الشيخ " [3]

كما نجد شبها بين بعض طقوس المتصوفة ونظام الكنيسة المسيحية، يقول في ذلك نيكلسون: " والسالك يبدأ ـ الآن ـ ما يسميه متصوفة المسيحية طريق التطهر، والقاعدة العامة أن يتخذ له هاديا شيخا أو مرشدا " [4]

ويقول نيكلسون عن مكانة الولي في الفكر الصوفي: " وللأولياء حكومة باطن يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى القطب، وهو أرفع صوفية عصره وإليه رئاسة الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس شوراه الموقر وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان، وإنما يأتون من أرجاء الأرض في لمحة طرف يعبرون البحار والجبال والصحاري

---

[1] النقشبندي ، مرجع سابق ، ص 242 .

[2] المرجع نفسه ، ص 309 . 310 .

[3] سبنسر ترمنجهام ، الفرق الصوفية في الإسلام ، ترجمة ودراسة وتعليق : عبد القادر البحراوي ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، د ب ن ، 1994 ، ص 232 .

[4] ر. ا . نيكلسون ، الصوفية في الإسلام ، ترجمة وتعليق : نور الدين شريبه ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1422 هـ . 2002 م ، ص 42 .

في يسر بالغ، كما يسير عوام البشر في السبيل الممهد، ودون القطب تقوم طبقات ودرجات مختلفة من الأولياء " [1]

كما نجد ما تسميه الصوفية بالأوتاد وهم " الذين يحفظ الله بهم العالم، أربعة لا خامس لهم، وهم أخص من الأبدال والإمامان أخص منهم، والقطب هو أخص الجماعة. ... والأوتاد هم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات كونهم محال نظره تعالى. .. أكبر الأولياء بعد الصحابة القطب ثم الأفراد على خلاف في ذلك ثم الإمامان ثم الأوتاد ثم الأبدال " [2]

و " شيوخ الصوفية مثل الأئمة يملكون أيضا معرفة باطنية، ولكن بخلاف الأئمة فإن معرفتهم الباطنية قد أتتهم عن طريق تعاقب الأنساب، بل عن طريق الترقي الروحي " [3]

وكل شيء في الشيخ مقدس حتى سبحته حيث أن " سبحة مؤسس الطائفة يرثها خلفاؤه بكونها مؤثرة بصفة خاصة، حيث أنها تشربت ببركة تلاوة للأسماء الحسنى طوال حياته، فكانت تحفظ في صندوق خاص وتقدم مع حارس (شيخ السبحة)، وخادم (خادم السبحة) " [4]

وعن كون الشيخ بمثابة الوسيط بين المريد وربه يقول سبنسر : " وهذا مفيد ومناسب للمريد أكثر من الذكر، لأن الشيخ هو الوسيلة التي يبلغ بها المريد للحقيقة العليا، وكلما زادت خيوط اتصاله بالشيخ كلما زادت الفيوضات من كيانه الداخلي، وسرعان ما يبلغ هدفه، ويجب على المريد لذلك أن يفقد نفسه أولا، يفنى في الشيخ وبعد ذلك قد يبلغ الفناء في الله " [5]

يقول السهروردي: " ومن أدب المريد مع الشيخ أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ، فإن الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر " [6]

ويقول أيضا: " ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه

---

[1] نيكلسون ، مرجع سابق ، ص 120 .

[2] رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، ط 1 ، مكتبة لبنان . ناشرون ، لبنان ، 1999 ، ص 122 .

[3] سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق ، ص 215 . 216 .

[4] المرجع نفسه ، ص 298 .

[5] المرجع نفسه ، ص 315 .

[6] السهروردي ، مرجع سابق ، ص 215 .

مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ، فكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه مخاطبة لله تعالى، فللقول مع الشيخ أيضا آداب وشروط، لأنه من معاملة الله تعالى " [1]

ويقول في موضع آخر: " وقال أبو بكر الواسطي: الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم و خاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات، فانكشف لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل آية من الفهم وعجائب النص، فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة " [2]

ويضيف: " أخبرنا أبو زرعة قال: أخبرنا أبو بكر بن خلف قال حدثنا أبو عبد الرحمن قال: سمعت سمعت النصراباذي يقول: سمعت ابن عائشة ويقول سمعت القرشي يقول: هي أسرار الله تعالى يبديها إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص، وقال أبو سعيد الخزار: للعارفين خزائن أودعوها علوما غريبة وأنباء عجيبة يتكلمون فيها بلسان الأبدية ويخبرون عنها بعبارة الأزلية، وهي من العلم المجهول فقوله بلسان الأبدية وعبارة الأزلية إشارة إلى أنهم بالله ينطقون " [3]

والواقع أن غلاة المتصوفة قد جعلوا الأولياء والشيوخ في مقام لا يليق إلا بمقام الألوهية، يقول عن ذلك الميلودي شغموم: " وإذا كانت شخصيات الأسطورة آلهة أو أبطالا ممدنين فإن الأولياء بدورهم وبسبب مشاركتهم في القدسي ليسوا بشرا عاديين، بشرا من مستوى أولئك الذين لا سر ولا برهان لهم، فالولاية انتقال إلى مرحلة أسمى في الوجود إلى درجة النبوة على الأقل من حيث ارتباط النبوة بالمعجزات، بل إنهم مشاركون للألوهية في صفة القدرة على خلق الفعل الخارق، بينما الناس العاديون أولئك الذين لم تتحقق فيهم بعد الولاية لا يملكون شيئا من هذه القدرة، إن الأولياء إذا جاز التعبير في منزلة بين المنزلتين، فهم ليسوا آلهة ولكنهم ليسوا في مستوى باقي البشر برغم صفة البشرية التي تظل لاحقة بهم من جهة طبيعتهم الإنسانية، والواقع أنهم يبدون احيانا كثيرة من خلال الحكايات التي تروى عن بركتهم في مستوى الملائكة والأنبياء إن لم يكونوا أعلى منهم درجة " [4]

---

[1] السهروردي ، مرجع سابق ، ص 215 .

[2] المرجع نفسه ، ص 315 .

[3] المرجع نفسه ، ص 316 .

[4] الميلودي شغموم ، المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي الحكاية والبركة ، د ط ، المجلس البلدي بمدينة مكناس ، المغرب ، د س ن ، ص 57 . 58 .

ويقول ترمنغهام: " أما التوجه فهو صيغة من الوجه، ويعني المواجهة، ويستعمل فيما يتعلق بفعل مواجهة للقبلة أثناء الصلاة المفروضة، وقد استعملت الكلمة أحيانا بواسطة الصوفية فيما يتعلق بالله، ولكن مع تطور نظام التوجه أصبحت القبلة هي المرشد وهي البوابة أو الطريقة إلى الله، وهناك أيضا توجهه إلى النبي كطريقة فنية صوفية فهو تطور للمرحلة الثالثة " [1]

وقد تأثر الصوفية بالفكر الشيعي في مسألة الوساطة، فقد " جاء تيار شيعي آخر من الإسماعيلية خدم الولاية الصوفية وجرأها على الظهور وزادها ثقة بنفسها، ذلك أن المذهب الإسماعيلي يجعل الأئمة سباعات أزلية حكمها حكم النبوة، ويجعل النقباء أو الحجج وهم أنصار الأئمة المتبحرون في العقيدة قوما مقدسين أيضا، لهم عدد ثابت محدود هو العدد 12، يرتبط بعدد البروج والأشهر كما ارتبط العدد 7 بالكواكب، وبذلك أسبغت الإسماعيلية الولاية على نقبائها وارتقت بهم من الإنسانية المادية إلى الروحانية، فاستغل الصوفية هذه السانحة أيضا وطبقوها في مجتمعهم وصبوا في قالبها مثلهم حتى رأينا التصوف بعد قرون يتخذ طابع الإسماعيلية الكامل بقوله بالمنازل وتدرج المعرفة والسلوك، وكان كيسان قبل الإسماعيلية مساويا للإمام أبي هاشم بن محمد بن الحنفية في علمه وفي أخذه عن ابن الحنفية وفي اجتهاده الديني، بحيث شرع ـ على أساس اتصاله بإمامه ـ مذهبا جديدا وجمع حوله أنصارا وأعوانا، وكان أبو هاشم هو أول من قال بالنقباء، وحدد عددهم باثني عشر ووصلهم بنقباء بني إسرائيل، وبأعوان النبي من الأنصار فجعل لهم المقام السامي و التوفيق الإلهي، وهذا أصل فكرة الإسماعيلية (في رأي المؤلف)، وهو الذي أدى في النهاية إلى أن تخرج إلى التصوف وتستقر فيه " [2]

ويضيف كامل مصطفى الشيبي قائلا: " وبعد أن أخذ الصوفية هذه المثل الشيعية وأضافوها إلى ولايتهم التفتوا إلى أهم أساس في الإمامة الشيعية، وهو سمو أهل البيت فناقشوه مناقشة أدخلته في ولايتهم وأيدوا به مشربهم وأصدروه عن الله، ذلك أنه ورد في القرآن " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "، فتمسك بها الشيعة كما هو مشهور واعتبروها دالة على عصمة أهل بيت النبي واختيار الله لهم معدنا لعلمه ومرجعا لأمته، ثم تبنى الصوفية مبدأ القداسة والعصمة. .. ومن هنا جاء التزاوج بين التشيع والتصوف، بل جاء رسم التصوف على مثال المثل

---

[1] سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق ، ص 316 .

[2] كامل مصطفى الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ط 3 ، دار الأندلس ، بيروت ـ لبنان ، 1982 ، ص 379 .

الروحية الشيعية، وصار الأولياء صورا أخرى من ولي الله علي بن أبي طالب وصاروا يتحرون ما يقال في الأئمة فيضيفونه إلى الأولياء " [1]

" وقد ذهب الغلو ببعض الشيعة أنهم قدسوا الأئمة إلى درجة التأليه، كما نجد ذلك عند غلاة الشيعة حيث جوزوا الخطأ على الأنبياء ولم يجوزوه على الأئمة " [2]

و " لقد ورثت التصوف جماعات بأعيانها كان لها مشرب خاص وطريقة خاصة ولها شيخ خاص مقامه في طريقته مقام الإمام الشيعي " [3]

ومن مظاهر تأثر الفكر الصوفي بالشيعة أنهم أسبغوا " الولاية الشيعية على معروف الكرخي الصوفي، فصارت حجر الأساس وبداية للولاية الصوفية التي تطورت فيما بعد حتى بلغت حد الاتحاد"[4]

وها هو ابن عربي [5] يقيم نظاما خاصا بالأولياء مستلهما من الفكر الشيعي كما أشار إلى ذلك مصطفى الشيبي في قوله: " وقد نظم ابن عربي دولة للأولياء تقوم على القطب والأبدال والأوتاد، وغيرهم أخذا عن الإسماعيلية " [6]

ومن الأسرار التي لها علاقة بالفكر الشيعي و تأثر بها الفكر الصوفي ، ما يعرف باسم الله الأعظم، يقول الشيبي عن ذلك: " وقد دخل في التصوف منذ بدايته الزهدية أمر كان له اتصال بالتشيع أيضا، ونعني به اسم الله الأعظم، فقد كان اسما سريا ليس له اتصال بالقرآن وتأويله، وقد عكسه لنا ـ أول من عكس ـ الغلاة، وكان أولهم المغيرة الذي رأى في اسم الله الأعظم سر الخلق وسر الإلهية. .. وقد دلل المغيرة على اطلاعه على الاسم الأعظم بقوله: لو أردت أن أحي عادا أو ثمودا، وقرونا قبل ذلك كثيرا لأحييتهم، وذلك لا يكون حسب نظريته إلا بالنطق باسم الله الأعظم. .. وقد

---

[1] كامل مصطفى الشيبي ، مرجع سابق ، ص 350 . 354 .

[2] المرجع نفسه ، ص 387 .

[3] المرجع نفسه ، ص 442 .

[4] المرجع نفسه ، ص 390 .

[5] **ابن عربي** هو : " أبو بكر محمد بن علي محي الدين ، الملقب بالشيخ الأكبر ، كاتب متصوف عربي ، ولد في 28 تموز 1165 م / 17 رمضان 560 هـ في مرسية (إسبانيا) وتوفي في 16 تشرين الثاني 1240 م / 28 ربيع الثاني 638 هـ في دمشق (سورية) ... وقد درس في إشبيلية وقرطبة وارتحل إلى المشرق العربي ، حيث أقام إلى حين وفاته ... وقد هاجمه بضراوة الفقهاء المسلمون السنيون ، لأنهم رأوا في واحديته الوجودية في نظريته في وحدة الوجود مذهبا حلوليا بكل ما في الكلمة من معنى " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 32 .

[6] كامل مصطفى الشيبي ، مرجع سابق ، ص 407 .

أخذ هذا الاتجاه الشيعي طريقه إلى التصوف، فرأينا إبراهيم بن أدهم المعاصر لأبي الخطاب. .. مطلعا على الاسم الأعظم عن طريق الخضر، وقد وجدنا جابر بن حيان يقرن عمله الكيمياوي بالاطلاع على اسم الله الأعظم من الإمام جعفر الصادق أيضا، وكذلك وجدنا ذا النون المصري مشاركا لجابر بن حيان في انتحال الكيمياء والاطلاع على اسم الله الأعظم، يقصد به تمكين الصوفي أو الزاهد من تحقيق ما يريد من كرامة فعل الغلاة السابقين " [1]

ومن الأمور التي وافق فيها المتصوفة الشيعة إسباغ العصمة على الأولياء ويقابله عند الشيعة إلحاقها بالأئمة، وننقل في هذا كلام الشيبي إذ يقول أن: " أول شيعي قال بعصمة جعفر الصادق كان هشام بن الحكم المتكلم الشيعي الكوفي، وأنه رأى ـ بوصفه متكلما ـ أن الإمام أحوج إلى العصمة من النبي. .. لأن الثاني يوحى إليه فيسدد الله خطاه، وأما الأول فلا يوحى إليه، ولذلك احتاج إلى العصمة. .. أما المتصوفة فقد قالوا بذلك ولكن على صورة غير مباشرة " [2]

ومن الأفكار التي اشتركت فيها الطائفتان فكرة المهدية، والتي كانت " من المثل الشيعية التي دخلت التصوف وأثرت فيه وأظهرت لنا الصلة الوثيقة بين العالمين. .. ذلك لأنه ما دامت الولاية مرتبطة بالإمامة والإمامة تنتهي بالمهدية في التشيع فإن من المنطقي جدا أن تنتهي الولاية بالمهدية شأن الإمامة، بل لقد كان من الضروري والحال هذه أن تسبغ على بعض شهداء الصوفية كما دارت حول الأئمة الذين كانت مهديتهم دليلا على تعلق شيعتهم العاطفي برجعتهم وإيمانا منهم بروحانيتهم وبشبههم بالمسيح الذي رفع إلى السماء وسيعود بعد، أليسوا من طينة غير طينة البشر ؟ وممن يشملهم الروح الإلهي والتوفيق الرباني ؟ " [3]

وحتى يثبت المتصوفة قدر أئمتهم و مكانتهم في عالم الملكوت الإلهي، فقد نسبوا إليهم حدوث الكرامات والخوارق تماما مثلما عند الشيعة مع الأئمة، يقول الشيبي: " كان للمتصوفة بالمشي على الماء غرام أي غرام، لأن ذلك يجمعهم بالمسيح. .. ونضيف إلى هذا أن معروفا الكرخي قد نسب إليه أخذه عن الإمام الرضا، وأن علي بن أبي طالب كان مستند الخرقة ورأس الولاية في الإسلام، و أن جعفرا الصادق كان معدودا في الصوفية وبخاصة في التفسير والتأويل والاطلاع على الباطن " [4]

---

[1] كامل مصطفى الشيبي ، مرجع سابق ، ص 411 .

[2] المرجع نفسه ، ص 414 .

[3] المرجع نفسه ، ص 495 .

[4] المرجع نفسه ، ص 325 . 326 .

كما نجد ما تسميه الصوفية بالأوتاد وهم: " الذين يحفظ الله بهم العالم، أربعة لا خامس لهم، وهم أخص من الأبدال والإمامان أخص منهم، والقطب هو أخص الجماعة. ... والأوتاد هم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، بهم يحفظ الله تعالى تلك الجهات كونهم محال نظره تعالى. .. أكبر الأولياء بعد الصحابة القطب ثم الأفراد على خلاف في ذلك ثم الإمامان ثم الأوتاد ثم الأبدال " [1]

المطلب الرابع: تأثر الفكر الصوفي بالفلسفة والأفلاطونية المحدثة

إنه لا يخفى على الدارس ما تعرضت له مختلف المدارس الصوفية من اختراق لأفكار فلسفية محضة نشأت في رحم مغاير تماما لأفكار العقيدة البسيطة الواضحة التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وإنه من أخطر هذه الاختراقات وأشدها تأثيرا على الفكر الإسلامي عموما وعلى الفكر الصوفي خصوصا ما يعرف بالأفلاطونية المحدثة والتي سبقت الإشارة إليها من قبل.

يقول عن ذلك عبد الرحمن بدوي: " كان التصوف خصوصا هو الذي عني بتصوير الكثير من الأفكار الأفلاطونية المحدثة والغنوصية في صورة إسلامية، فعن دوائر الصوفية صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التي قصد بها إلى تبرير قواعد هذا الاتجاه الديني وهو التصوف " [2]

وقد " سيطر الغنوص على فلسفة الصوفية، ودخلت فكرة الثنائية الغنوصية بين الله والمادة في عقائدهم، فأصبح محمد صلى الله عليه وسلم العقل الأول ومن هذا العقل خرج النوس (النفس)، ثم اللوجوس (الكلمة)، ثم الأنثروبوس (الإنسان الكامل)، ثم عدد من الكائنات الروحية تسمى الأيونات في تدرج تنازلي. .. ومما لا شك فيه أن التصوف الفلسفي في الإسلام قد تأثر بالغنوص وسقط عدد من مفكري الإسلام ضحية له، منهم الحلاج والسهروردي المقتول وعين القضاة الهمذاني وابن سبعين، والششتري ومحي الدين بن عربي وغيرهم، ولكن هؤلاء لا يمثلون الإسلام في شيء، فهم فلاسفة صوفيون آمنوا بالغنوص كفكرة وصبغوا مذاهبهم بصبغة خارجية غير إسلامية " [3]

---

[1] رفيق العجم ، مرجع سابق ، ص 122 .

[2] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 218 .

[3] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 211 . 212 .

وهناك فرقة من متصوفة اليهود تدعى " الصديقية، وهي مرتبة تسبق مرتبة النبي عندهم، وذلك لأن النبي لم تكن له النبوة ولكن الصديق أراد الصديقية وبلغها بلطف من الله، وهي فكرة تأثرت إلى حد بعيد بمتصوفة المسلمين، حيث نجد مرتبة الولاية عند بعض طوائف الشيعة والمتصوفة " [1]

ويؤكد إحسان إلهي ظهير على هذا التأثير فيقول: " ولقد ذكر جمع من الكتاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين . وقل من شذ عنهم . أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول، بدءا من أبي يزيد البسطامي وسهل التستري والترمذي الملقب بالحكيم وابن عطاء الله السكندري، وابن سبعين وابن الفارض والحلاج ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربي والرومي، والجيلي والعراقي والجامي والسهروردي المقتول وبايزيد الأنصاري وغيرهم. .. وأن هؤلاء أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والإشراق مع الآراء الأخرى " [2]

ويقول إبراهيم مدكور: " ولم يعدم تصوف اليونان ويمثله خاصة أفلاطون وأفلوطين أن يجد سبيله إلى العالم الإسلامي، فقد انتقل شيء منه إلى المدارس الشرقية في حران ونصيبين وجندي سابور، وبقيت منه مخلفات في مدرسة الإسكندرية إلى أن جاء الإسلام، ولتصوف أفلوطين مصدر ثابت معروف، وهو كتاب الربوبية المنسوب خطأ إلى أرسطو، وليس إلا جزءا من تاسوعات أفلوطين، وقد ترجم إلى العربية منذ عهد مبكر " [3]

ويبدو الأثر بارزا مما نلاحظه من أفكار وكتابات بعض الصوفية " في القرنين الثالث والرابع الهجري، ومن هؤلاء محي الدين بن عربي، والذي يمكن اعتباره فيلسوفا غنوصيا بامتياز " [4]

ومما نلاحظه أيضا تسرب بعض العقائد المسيحية إلى الفكر الفلسفي الصوفي، كعقيدة التثليث يقول أبو العلا عفيفي: " وأخذ بعض متفلسفة الصوفية بفكرة التثليث، وإن كانوا فهموها بمعنى غير المعنى المسيحي، وذلك كابن عربي في فصوص الحكم... وفيما ذكره ابن عربي عن الكلمة والحقيقة المحمدية التي يقول أنها كانت في الوجود قبل أن يخلق الله العالم، وأن بواسطتها ومن أجلها خلق الله

---

[1] عيد الدرويش ، فلسفة التصوف في الأديان ، ط 1 ، دار الفرقد ، سورية . دمشق ، 2006 ، ص 116 . 117 .

[2] إحسان إلهي ظهير ، التصوف . المنشأ . المصادر ، تقديم : سيد بن حسين العفاني ، ط 1 ، دار ابن حزم ، القاهرة ، 1429 هـ . 2008 م ، ص 138 .

[3] إبراهيم مدكور ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 136 .

[4] علي سامي النشار ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 31 .

الخلق، مسحة من الفلسفة المسيحية التي وصلته على النحو الذي صاغها مفكرو الآباء المسيحيين بالإسكندرية منصبغة إلى حد كبير بأفكار إسلامية أدخلها عليها بعض فلاسفة الإسلام ومتصوفيه أمثال الحلاج " [1]

يقول الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: " واعلم أن تجليات الصفات عبارة عن قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب قبولا أصليا حكميا قطعيا كما يقبل الموصوف الاتصاف بالصفة، وذلك لما سبق أن اللطيفة الإلهية التي قامت عن العبد بهيكله العبدي وكانت عوضا عنه وهي في اتصافها بالأوصاف الإلهية اتصاف أصلي حكمي قطعي " [2]

ويقول: " ومنهم من تجلى الله عليه بالصفة العلمية، وذلك أنه لما تجلى عليه بالصفة الحياتية السارية في جميع الموجودات ذاق هذا العبد بقوة أحدية تلك الحياة جميع ما هي من الممكنات، فحينئذ تجلت الذات عليه بالصفة العلمية فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد، وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ما لم يكن، ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون " [3]

وفي موضع آخر يقول: " اعلم أن هذا الملك هو المسمى في اصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة المحمدية، نظر الله تعالى إلى هذا الملك بما نظر به إلى نفسه فخلقه من نوره وخلق العالم منه، وجعله محل نظره من العالم " [4]

وقد " اقتضت الحقيقة الإلهية في علم الله سبحانه أن لا يخلق شيئا إلا ولهذا الملك فيه وجه، يدور فلك ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه، لا يتعرف ذلك الملك لأحد من خلق الله تعالى إلا إلى الإنسان الكامل، فإذا عرفه الولي علمه أشياء فإذا تحقق بها صار قطبا يدور عليه رحى الوجود جميعه بحكم النيابة والعارية " [5]

---

[1] أبو العلا عفيفي ، مرجع سابق ، ص 79 . 80 .

[2] عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، تحقيق وتعليق : أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1418 هـ . 1997 م ، ص 68 .

[3] ا المرجع نفسه ، ص 68 . 69 .

[4] المرجع نفسه ، ص 152.

[5] المرجع نفسه ، ص 153 .

وجاء في كتابه أيضا : " اعلم أن الروح له أسماء كثيرة على عدد وجوهه، يسمى بالقلم الأعلى وبروح محمد صلى الله عليه وسلم، وبالعقل الأول وبالروح الإلهي " [1]

وعن النور المحمدي يقول الجيلي: " ولما خلق الله تعالى العالم جميعه من نور محمد صلى الله عليه وسلم كان المحل المخلوق منه إسرافيل قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما سيجيء بيان خلق جميع الملائكة وغيرهم كل من محل منه، فلهذا لما كان إسرافيل عليه السلام مخلوقا من هذا النور القلبي كان له في الملكوت هذا التوسع والقوة، حتى أنه يحي جميع العالم بنفخة واحدة بعد أن يميتهم بنفخة واحدة" [2]

وما يعرف بنظرية العقل الأول عند الأفلاطونية نجدها عند الجيلي في قوله: " ثم اعلم أن العقل الأول والقلم الأعلى نور واحد، فنسبته إلى العبد يسمى العقل الأول، ونسبته إلى الحق يسمى القلم الأعلى، ثم إن العقل الأول المنسوب إلى محمد صلى الله عليه وسلم خلق الله جبريل عليه السلام منه في الأزل، فكان محمد صلى الله عليه وسلم أبا لجبريل وأصلا لجميع العالم " [3]

ثم يقول في موضع آخر: " واعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد وكنيته أبو القاسم " [4]

ويضيف قائلا: " ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي " [5]

إن " شيوخ الصوفية مثل الأئمة يملكون أيضا معرفة باطنية، ولكن بخلاف الأئمة فإن معرفتهم الباطنية قد أتتهم عن طريق تعاقب الأنساب بل عن طريق الترقي الروحي " [6]

---

[1] الجيلي ، مرجع سابق ، ص 155 .

[2] المرجع نفسه ، ص 163 .

[3] المرجع نفسه ، ص 166 .

[4] المرجع نفسه ، ص 210 .

[5] المرجع نفسه ، ص 212 .

[6] سبنسر ترمنغهام ، مرجع سابق ، ص 215 . 216 .

و " في المرحلة الأخيرة فإنهم أنكروا (الصوفية) حق الفرد، وليس فقط في البحث عن الطريق بالمحاولة والخطأ، ولكن حتى تحت وفي ظل التوجيه لأن الشيوخ كانوا هم الوسطاء، وهم الذين يحددون المهام الروحية، والتي أصبحت عملية آلية وقد تضمنت بداية المريد إخضاع إرادته لإرادة الشيخ " [1]

وقد تفرع التصوف إلى شقين كبيرين أحدهما:

" مذهب وحدة الوجود و تقديس الأولياء، بينما في نفس الوقت يحافظ على الطريق الوسط وبعد قرون من التجريب الصوفي فإن التصوف التأملي صار يحتضن مذهب اللوغوس، والذي بدون إفساد التوحيد الإلهي قدم للأولياء والنبي أساسا فلسفيا للتعبير العملي. .. فابن عربي بمذهبه عن وحدة الوجود كان يعلم أو يقول في كتبه: إن كل الأشياء تتواجد أولا كالأفكار في علم الله وهنا تنبع، وإلى هنا تعود في النهاية، لقد طور ابن عربي بصورة أكثر اكتمالا عقيدة الوجود الأول لمحمد قبل الخلق، وهذا هو مذهب النور المحمدي، فهو أي الرسول صورة الله في تقررها الأولى، وهو الوعي الإلهي وهو النور السابق للخلق والذي خلق منه كل شيء، ويسمى أيضا الحقيقة المحمدية وهي محمد الكوني في حقيقته المطلقة، والعالم مظهر لهذا النور، وقد تجسد هذا النور في آدم والأنبياء والأقطاب، وكل منهم هو الإنسان الكامل " [2]

يقول ابن عربي: " فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى دون غيره من الأسماء: أني أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذي هو ملكك " [3]

ويقول في موضع آخر: " ولهذا الروح المحمدي مظاهر في العالم، أكمل مظهره في قطب الزمان وفي الأفراد وفي ختم الولاية المحمدي، وختم الولاية العامة الذي هو عيسى عليه السلام " [4]

---

[1] سبنسر ترمنغهام ، مرجع سابق ، ص 232 .

[2] المرجع نفسه ، ص 245 . 246 .

[3] محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، تحقيق وتقديم : عثمان يحي ، مراجعة : إبراهيم مدكور ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1405 هـ . 1985 م ، ج 1 ، ص 48 .

[4] المرجع نفسه ، ج 2 ، ص 363 .

ويقول عمن يسميهم الأوتاد: " وهؤلاء الأوتاد الأربعة لهم مثل ما للأبدال الذين ذكرناهم في الباب قبل هذا روحانية إلهية وروحانية إلّية، فمنهم من هو على قلب آدم والآخر على قلب إبراهيم والآخر على قلب عيسى والآخر على قلب محمد عليهم السلام " [1]

يعلق سبنسر ترمنغهام عن فكرة الحقيقة المحمدية عند ابن عربي فيقول: " إن الحاجة للمعرفة المباشرة بكلمة الله تجعل الحقيقة المحمدية أي: اللوغوس في كل عهد تتخذ صورة الشخص المعروف كقطب زمانه والذي يظهر نفسه لقلة مختارة فقط من الصوفية، ومفهوم القطب والذي يعتمد العالم. وهذه فكرة صوفية. تعادل فكرة الإمام عند الشيعة على قيمة التدرج الغير مرئي للأولياء، هذا المفهوم يرجع إلى وقت أبعد بكثير من العصر ابن عربي، ويعتبر بصفة عامة أنه يرجع إلى ذي النون المصري الوريث للتراث الغنوصي المصري، وخلال العصور اللاحقة فإن هذا المفهوم اتخذ شكلا شعبيا وأصبح درجة من درجات التحقق الصوفي " [2]

.كرامات الأولياء عند الصوفية: ومما يؤكد على فكرة الخصوصية لهؤلاء الأولياء وكونهم وسطاء لهم يد طولى في التصرف الكوني، ما يدعونه من كرامات للأولياء، يقول عن ذلك أحمد فريد المزيدي: " وأما قضاء حوائج الناس إذا خرج شخص منهم من قبره وقضى حاجة فهل الصورة التي تخرج من قبورهم ملك أو صورة تنشأ من همتهم بحسب اعتقاد صاحب الحاجة منهم الجواب كل ذلك يكون، فتارة يوكل الله تعالى بقبر الولي ملكا يقضي حوائج الناس وتارة يخرج الولي بنفسه، لأن للأولياء الانطلاق في البرزخ والسير لأرواحهم " [3]

ويذكر في موضع آخر: " رووا عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له أن الله تعالى يرزقه ولدا ذكرا فقال له: إن أجبت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار فسلم إليه ذلك ثم جاءه بعد مدة وقال: يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما جاءت امرأتي إلا بأنثى فقال له الشيخ: الدنانير سلمتها ناقصة، قال: يا سيدي ما هي ناقصة إلا شيئا يسيرا، فقال له الشيخ: ونحن أيضا ما نقصناك شيئا كثيرا فإن أحببت أن يوف لك فوف لنا فقال: نعم يا سيدي ثم ذهب وعاد إليه يوفيه ذلك

---

[1] ابن عربي ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 401 .

[2] سبنسر ترمنجهام ، مرجع سابق ، ص 248 .

[3] أحمد فريد المزيدي ، جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال ، ط 1 ، دار الآثار الإسلامية ، سريلانكا ، 2006 ، ص 81. 82 .

النقصان فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفيناك كما أوفيت فرجع منزله فوجد الولد غلاما بقدرة الله تعالى وكرمه لأوليائه " [1]

وقد بلغ تقديسهم للأولياء مبلغا لا يصدقه عقل بشر، فكما يذكر المزيدي أنه: " مما اشتهر عند كثير من الفقهاء وغيرهم أن الكعبة المعظمة شوهدت تطوف بجماعة من الأولياء في أوقات في أمكنة غير مكانها " [2]

وذكر أيضا: " ومنها ما اشتهر في بلاد اليمن عن الفقيه إسماعيل الحضرمي. .. أنه قال يوما لخادمه وهو في سفر: " قل للشمس تقف حتى نصل إلى منزلنا، وكان في مكان بعيد وكان قرب غروبها فقال لها الخادم: يقول لك الفقيه إسماعيل: قفي له حتى يبلغ مكانه فتوقفت فتوقفت حتى بلغه ثم قال الفقيه رضي الله عنه لخادمه: ما تطلق ذلك المحبوس، فأمرها الخادم بالغروب فغربت وأظلم الليل في ساعته " [3]

ويذكر الشعراني بعض هذه الاختصاصات والكرامات للأولياء فيقول: " ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدي إبراهيم الدسوقي القرشي رضي الله عنه هو من أجلاء مشايخ الفقراء أصحاب الخرق وكان من صدور المقربين وكان صاحب كرامات ظاهرة ومقامات فاخرة وسرائر ظاهرة وبصائر باهرة وأحوال خارقة وأنفاس صادقة وهمم عالية ورتب سنية ومناظر بهية وإشارات نورانية ونفحات روحانية وأسرار ملكوتية ومحاضرات قدسية له المعراج الأعلى في المعارف والمنهاج الأسنى في الحقائق. .. وهو أحد من أظهره الله عز وجل إلى الوجود وأبرزه رحمة للخلق وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وصرّفه في العالم ومكّنه في أحكام الولاية وقلب له الأعيان وخرق له العادات وأنطقه بالمغيبات" [4]

ويقول أيضا: " وكان رضي الله عنه (إبراهيم الدسوقي القرشي) يقول: أنا موسى في مناجاته أنا علي في حملاته أنا كل ولي في الأرض خلعته بيدي ألبس منهم من شئت، أنا في السماء شاهدت

---

[1] أحمد فريد المزيدي ، مرجع سابق ، ص 123 .

[2] المرجع نفسه ، ص 125 .

[3] المرجع نفسه ، ص 134 .

[4] عبد الوهاب الشعراني ، الطبقات الكبرى ، د ط ، المطبعة العامرة الشرفية ، مصر ، 1315 هـ ، ج 1 ، ص 140 . 141 .

ربي وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النار غلقتها وبيدي جنة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنة الفردوس " [1]

ونختم فكرة التقديس للأولياء بقول ميرسيا إلياد معلقا عليها: " ومن جهة أخرى فإن طريق الصوفية يقتضي بالضرورة تلامذة مع لزوم تكريسهم وطول تدريبهم من قبل معلم، وإن هذه العلاقة الاستثنائية بين المعلم وتلامذته وصلت سريعا لتمجيد الشيخ وعبادة القديسين " [2]

[1] عبد الوهاب الشعراني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 153 . 154 .

[2] ميرسيا إلياد ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 139 .

المبحث الرابع: الفلسفة الإسلامية وفكرة الوساطة (الفارابي وابن سينا نموذجا) :

قبل أن نتطرق إلى الحديث عن الفلسفة الإسلامية، فإنه يحسن بنا الإشارة إلى أبرز الفلاسفة اليونانيين الذين كان لهم تأثير لا يستهان به على فلاسفة الإسلام لا سيما فيما يتعلق بفكرة الوساطة.

ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة أفلاطون الذي " قال إن للعالم محدثا مبدعا أزليا واجبا بذاته، عالما بجميع معلوماته على نعت الأسباب الكلية، كان في الأول ولم يكن في الوجود رسم ولا ظل ولا مثال عند الباري تعالى. .. قال فأبدع العقل الأول وبتوسطه النفس الكلي قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة في المرآة ويتوسطهما العنصر " [1]

يقول محمد عبد الرحمن مرحبا: " إن الكائن الذي قال به أفلاطون هو يهوه إله بني إسرائيل الذي بشر به موسى، وهو إله مفارق للعالم فوق الجوهر وفوق الفكر خارج عن الزمان والمكان. .. والله لفرط علوه عن العالم ولعظم الهوة بينهما فإنه لا يؤثر في العالم تأثيرا مباشرا، وإنما هو يؤثر فيه بمجموعة من الوسطاء أو القوى الإلهية هي سفراء الله ورسله، كما أن النفس لا تبلغ إلى الله إلا بالوسطاء أيضا، و هؤلاء الوسطاء يختلفون بعضهم عن بعض تبعا للأعمال التي يقومون بها وهم: اللوغوس أو الكلمة، ويليه الحكمة الإلهية أو سوفيا وكثيرا ما يطلق عليه فيلون أم العالم، وقد يصفها بأنها روح الله، ومن الوسطاء أيضا الملائكة والجن " [2]

وأما أرسطو وأتباعه فإنهم يقولون: " بأن عمل المحرك الأول هو تحريك الأجرام فقط وليس خلقها من عدم، وتحريكه للأجرام ليس بفعل صادر عنه ولكن بحركة عشقية تصدر عن الأجرام، وتصور أرسطو للمحرك الأول على النحو السابق قد جعل الخالق في نظره مجرد فكرة عقلية لا وجود له في واقع الحس. .. ولقد انتقل هذا التصور العقلي المجرد من أرسطو إلى الفكر الإسلامي وتأثر به بعض الفلاسفة المسلمين ابتداء من الكندي إلى ابن رشد على اختلاف بينهم في ذلك. .. ثم الفارابي وابن سينا مع تفاوت الموقف بينهم قربا أو بعدا من الفلسفة اليونانية " [3]

---

[1] الشهرستاني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 406 .

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا ، الموسوعة الفلسفية الشاملة ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 224 . 225 .

[3] محمد السيد الجليند ، قضية الألوهية بين الدين والفلسفة ، د ط ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص 56 . 57.

ويثبت مصطفى النشار هذا الأثر فيقول: " وقد امتد تأثير الأفلاطونية المحدثة إلى العالم المسيحي، وكذا العالم الإسلامي طوال العصور الوسطى إلى حد لم يسلم منه بعض كبار الفلاسفة، فقد وجد القديس أوغسطين عند أفلوطين ما يؤيد التعاليم المسيحية، كما برز تأثير الفلسفة الأفلوطينية في الفكر الإسلامي من خلال ترجمة تساعياته الأخيرة " [1]

وقد " دعا أوغسطين إلى كشف الإله بالقلب ومن خلاله وأذعن بثلاثية الباطن الذي عبر عنها بالتثليث الإلهي وهو: الوعي، العقل، والإرادة، واعتبر الإشراق مصدرا للمعرفة كما اعتبر العقل المستضاء بالإشراق واسطة في معرفة الله " [2]

وتقول أميرة حلمي مطر: " امتد تأثير الأفلاطونية الجديدة في أنحاء العالم اليوناني الروماني المختلفة، وغزت بعد ذلك العالم المسيحي والإسلامي طوال العصور الوسطى إلى حد لم يسلم منه أحد من كبار فلاسفة هذه العصور، وكان القدس أوغسطين على رأس آباء الكنيسة الذين وجدوا عن أفلوطين ما يؤيد تعاليم المسيحية، أما في العالم الإسلامي فقد ترجمت أجزاء من التاسوعات الثلاثة الأخيرة إلى السريانية ثم نقلت إلى العربية ونسبت خطأ إلى أرسطو طاليس. .. ولعبت نظرية الفيض عند فلاسفة الإسلام دورا خطيرا، إذ كانت محور نظرياتهم الكونية، وقد امتزجت عندهم الإلهيات بالطبيعيات. .. وأخذوا بنظرية العقول العشرة، العقل الأول يفيض عن الوجود ويتعقل هذا العقل الأول المبدأ الأول واجب الوجود أو الله، كما يعقل ذاته وحين يعقل ذاته تحدث الكثرة فيفيض عنه العقل الثاني، ثم عن طريق التعقل لمبدئه ولذاته يفيض العقل الثالث حتى نصل إلى العقل العاشر الذي سمي عند العرب بالعقل الفعال [3]، وهو مدبر العالم الأرضي والواسطة بين الكائنات الإلهية والعقول البشرية " [4]

---

[1] مصطفى النشار ، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية ، دط ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2005 م ، ص 282 .

[2] محمد مصطفوي ، مرجع سابق ، ص 89 .

[3] **العقل الفعال** : يعرفه المتصوفة كالآتي : " من جملة الأنوار القاهرة أبونا ورب طلسم نوعنا ، ومفيض نفوسنا ومكملها بالكمالات العلمية والعملية ، روح القدس المسمى عند الحكماء بالعقل الفعال " رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مرجع سابق ، ص 122 .

[4] أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، مرجع سابق ، ص 428 .

ويعد أوغسطين " ممن ترك أثرا كبيرا على الفكر السياسي وفلسفة التاريخ الوسيطين من خلال كتابه الشهير: مدينة الله، حيث أسس من خلاله لفكرة الوسيط بين الله والبشر متجليا في الكنيسة المسيحية " [1]

[1] محمد مصطفوي ، مرجع سابق ، ص 90 .

المطلب الأول: الفارابي وفكرة الوساطة

وعند الفارابي[1] أنه " إذا توصلنا إلى أن تحقق الممكن ووجوبه ليس من ذاته، بل من الله الواجب الذي لم يسبق وجوبه بإمكان، فكيف وجد هذا العالم وكيف خرجت الكثرة من الواحد البسيط ؟ لقد كان ذلك عن طريق الفيض، فالأول هو الله الذي عنه وجد الوجود ومتى وجد الوجود الأول الذي هو له لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات. .. ووجود ما يوجد عنه إنما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر، وعلى أن وجود غيره فائض عن وجوده هو "[2]

ويقول الفارابي عن ترتيب الموجودات وصدورها عن الأول: " والأول هو الذي عنه وجد، ومتى وجد للأول الوجود الذي هو له، لزم ضرورة أن يوجد عنه سائر الموجودات التي وجودها لابإرادة الإنسان واختياره على ما هي عليه من الوجود الذي بعضه مشاهد بالحس وبعضه معلوم بالبرهان، ووجود ما يوجد عنه إنما هو على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر، وعلى أن وجود غيره فائض عن وجوده هو "[3]

ويقول أيضا: " الموجودات كثيرة، وهي مع كثرتها متفاضلة، وجوهره جوهر يفيض منه كل وجود كيف كان ذلك الوجود، كان كاملا أو ناقصا، وجوهره أيضا جوهر، إذا فاضت منه الموجودات كلها بترتيب مراتبها حصل عنه لكل موجود قسطه الذي له من الوجود ومرتبته منه، فيبتدئ من أكملها وجودا ثم يتلوه ما هو أنقص منه قليلا ثم لا يزال بعد ذلك يتلو الأنقص إلى أن ينتهي إلى الموجود الذي إن تخطى عنه إلى ما دونه تخطى إلى ما لم يمكن أن يوجد أصلا، فتنقطع الموجودات من الوجود، وبان جوهره جوهرا تفيض منه الموجودات من غير أن يُخَص بوجود دون وجوده "[4]

---

[1] **الفارابي** : " أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ، ولد في واسج في مقاطعة فاراب بتركستان ... درس في بغداد أولا على معلم مسيحي هو يوحنا بن حيلان ، ودرس بعد ذلك المنطق والفلسفة والنحو والصرف والعلوم والرياضيات والموسيقى ، وارتحل إلى حلب في 330 هـ / 941 م ... ومات في دمشق في 339 هـ / 950 م عن ثمانين عاما ، لقب بالمعلم الثاني ... وتأثر بأفلوطين وقبس عنه نظريته في الواحد وتكثره " . جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 449 . 450.

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص 416 .

[3] أبو نصر الفارابي ، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة ، تقديم وتعليق : ألبير نصري نادر ، ط 2 ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت . لبنان ، د س ن ، ص 55 .

[4] المرجع نفسه ، ص 57 .

ولما تحدث الفارابي عن رئيس المدينة الفاضلة اشترط أن يتميز عن باقي البشر بخصائص عديدة فنجده يقول مثلا: " وهذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال على الوجه الذي قلنا " [1]

والخلاصة عنده أن: " العقل الأول يعلم ذاته ويعلم الأول، وهذه الاثنينية العرضية تستحيل بعده إلى اثنينية حقيقية، فبحكم أنه يعقل الأول يلزم عنه وجود ثالث هو العقل الثاني " [2]

وقد " عني الفارابي عناية كبيرة بالنفس وعلاقتها بالعقل، فأخذ هو ومن جاء بعده بتفسير النفس بأنها تفيض عن آخر العقول السماوية العقل الفعال. .. وهذا القول يترتب على الأخذ بنظرية الفيض من الأفلاطونية الجديدة التي تتلخص في أن الخلق لا يتم دفعة واحدة، وإنما يفيض عن هذا العقل عقل ثان وهكذا حتى ينتهي الفيض إلى عشر عقول آخرها هو العقل الفعال " [3]

وجاء في كتاب الملة للفارابي: " ثم يأخذ نظائر هذه أيضا في المدينة الفاضلة ويجعل منزلة الملك والرئيس الأول فيها منزلة الإله الذي هو المدبر الأول للموجودات وللعالم وأصناف ما فيه " [4]

ويقول أيضا عن الرئيس الذي يحكم المدينة الفاضلة: " ثم يرتقي من تلك الرتبة إلى رتبة مدبر ملك المدينة الفاضلة والرئيس الأول الذي من الروحانيين، وهو الذي جعل الروح الأمين وهو الذي به يوحي الله تعالى إلى الرئيس الأول للمدينة، فينظر ما رتبته وأي رتبة هي من مراتب الروحانيين، ثم لا يزال هكذا يرتقي في التعريف إلى أن ينتهي إلى الإله جل ثناؤه، ويبين كيف ينزل الوحي من عنده رتبة إلى الرئيس الأول، فيدبر الرئيس الأول المدينة أو الأمة بما يأتي به الوحي من الله تعالى " [5]

ويرجع إبراهيم مدكور فلسفة الفارابي إلى تأثره بالوسط الذي عاش فيه فيقول: " فقد انتشرت في العالم الإسلامي في عهده أفكار صوفية كثيرة صادرة من أصل هندي أو فارسي أو إغريقي مسيحي أو مسيحي " [6]

---

[1] الفارابي ، مرجع سابق ، ص 125 . 126 .

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا ، مرجع سابق ، ص 419 .

[3] أميرة حلمي مطر ، الفكر الإسلامي وتراث اليونان ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996 ، ص 55 . 56 .

[4] أبو نصر الفارابي ، كتاب الملة ونصوص أخرى ، تحقيق محسن مهدي ، ط 2 ، دار المشرق ، بيروت ، 1991 ، ص 45 .

[5] المرجع نفسه ، ص 64 .

[6] إبراهيم مدكور ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 43 .

ويؤكد عرفان عبد الحميد فتاح على تأثر الفارابي بالأفلاطونية المحدثة، فيقول: " فقد بدأت الدراسات الحديثة توضح ما في فلسفة رجاله . لاسيما الفارابي وابن سينا . من ميل إلى التصوف وما في فلسفتهما من عناصر أفلاطونية وأفلاطونية محدثة " [1]

و " إن المذهب الفيضي يحاول أن يفسر العلاقة الكائنة بين العالم العلوي والعالم السفلي تفسيرا فلسفيا جديدا، فهو يضعنا أمام التدرجات الأتية ذكرها:

الله في قمة الترتيب، ثم تأتي المرتبة الأولى وهي العقل الأول، ثم النفس الكلية ثم الطبيعة الكلية، ثم نجد أنفسنا بعد ذلك أمام العالم السفلي، ونجد العناصر الأربعة (الأجسام)، وهذا يعني أن العملية تنازلية يحكمها مبدآن أساسيان:

. من الواحد إلى الكثرة: فالله يسمى الواحد في الأفلوطينية، والعملية تتم في النهاية من الواحد إلى الكثير وليس العكس، إذ يستحيل أن نستخلص الوحدة من الكثرة ولكن نستخلص الكثرة من الوحدة.

. من الله الذي هو عقلي محض إلى ما هو حسي مادي (العالم السفلي)، فالتراتب تنازلي من الواحد المطلق إلى ماله طبيعة حسية " [2]

ويقول محمد آيت حمو في موضع آخر: " أما الكائن الأول فإنه بعيد كل البعد عن أن يدرك بواسطة العقول البشرية، لذلك لا نستطيع وصفه ولا تحديده، ولكن العقل الفعال لا ينفك يتأمل هذا الكائن الأول، وسعادة الأنفس البشرية تكون في هذا العقل الفعال الذي هو مصدرها " [3]

وقد لقيت نظرية الفيض والصدور قبولا من الفارابي وابن سينا، حتى أنهم "طوروها إلى نظرية العقول العشرة التي جعلوا منها محورا تدور حوله مسألة خلق العالم وتفسيرا لكيفية خروج الكثرة عن الواحد، وحفاظا على المبدأ الذي ورثوه عن الفلسفة وهو أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد " [4]

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح ، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ، ط 1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1413 هـ . 1993 م ، ص 19 .

[2] محمد آيت حمو ، الدين والسياسة في فلسفة الفارابي ، د ط ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، 2011 م ، ص 122 . 123 .

[3] المرجع نفسه ، ص 136 .

[4] سعد الدين السيد صالح ، مرجع سابق ، ص 219 .

و " قد تعرض الفارابي لمشكلة الخلق فأدخل في حلها نظرية أفلوطين في الفيض موفقا بين قول أرسطو بقدم العالم وتعليم الإسلام بحدوثه " [1]

[1] أحمد شمس الدين ، الفارابي حياته آثاره فلسفته ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1411 هـ . 1990 م ، ص 127 .

المطلب الثاني: ابن سينا [1]

تقوم فلسفة ابن سينا في هذه الفكرة على ما أسماه بالعقول العشرة حيث زعم " بأن هذه العقول العشرة هي الملائكة وأن العقل العاشر هو مصدر الوحي للأنبياء"[2]

وقد برز أثر الأفلوطينية المحدثة جليا على فلسفة ابن سينا تحديدا فيما يتعلق بنظرية الفيض والصدور، يقول أبو ريان في ذلك: " وكذلك يستعير ابن سينا ـ كما فعل الفارابي ـ فكرة أفلوطين في اتحاد فعل المعرفة وفعل الإيجاد، فيكفي أن يتجه العقل إلى ذاته حتى يصدر عنه موجود آخر، يبدأ الوجود في التسلسل من الواحد فعن الواحد لا يصدر إلا واحد، فلو صدر عنه اثنان لاقتضى ذلك اثنينية في ذات الواحد، وهذا الصادر الأول هو العقل الأول الذي يسمى بالعقل الكلي عند أفلوطين" [3]

يقول ابن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات: " فالمبدأ المفارق العقلي لايزال تفيض منه تحريكات نفسانية للنفس السماوية على هيئات نفسانية شوقية تنبعث منها الحركات السماوية على النحو المذكور من الانبعاث، ولأن تأثير المفارق متصل فما يتبع ذلك التأثير متصل على أن المحرك الأول هو المفارق " [4]

ويقول في موضع آخر: " فالأول يبدع جوهرا عقليا هو بالحقيقة مبدَع وبتوسطه جوهرا عقليا وجرما سماويا، وكذلك عن ذلك الجوهر العقلي حتى تتم الأجرام السماوية وينتهي إلى جوهر عقلي لا يلزم عنه جرم سماوي. .. فيجب أن تكون هيولى العالم العنصري لازمة عن العقل الأخير، ولا يمتنع أن يكون للأجرام السماوية ضرب من المعاونة فيه " [5]

---

[1] **ابن سينا** : " **أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا** : ولد في قرية أفشنة من أعمال خرميثن قرب بخارى سنة 370 هـ . 980 م ، وتوفي في همذان (إيران) سنة 428 هـ . 1037 م ، درس على دعاة إسماعيليين قدموا من مصر مبادئ الفلسفة اليونانية والهندسة والحساب ، كما درس الطب وبرع فيه وأتقن الرياضيات والمنطق والطبيعيات " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص 26 . 27 .

[2] سعد الدين السيد صالح ، مرجع سابق ، ص 220 .

[3] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق، ص 326 .

[4] أبو علي ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن ، ج 3 ، ص 179 .

[5] المرجع نفسه ، ج 3 ، ص 229 . 231 .

ويقول أيضا: " وأما الصور فتفيض أيضا من ذلك العقل ولكن تختلف في هيولاتها بحسب ما يختلف من استحقاقها لها بحسب استعداداتها المختلفة " [1]

وقد تأثرت الإسماعيلية بهذه النظرية، وقالوا بنظرية شبيهة لها هي: " المثل والممثول: وهي تقوم على المحاكاة والمقابلة بين عالم الغيب وعالم الشهادة أو حسب المصطلحات الإسماعيلية بين الحدود العلوية والحدود السفلية، فكل حد هنا في عالم الدين هو مثل يمثل حدا علويا هو ممثوله الموجود في الملأ الأعلى، فالله هو مبدع المبدعات المتعالي عن كل صفة عن طريق الأمر الذي هو الإرادة الإلهية وهو همزة الوصل بين الله والعالم، وعن الأمر فاض العقل وعن العقل فاضت النفس، وهذان الأصلان هما ما عبر عنهما الدين باللوح والقلم، وعن النفس فاضت الهيولى إلى الجوهر البسيط القابل للصور ثم الجسم الكلي " [2]

يقول محمد علي أبو ريان: " ويظهر من هذا أن الوسطاء بين الواحد والعالم الحسي هم العقول أو العالم العقلي، وهنا تظهر فكرة الوسائط التي شاعت في المذاهب الإسلامية، والتي تميز بها المذهب الأفلاطوني المحدث " [3]

---

[1] ابن سينا ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص 233 .

[2] سعد الدين السيد صالح ، مرجع سابق ، ص 221 .

[3] محمد علي أبو ريان ، أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي ، ط 1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1959 م ، ص 80 .

المطلب الثالث: الغنوصية

تعد الغنوصية مذهبا هجينا يجمع بين طياته بين الفلسفة والأفكار الدينية من مشارب شتى [1]، وفي الشأن يقول محمد عمارة: " ولقد بدأت الغنوصية كمذهب تلفيقي مزيج بين الهيلينية اليونانية وخاصة الأفلاطونية الحديثة والتصوف اليهودي " القبالا " والمزدكية والمانوية. .. وقد حاولت الغنوصية التسلل إلى الفكر الإسلامي، فكان ظهور المذاهب الصوفية والتي تقول بوحدة الوجود، وكذا الباطنية العرفانية الإشراقية " [2]

وقد تسلل الغنوص إلى الفكر المسيحي عبر مراحل تاريخية مختلفة حيث يقول المؤرخون بأن : " فالنتينوس المصري [3] أول من أسس مدرسة للفكر الغنوصي المسيحي. .. ويروى أنه قام بتأسيس مدرسة غنوصية أخرى في روما فترة إقامته بها (136 . 165 م). .. وقد تبلورت تعاليمه في عدة أناجيل منحولة، أهمها إنجيل الحق وإنجيل فليبس ورسالة في تفسير النفس وتعاليم سيلفانوس، ويتلخص مضمونها في أن الله كائن مطلق مجرد أزلي لا يمكن البلوغ إليه أو التعرف عليه تماما، وهو الأصل الأول الذي لم يصدر عن شيء ثم بعد عصور لا حصر لها فاضت عنه زوجته، وتدعى الرحم أو الصمت وقد أنجبا المسيح أو اللوغوس الذي انبثقت منه الأيونات (شبه أفكار أو أنصاف ملائكة)، وخلالهم وجدت كل الأشياء والتحمت معا " [4]

ثم امتد تأثير الغنوصية إلى أمصار أخرى، وقد أشارت إلى ذلك أميرة حلمي مطر بقولها: " وفي الإسكندرية انتشرت العقيدة الغنوصية، وانتشرت بعد ذلك في أغلب بلاد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وامتد تأثيرها إلى كافة الأديان فاختلطت بالمسيحية واليهودية وأثرت في بعض مفكري الإسلام، ويقال أنها أثرت أيضا في إنجيل يوحنا وهو الإنجيل الذي أدخل في المسيحية فكرة الكلمة (اللوغوس) " [5]

---

[1] **الغنوصية** : " نسبة إلى غنوصيص gnosis ومعناها المعرفة ، وهي نزعة فلسفية قديمة تقوم على التلفيق بين الفلسفة والدين والمزج بين المعارف المختلفة ، وهي في الأصل مؤسسة على فكرة الفيض والصدور الأفلاطونية المحدثة والآراء الباطنية والإشراقية " . محمد عمارة ، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ، ط 2 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، 2004 م ، ص 215 .

[2]. محمد عمارة ، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ، مرجع سابق، ص : 215 .

[3] **فالنتينوس باسيليوس** : " غنوصي كتب باليونانية ، ولد في أواخر القرن الأول الميلادي ومات نحو 161 م ، أصله من مصر ودرس في الإسكندرية " . جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 453 .

[4] عصمت نصار ، مرجع سابق ، ص 136 .

[5] أميرة حلمي مطر ، الفكر الإسلامي وتراث اليونان ، مرجع سابق ، ص 90 .

ونجد أن مبدأ الفكر الغنوصي قائم على مايسمونه بالعرفان وهو في رأيهم: " ليس العلم بواسطة المعاني المجردة والاستدلال كما هو الحال في المعرفة الفلسفية المنطقية، بل هو عندهم المعرفة الحدسية الحاصلة من اتحاد المعارف بموضوع المعرفة، أما غاية هذه المعرفة فهي الوصول إلى عرفان الله بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة وخيال، وفي هذا تعتبر الغنوصية صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة، وترجع بأصلها إلى وحي أنزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا. .. ويعتنق العرفانيون مبدأ الصدور، وهم يضعون في قمة الوجود الله الموجود المفارق صدرت عنه أرواح يسمونها الأيونات والأراكنة، وتتضاءل هذه الأرواح في درجة الألوهية كلما بعدت عن المصدر الأول " [1]

ويشرح فراس السواح طريقة الفيض الغنوصية قائلا: " أما كيف تم احتباس بذرة النور العلوي في الجسد الإنساني فسؤال تجيب عنه نظرية التكوين الغنوصية التي تحكي عن أصل الديميرج وكيف ظهر إلى الوجود وصنع العالم السفلي والإنسان، وذلك من خلال عملية سقوط جرت في عالم الألوهة، فمنذ الأزل لم يكن سوى الأب النوراني الأعلى القائم بذاته المكتفي بنفسه، ثم إن هذه الألوهة فاضت وأنتجت أفلاك قوى روحانية تحيط بالأب وتعكس مجده هي الأيونات ومفردها أيون aeon، وتعني باللغة اليونانية دهرا أو عصرا، ولكنها في الميثولوجيا الغنوصية تدل على فلك قوة روحانية يقع في نقطة الوسط بين الفكرة والشخصية، وقد اكتملت حلقات الفيض بالفلك المؤنث المدعو صوفيا (الحكمة)" [2]

ومما لاشك فيه أن الفكر الصوفي قد نهل من الغنوصية إلى حد كبير، وهذا ما يؤكده فراس السواح إذ يقول: " فقد ساهمت الغنوصية إلى حد بعيد في حركة التصوف الإسلامي، وبشكل خاص في الفكر الفلسفي والصوفي للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، كما أثرت في عقائد الفرق الإسلامية غير الأرثدوكسية " [3]

كما أن الفكر الصوفي قد أقحم شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم في فكرة بدء الخلق في ثوب غنوصي محض، يقول عبد الرحمن بدوي: " وهناك عنصر أجنبي دخل في تكوين نظرية أهل السنة في النبي، ولكن على الرغم من أنه أجنبي فقد ظهر أنه ملائم وقابل لأن يهضمه أهل السنة،

---

[1] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 79 .

[2] فراس السواح ، الوجه الآخر للمسيح ، ط 1 ، دار علاء الدين ، سورية . دمشق ، 2004 ، ص 154 .

[3] المرجع نفسه ، ص 181 .

وذلك العنصر هو تصوير محمد باعتبار أنه كان موجودا من قبل أن يوجد على الأرض، وهذا التصوير لا يبدو كنظرية قالت بها المدارس الغنوصية والصوفية، وإنما يبدو في صورة أحاديث موثوق بصحتها منتشرة في البيئات السنية على اعتبار أنها قول قال به النبي نفسه، فالحديث التالي منتشر انتشارا عاما ونعني به: " كنت نبيا وآدم بين الطين والماء "، أي قبل أن يخلق الله آدم من هذه المواد أو أنه كان نبيا قبل أن يوجد آدم وقبل أن يوجد الطين والماء اللذين منهما خلق آدم " [1]

هذا ويقسم أصحاب العرفان البشر إلى ثلاث طوائف: " الروحانيون والحيوانيون والماديون، وطريق الخلاص للطائفة الأولى واضح لما ركب في طبيعتها من أصل إلهي، أما الطائفة الثانية فإن الجسم يعوقها عن الخلاص فيجب التخلص منه بضرب من الرياضات والمجاهدات الصوفية حتى تتمكن النفس من السيطرة على نوازعه الشريرة، أما الماديون فإن المادة تعوقهم عن الصعود فوق العالم السفلي وتمنعهم من الوصول إلى المقر الروحاني، والطريق إلى الله مليء بالوسطاء وتجتاز النفس في رحلتها إلى قمة الوجود أفلاك السيارات السبع حتى تصل إلى الله، ولا تعطنا العرفانية فكرة واضحة تقربنا من نظرية الفناء الصوفية، أما فكرة التوسط أو الوساطة من الناحية الميتافيزيقية فإنها تقوم على أساس صوفي سيكولوجي، وذلك للتقريب بين الله والبشر " [2]

وهذا ما شكل تربة خصبة لدى المتصوفة ليتمكنوا بعد ذلك من التنظير لفكرة الناسوت واللاهوت، والتي تعد فكرة مسيحية لا تمت إلى الفكر الإسلامي الأصيل بشيء من الصلة

و يثبت محمد علي أبو ريان تأثر التصوف بالفلسفة المسيحية بقوله: " الواقع أن انتشار المدارس المسيحية في مدرسة الإسكندرية الفلسفية وما كان يقوم حولها من جدل فلسفي في العقائد المسيحية وكذلك انتقال مدارس الفلسفة إلى فارس القديمة ثم فتح العرب لفارس والشام، كل هذا هيأ نوعا من الاتصال المباشر بين العرب وبين ثقافات الأقاليم التي فتحوها قبل عصر الترجمة لفترة طويلة، فاتصل العرب بالرهبان في الأديرة واستمعوا إلى مناقشتهم، بل وتأثروا بما عاينوه في حياتهم من زهد وتقشف مما قد يكون له أثره في حركة التصوف الإسلامي، لا سيما في الفترة الأولى التي تعرف بفترة الزهد وذلك قبل عصر الترجمة " [3]

---

[1] عبد الرحمن بدوي ، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 224 . 225 .

[2] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 79 . 80 .

[3] المرجع نفسه ، ص 92 .

وقد لعبت هذه الترجمة دورا بارزا في نقل الفلسفة المسيحية إلى المدارس الصوفية، و ازدادت حركة الترجمة نشاطا في العصر العباسي " وعلى الأخص في عهد المأمون، وقد سبقت هذه الفترة محاولات في العصر الأموي وكذلك في مستهل العصر العباسي على عهد المنصور والرشيد " [1]

و يقسم محمد علي أبو ريان حركة النقل والترجمة في العصر العباسي إلى ثلاث مراحل كالآتي [2]:

. المرحلة الأولى: " تمتد من سنة 136 هـ إلى سنة 198 هـ، أي من خلافة المنصور إلى وفاة الرشيد، ومن أشهر المترجمين في هذه الفترة يوحنا البطريق وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه ".

. المرحلة الثانية: " من 198 هـ إلى 300 هـ، في هذه المرحلة . وهي تمثل عصر المأمون . ازدهرت حركة الترجمة وازداد النشاط العلمي، وترجمت الكتب في كل العلوم وفي الأخلاق والفلسفة والنفسيات بعد أن كانت الترجمة قاصرة على كتب الكيمياء والطب "

. المرحلة الثالثة: " من سنة 300 هـ إلى 350 هـ، استمرت هذه المرحلة نصف قرن على وجه التقريب، ومن أشهر المترجمين في هذه المرحلة أبو بشر متى بن يونس أو ابن يونان وكانت له مدرسة في الترجمة في بغداد في خلافة الراضي سنة 320 هـ، وهو نصراني نسطوري كانت نشأته الأولى في دير للرهبان. .. ويبدو أن مدرسة أبي بشر كان يغلب عليها الاشتغال بكتب أرسطو المنطقية والطبيعية، وربما بعض كتبه الإلهية مع العناية بتفاسير هذه الكتب ليوحنا النحوي وغيره من شراح أرسطو ".

ومما نقل إلى العالم الإسلامي الرسائل المعروفة باسم " الذهبيات وهي وصايا عملية مقتبسة من مؤلفات الأفلاطونية المحدثة في القرن الثاني الميلادي، وهي رسائل تنسب إلى فيثاغورس، على أن شخصية فيثاغورس كان لها تأثير كبير على متصوفة الإسلام والمسيحية " [3]

كما " يعتبر المذهب الإشراقي في جملته مذهبا أفلاطونيا حمل في جوانبه ما اشتملت عليه التيارات الفلسفية الإسلامية السابقة عليه، فتأثر بنظرية الفيض المشائية ومواقف ابن سينا وعلى الأخص في الإشارات، ويدور المذهب حول فكرة الإشراق، فالأول أو نور الأنوار يفيض عنه النور

---

[1] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص92 . 93 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 93 . 105 .

[3] المرجع نفسه ، ص 107 . 108 .

الإبداعي الأول، وعن هذا الصادر الأول تصدر أنوار طويلة يسميها بالقواهر العالية، ثم تصدر عن هذه القواهر العالية أنوار عرضية يسميها بأرباب الأنواع، وهي أنوار تدبر شؤون الأنواع الموجودة في العالم الحسي، يضاف إلى هذا أن السهروردي [1] قد ابتدع عالما أوسط بين العالم الحسي والعالم العقلي أسماه بعالم البرزخ أو بعالم المثل المعلقة، ويبدو أن الوضع الأنطولوجي لهذا العالم الأوسط هو وضع المثل الرياضية المتوسطة عند أفلاطون، وإذا كان المشاؤون قد جعلوا العقول عشرة فإن السهروردي يجعل الأنوار في أعداد لا حصر لها، بل أنه يشير إلى كثرة لامتناهية من الأنوار التي تنشأ عند تقابل الأشعة الإشراقية والمشاهدية، والتي تحدث أيضا كنتيجة للجهات العقلية المختلفة. .. غير أن تفصيل الفيوضات الإشراقية عند السهروردي وتقسيمها إلى مراحل إنما وضع لغاية صوفية، حيث أن إيضاح المراحل على هذا النحو إنما يفتح الطريق أمام الواصل لكي ينتقل من مرحلة إلى أخرى تدريجيا حتى يصل إلى جوار الحق أو نور الأنوار، وأخيرا فإن مذهب السهروردي لا بد من أن ينتهي إلى واحدية وجودية نورانية تلتقي فيها وحدة الوجود مع وحدة الشهود " [2]

ويرى محمد أبو ريان أن المذهب الإشراقي " هو استمرار للفلسفة اليونانية بالصورة الأفلاطونية المتأثرة بتيارات الفكر الفلسفي التلفيقي التي راجت تعاليمه عند السريان وانتقلت على هذه الصورة إلى المسلمين في عصر الترجمة " [3]

و" كان ابن مسرة يمثل الفرع المغربي لحركة الباطنية المتأثرة بتعاليم أنبادوقليس [4]...

ثم لم تلبث أن تأثرت بالأفلاطونية المحدثة فيما بعد، وقد أخذ ابن مسرة عن الغنوصية بعض أفكارها الأساسية كفكرة المادة المشتركة الخالدة، أو العنصر الأول وأن النفس قد هبطت من عالم إلهي نتيجة

---

[1] **السهروردي** : " شهاب الدين بن يحي : فيلسوف وإمام شافعي ، ولد في سهرورد سنة : 549 هـ / 1155 م ، درس أولا في مراغة بأذربيجان ، ثم قدم إلى أصبهان بفارس ، حيث اطلع على مأثور ابن سينا ، ومنها انتقل إلى الأناضول ... وقصد أخيرا سورية ، اتهم بالخروج على الدين وقتل في قلعة حلب يوم 29 تموز 1191 ، وقد عرف بشيخ الإشراق ، ولقبه أتباعه بالشيخ الشهيد ، وسماه مترجمو حياته بالشيخ المقتول " جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 372 .

[2] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 410 . 411 .

[3] المرجع نفسه ، ص 411 .

[4] **إنباذوقلس الإغريغنتي** : " فيلسوف يوناني ولد نحو 492 ق م في أغريغنتا . وكانت في حينه من أهم مدن العالم الإغريقي . من أسرة أرستقراطية غنية ... وضع معرفته بالطبيعيات ورحه الخلاق في خدمة مدينته وصقلية بأسرها ... وبموجب نظريته في النفوس أخيرا فإن الأرواح تجبر على الهيمان هنا وهناك لعشرات الألوف من السنين بعيدا عن الفردوس الذي قدمت منه ، وعلى لبوس مختلف الأشكال الفانية قبل أن تتوصل إلى التطهر " . (جورج طرابيشي ، معجم الفلاسفة ، مرجع سابق ، ص 97 . 98) .

للخطيئة وأنها تعمل لخلاصها وعودتها عن طريق التطهر الذي لا يتحقق بدون مرشد روحي وبدون تأويل نصوص الكتب المقدسة، وقد صاغ ابن مسرة هذه الأفكار في إطار مذهب فيوضات مترتبة النزول وتنحصر مراتبها في خمسة جواهر: العنصر الأول أو المادة الأولية المعقولة، ثم العقل والنفس والطبيعة، وأخيرا المادة الثانية، ويلاحظ أن المراتب الثانية والثالثة والرابعة والخامسة موجودة عند أفلوطين " [1]

[1] محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، مرجع سابق ، ص 415 .

خاتمة

خاتمة :

من خلال دراستنا هذه يمكن أن نستخلص بعض النتائج نوجزها كالآتي :

- أن فكرة الوساطة الكهنوتية موغلة في القدم، حيث ظهرت تجلياتها في كثير من الطقوس الدينية لدى كثير من الشعوب القديمة كالروم والفرس، وقدماء المصريين، بابل وغيرها.

- أن سبب شيوع فكرة الكهنوت كفكرة دينية له أسباب شتى لعل من أبرزها: الخوف والرهبة من القوى التي تفوق قوى البشر، مما يجعلهم يحاولن مد جسور التواصل مع هذه القوى من خلال الوسائط التي تختلف مظاهرها، فقد تكون وسيطا بشريا، أو ملائكيا أ أو جنيا أو غير ذلك من مظاهر الطبيعة أو ما شابه.

- أن الأديان السماوية في أصلها جميعا قبل تعرض بعض منها إلى التحريف قد جاءت أساسا لنبذ كل أشكال الوساطة بين العبد وربه.

- أن النصرانية قد تأثرت بالديانات الوضعية التي سبقتها على غرار الديانة المصرية القديمة، وديانة روما القديمة وغيرها.

- أن المؤسسة الدينية لا سيما الكنيسة استغلت نظام الكهنوت لتبسط نفوذها وتحكم سيطرتها عبر أزمنة مختلفة على فئات الشعب المستضعفة، وقد تحالفت السلطة الدينية مع السلطة السياسية لتذيق الناس أشكالا وصنوفا من أقسى ما عرفته البشرية في تاريخها من التنكيل والتضييق على الرأي الآخر باسم الدين.

- أن الفكر الديني على اختلاف اتجاهاته قد تأثر بالفلسفة اليونانية أيما تأثر، فقد تأثرت بعض الفرق يهودية كانت أو نصرانية أو حتى إسلامية به إلى حد التماهي في بعض الأحيان ومحاولة تكييف النصوص الدينية ولي أعناقها لتوافق مدلولات الفلسفة.

- كان للأفلاطونية المحدثة الأثر البالغ على المدارس الفكرية من مختلف الديانات، ففيما يتعلق بفكرة الوساطة ظهر تأثير نظرية الفيض والصدور بارزا في الفكر المسيحي وكذا الفكر الإسلامي.

- أن الإسلام كدين سماوي يرفض كل أشكال الوساطة والكهنوت، وأن ما حدث من انحرافات عن هذا المسار إنما مرده إلى تأثر بعض المدارس الفكرية بغيرها وانحرافها عن نصوص الوحي الصريحة والصحيحة.

- أن التنظير لمسألة الوساطة في الفكر الشيعي غرضه نصرة المذهب وصناعة نموذج فوق البشر يتمثل في شخصية الإمام المعصومة الفذة، وذلك للالتفاف حولها وجمع الكلمة عليها وتبرير سلطة المؤسسة الدينية.

- أن كلا من التشيع والتصوف في شكله الغالي في شخصية الإمام أو الولي يخدم الفكر الباطني الذي يهدف إلى هدم الأديان والتملص من أي التزام تجاهها.

- كما أننا يمكن أن نخلص إلى بعض المقترحات والتوجيهات، وكذا التوصيات ، والتي نذكر منها:

- ضرورة التفريق بين نصوص الوحي وممارسات الأتباع.

- التفريق بين الإسلام كدين سماوي وبين الفكر الإسلامي كمجهود بشري قابل للتغيير ومعرض للنقص والخلل.

- التخلص من احتكار فهم الأفكار والنصوص الدينية.

- محاولة فهم ما لدى الآخر للتعامل معه انطلاقا من مصادره.

- وفي ختام هذا البحث لا يسعنا إلا أن نقول هذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله وما كان من نقص أو خلل فمن أنفسنا والشيطان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

قائمة المصادر والمراجع

. القرآن الكريم برواية ورش.

. الكتاب المقدس مترجم عن الطبعة الإنجليزية المنقحة الصادرة سنة 1984، ترجمة العالم الجديد.

، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405 هـ . 1985 م.

1) إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية . منهج وتطبيقه، ج 2، د ط، دار المعارف، مصر، د س ن.
2) ابن بابويه القمي، الإمامة والتبصرة، ط 1، مدرسة الإمام المهدي، قم المقدسة، 1404 هـ.
3) ابن منظور، لسان العرب، دط، دار المعارف، القاهرة، د س ن .
4) ابن منظور،، لسان العرب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005 م . 1426 هـ.
5) أبو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، د ط، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت، د س ن.
6) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تصحيح وتعليق أحمد فهمي محمد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1413 هـ . 1992 م.
7) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط 1، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، 1420 هـ . 2000م.
8) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1422 هـ . 2001 م.
9) أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دراسات في الفكر الإسلامي، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 1412 هـ . 1991 م.
10) أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي ، التعرف على مذهب أهل التصوف ، د ط ، د س ن .
11) أبو علي ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة ، د س ن .

12) أبو نصر الفارابي، كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق: ألبير نصري نادر، ط 2، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ـ لبنان، د س ن.

13) أبو نصر الفارابي، كتاب الملة ونصوص أخرى، تحقيق محسن مهدي، ط 2، دار المشرق، بيروت، 1991.

14) إحسان إلهي ظهير، التصوف ـ المنشأ ـ المصادر، تقديم: سيد بن حسين العفاني، ط 1، دار ابن حزم، القاهرة، 1429 هـ ـ 2008 م.

15) أحمد النقشبندي الخالدي، جامع الأصول الطرق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ـ لبنان، 1997.

16) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط 1، دار طيبة، الرياض، 1426 هـ ـ 2005 م .

17) أحمد شلبي، المسيحية، ط 10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998

18) أحمد شمس الدين، الفارابي حياته آثاره فلسفته، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1411 هـ ـ 1990 م.

19) أحمد عمران، العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، د ط، دار الوعي، بيروت ـ لبنان، د س ن.

20) أحمد فريد المزيدي، جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، ط 1، دار الآثار الإسلامية، سريلانكا، 2006.

21) أحمد محمد جاد، أثر الأفلاطونية المحدثة على بناء الإلهيات عند الإسماعيلية، د ط، دار الهاني للطباعة والنشر، د م ن، 1425 هـ ـ 2004 م.

22) أفلوطين، تاسوعات أفلوطين، ترجمة فريد جبر، مراجعة جيراد جهامي وسميح دغيم، ط 1، مكتبة لبنان ـ ناشرون، بيروت ـ لبنان، 1997.

23) أميرة حلمي مطر، الفكر الإسلامي وتراث اليونان، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

24) أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، د ط، دار قباء، القاهرة، 1998.

25) إميل بريهييه، الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري، ترجمة محمد يوسف موسى، عبد الحليم النجار، د ط، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1954.
26) أندرو ميلر، مختصر تاريخ الكنيسة، ط 4، شركة الطباعة المصرية، مصر، 2003.
27) أنمار أحمد محمد، اللاهوت المسيحي نشأته ـ طبيعته، ط 1، دار الزمان، سوريا، 2010.
28) أنور الجندي، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، د ط، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ـ لبنان، 1987.
29) بربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، ترجمة مناف حسين الياسري، د م ن، د س ن.
30) بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، ط 10، دار الثقافة، القاهرة، د س ن.
31) توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام، ط 1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، القاهرة، 1412 هـ ـ 1991 م.
32) توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، د ط، مكتبة الآداب، مصر، د س ن.
33) جمال الدين شرقاوي، الكنيسة وأسرارها، ط 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1429 هـ ـ 2008 م.
34) جورج طرابيشي، مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام، ط 1، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، 1998.
35) جون ر. هينليس، معجم الأديان، ترجمة: هاشم أحمد محمد، مراجعة وتقديم: عبد الرحمن الشيخ، ط 1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010.
36) حبيب جرجس، أسرار الكنيسة السبعة، ط 4، مكتبة المحبة، القاهرة، د س ن.
37) حربي عباس عطيتو، ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة، ط 1، دار العلوم العربية، لبنان، 1413 هـ ـ 1992 م.
38) حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، د ط، دار الثقافة، القاهرة، د س ن.
39) حنين عبد المسيح، بدعة كهنوت الإكليروس، ط 1، د م ن، د ب ن، 2009.

40) خالد رحال محمد الصلاح، العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها، د ط، دار العلوم العربية، بيروت ـ لبنان، د س ن .

41) ر. ا. نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق: نور الدين شريبه، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1422 هـ . 2002 م.

42) رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط 1، مكتبة لبنان . ناشرون، لبنان، 1999.

43) الزهرة لحلح، العالم والإنسان في فلسفة إخوان الصفا، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1429 هـ . 1430 هـ / 2008 م . 2009 م .

44) سبنسر ترمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، د ط، دار المعرفة الجامعية، د ب ن، 1994.

45) سعد الدين السيد صالح، قضايا فلسفية في ميزان العقيدة الإسلامية، ط 1، جامعة الإمارات العربية المتحدة، 1418 هـ . 1998 م.

46) سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، ط 3، دار الأوائل، سورية . دمشق، 2005.

47) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط 5، دار السلام، القاهرة . مصر، 1999 م . 1419 هـ.

48) شارل جنيبير، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبد الحليم محمود، ط 3، دار المعارف، القاهرة، د س ن.

49) شنودة الثالث، الكهنوت، ج 1، ط: 3، المكتبة القبطية على الأنترنت، يناير 1989.

50) شهاب الدين السهروردي، عوارف المعارف، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، د ط، دار المعارف، القاهرة، د س ن.

51) صابر طعيمة، الشيعة معتقدا ومذهبا، ط 1، المكتبة الثقافية، بيروت، 1408 هـ . 1988 م.

52) صالح بن عبد الله بن حميد ، أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، ط 1، دار المنارة ، جدّة، السعودية 1415هـ . 1994م.

53) صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي ط1، بيروت: دار الشرق، 1994.

54) عادل درويش، الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط 1، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، 1433 هـ . 2012 م.

55) عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، د ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1940.

56) عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ط 4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

57) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، د ط، دار العلم للملايين، د م ن، 1997.

58) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العلمانية في الفكر الإسلامي، ط 1، دار السلام، القاهرة، 1427 هـ . 2006 م.

59) عبد العزيز عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش، ط 1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1419هـ . 1998م.

60) عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، تحقيق وتعليق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1418 هـ . 1997 م.

61) عبد الله خليفة، الاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، 2005 م.

62) عبد الوهاب الشعراني، الطبقات الكبرى، د ط، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، 1315هـ.

63) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط 3، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2006.

64) عرفان عبد الحميد فتاح، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، ط 1، دار الجيل، بيروت، 1413 هـ . 1993 م.

65) عصمت نصار، فلسفة اللاهوت المسيحي العصر المدرسي المبكر في القرون الخمسة الأولى، ط 1، دار الهداية، د ب ن، 1429 هـ . 2008 م.

66) علي بن نايف الشحود، الخلاصة في خصائص العقيدة الإسلامية، ط 1، دار المعمور، ماليزيا، 1430 هـ . 2009 م.

67) علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط 8، دار المعارف، القاهرة، د س ن.

68) عمر أمين مصالحة، اليهودية ديانة توحيدية أم شعب الله المختار، ط 1، دار الجليل، عمان . الأردن، 2005.

69) عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، 1983.

70) عيد الدرويش، فلسفة التصوف في الأديان، ط 1، دار الفرقد، سورية . دمشق، 2006.

71) فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح، ط 1، دار علاء الدين، سورية . دمشق، 2004.

72) فؤاد معصوم، إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، ط 1، دار المدى، سوريا، دمشق، 1998.

73) كامل محمد محمد عويضة، أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1414 هـ . 1993 م.

74) كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ط 3، دار الأندلس، بيروت . لبنان، 1982.

75) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط 4 ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، 1425 هـ . 2004 م .

76) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425 هـ . 2004 م .

77) محسن الأراكي، نظرية النص على الإمامة في القرآن الكريم، ط 2، المجمع العالمي لأهل البيت، د م ن، 1428 هـ.

78) محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط 4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1415 هـ . 1994 م.

79) محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، ط 3، دار المعارف، د م ن، د س ن.

80) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، د ط، دار الشهاب، الجزائر، د س ن.

81) محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط 1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1413 هـ. 1992 م.

82) محمد السيد الجليند، قضية الألوهية بين الدين والفلسفة، د ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

83) محمد آيت حمو، الدين والسياسة في فلسفة الفارابي، د ط، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان، 2011.

84) محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري من كتابه: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب وتحقيق: بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415 هـ. 1994 م .

85) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط 5، دار الكتب الإسلامية، طهران. إيران، 1363 هـ.

86) محمد جابر، الشيعة الجذور والبذور، ط 1، مركز الأبحاث العقائدية، إيران، 1430 هـ.

87) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ط 2، د م ن، العراق، د س ن.

88) محمد عبد الحميد الحمد، الرهبنة والتصوف في المسيحية والإسلام، ط 1، د م ن، د ب ن، 2004.

89) محمد عبد الرحمن عوض، الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام، د ط، دار البشير، القاهرة، د س ن.

90) محمد عبد الرحمن مرحبا، الموسوعة الفلسفية الشاملة. من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دط، عويدات للنشر والطباعة، بيروت. لبنان، 2000 م. 1420 هـ.

91) محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، ط 3، دار الحداثة، مصر، 1988.

92) محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، د ط، د م ن، د س ن.

93) محمد علي أبو ريان، أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959 م.

94) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1410 هـ . 1990 م.

95) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، تجريد عبد الله إبراهيم الأنصاري، د ط، دار الصابوني، د س ن.

96) محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1409 هـ . 1988 م.

97) محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط 2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 2004 م.

98) محمد غالب بركات، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث اليهودية، المسيحية، الإسلام، ط 1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2011.

99) محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، د ط، د م ن، القاهرة، 1938.

100) محمد مصطفوي، الدين والأسطورة، ط 1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2014.

101) محمود إسماعيل، إخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي، ط 1، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، 1996.

102) محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، تحقيق وتقديم : عثمان يحي ، مراجعة : إبراهيم مدكور ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1405 هـ . 1985 م .

103) مصطفى النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، دط، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005 م.

104) مصطفى غالب، الحركات الباطنية في الإسلام، د ط، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د س ن.

105) موسى بن عقيلي بن أحمد الشيخي، تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ.

106) ميرسيا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ط 1، دار دمشق، سوريا، 1986 . 1987.

107) الميلودي شغموم، المتخيل والقدسي في التصوف الإسلامي الحكاية والبركة، د ط، المجلس البلدي بمدينة مكناس، المغرب، د س ن.

108) نبيل الحيدري، التشيع العربي والتشيع الفارسي، ط 1، دار الحكمة، لندن، 1435 هـ . 2014 م.

109) نزار يوسف، الوصاية الفكرية، ط 1، د م ن، سوريا، 2008.

110) النعمان بن محمد المغربي، كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة، تحقيق محمد كامل حسين، د ط، دار الفكر العربي، د م ن، د س ن.

111) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، ط 2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت . لبنان، 1998.

112) ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود، د ط، دار الجيل، بيروت، د س ن.

113) وليم وهبة بباوي وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ط 1، دار الثقافة، القاهرة، . 2001

114) ياروسلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، ترجمة أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1416 هـ . 1996 م.

114 يوسف الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، ط 1، دار صفحات للدراسات والنشر، سورية، دمشق، 2009.

. مواقع الأنترنت :

. شبكة الألوكة الشرعية / https://www.alukah.net/sharia

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
البقرة	"وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان"	186	د
آل عمران	﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	64	75
	"ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل"	75	أ
المائدة	﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٨﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٩﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن	118– 120	68

	﴿ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٠﴾ ﴾		
	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٦﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤفَكُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾	**77–75**	**68**
	﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ ﴾	**19**	**69**
	"يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس"	**69**	**96**
النساء	﴿ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ	**–170 171**	**75**

	فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ إِنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾		
التوبة	"وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله فأنى يؤفكون"	**30**	**ج**
	"اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون"	**31**	**ج**
	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرُۢ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ	**31–30**	**76/70**

	وَالْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهاً وَٰحِداً لآَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾		
يونس	﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾	**18**	**10**
	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلآَءِ شُفَعَـٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلاَ فِى ٱلأَرْضِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	**18**	**73**
الصافات	﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلآَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾	**149–158**	**73**
الزمر	ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون	**03**	**د**
	﴿ أَلاَ لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَالذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى	**06–03**	**74**

	﴿ ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٤ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٥ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦ ﴾		
الغاشية	﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢ ﴾	**22–21**	**77**

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
أخرج البخاري في صحيحه الحديث الآتي: عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله "	85
أخرج البخاري في صحيحه أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله "	85
قوله عليه الصلاة والسلام: " لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "	85
يقول صلى الله عليه وسلم: " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "	85

فهرس نصوص الكتاب المقدس

الإصحاح	الفقرة	الصفحة
يوحنا الإصحاح 1 الفقرة 1	في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله... "	ب
متى الإصحاح 16 الفقرة 19	" وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السماء "	ج
تيموثاوس، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 ـ 6 .	" يوجد إله واحد ووسيط بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع "	1
متى ، الإصحاح 10 ، الفقرة : 1	" واستدعى تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطة"	3
مرقص ، الإصحاح 14 ، الفقرة : 24 .	" وقال لهم هذه تمثل دمي الذي للعهد الذي يسكب من أجل كثيرين"	3
العدد، الإصحاح : 3 ، الفقرة : 10 .	" وتعين هارون وبنيه فيتولون كهنوتهم وأي غريب يقترب يقتل"	15
الخروج ، الإصحاح 29 ، الفقرة : 29 .	" وثياب هارون المقدسة تكون لبنيه من بعده لكي يمسحوا فيها ولكي يكرسوا كهنة "	15
الخروج ، الإصحاح 40 ، الفقرة : 13 ـ 15 .	" وتلبس هارون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لي وتقرب بنيه وتلبسهم أقمصة وتمسحهم كما مسحت آباءهم ليكهنوا لي ويكون لهم مسحهم كهنوتا دهريا مدى أجيالهم "	15

صموئيل الأول ، الإصحاح : 2 ، الفقرة : 35 ـ 36 .	" وأقيم لنفسي كاهنا أمينا ويعمل بحسب ما في قلبي ونفسي وأبني له بيتا ثابتا فيسير دائما أمام مسيحي ويكون أن كل من يبقى في بيتك يأتي ويسجد له للحصول على دفعة من المال ورغيف خبز ويقول ضمني إلى إحدى وظائف الكهنوت لآكل كسرة خبز "	15
اللاويين ، الإصحاح 14 ، الفقرة : 27 ـ 29 .	" وينضح الكاهن بأصبعه اليمنى من الزيت الذي على راحة يده اليسرى سبع مرات أمام يهوه، ويجعل الكاهن من الزيت الذي على راحة يده على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى فوق موضع دم قربان الذنب، والباقي من الزيت الذي على راحة يد الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيرا عنه أمام يهوه"	15
متى ، الإصحاح 12 ، الفقرة : 3 ـ 6 .	" فقال لهم أما قرأتم ما فعل داود حين جاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله وأكلوا أرغفة التقدمة التي لا يحل له أكلها ولا للذين معه إلا للكهنة فقط أوما قرأتم في الشريعة أن الكهنة في السبوت في الهيكل يعتبرون السبت غير مقدس ويبقون بلا ذنب "	16
يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 14 .	" فلما رأى الناس الآيات التي صنعها أخذوا يقولون: هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم "	21
يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 26 . 27 .	" أجابهم يسوع وقال: الحق أقول لكم أنتم تفتشون عني، ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم، اعملوا لا للطعام الذي يفنى بل للطعام الذي يبقى للحياة الأبدية الذي يعطيكم إياه ابن الإنسان، فهذا هو من ختمه الآب الله نفسه بختم رضاه "	22
يوحنا ، الإصحاح : 6 ، الفقرة : 62 .	" فكيف إذا رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان من قبل "	22
يوحنا ، الإصحاح : 8 ، الفقرة : 39 . 40 .	" قال لهم يسوع: إن كنتم أولاد إبراهيم، فاعملوا أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون قتلي أنا الإنسان الذي أخبرتكم بالحق الذي سمعته من الله، إبراهيم لم يفعل هذا "	22

يوحنا ، الإصحاح : 5 ، الفقرة : 30 .	" أنا لا أقدر أن أعمل شيئا من تلقاء ذاتي، كما أسمع أدين ودينونتي بارة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني "	22
متى ، الإصحاح 16 ، الفقرة : 18 . 19	" وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذا الصخر سأبني جماعتي وأبواب هادس لن تقوى عليك سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فإن ما تربطه على الأرض يكون المربوط في السماوات وما تحله على الأرض يكون المحلول في السماوات "	29
أفسس ، الإصحاح 4 ، الفقرة : 11 . 12 .	" وهو أعطى بعضا كرسل وبعضا كأنبياء وبعضا كمبشرين وبعضا كرعاة ومعلمين لأجل إصلاح القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح "	34
متى ، الإصحاح 18 ، الفقرة : 18 . 19 .	" فاقترب يسوع وكلمهم قائلا: دُفعت إلي كل سلطة في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا أناسا من جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس "	34
يوحنا ، الإصحاح 20 ، الفقرة : 21 . 23 .	" فقال لهم يسوع ثانية سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا أيضا قال هذا ثم نفخ عليهم وقال لهم خذوا روحا قدسا من غفرتم خطاياه غفرت لهم ومن أمسكتموها لهم أمسكت "	35
تيموثاوس 2 ، الإصحاح 1 ، الفقرة : 6 .	" فلهذا السبب عينه أذكرك أن تضرم موهبة الله التي فيك بوضع يدي عليك "	37
بطرس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 . 6 .	" تُبنَونَ أنتم أيضا كحجارة حية بيتا روحيا لتكونوا كهنوتا مقدسا لتقربوا ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح "	37
بطرس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 9 .	" وأما أنتم فجنس مختار كهنوت ملكي أمة مقدسة "	37

عبرانيين ، الإصحاح 5 ، الفقرة : 4 .	" وليس أحد يأخذ هذه الكرامة من تلقاء ذاته بل من دعاه الله كما دعا هارون "	37
روما ، الإصحاح 15 ، الفقرة : 16 .	" لأقوم بالعمل المقدس إعلان بشارة من الله كخادم للمسيح يسوع لدى الأمم فيصيروا قربانا مقبولا عند الله قُدّسَ بروح قدس "	38
تيموثاوس 1 ، الإصحاح 2 ، الفقرة : 5 . 6	" لأنه يوجد إله واحد ويوجد وسيط واحد بين الله والناس وهو الإنسان المسيح يسوع الذي بذل نفسه فدية معادلة عن الجميع "	38
متى ، الإصحاح : 26 ، الفقرة : 26 . 28 .	" وفيما هم يأكلون بعد أخذ يسوع رغيفا وطلب بركة ثم كسره وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا يمل جسدي وأيضا أخذ كأسا وشكر ثم أعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم فإن هذه تمثل دمي الذي للعهد الذي يسكب من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا "	38
تيموثاوس 1 ، الإصحاح 5 ، الفقرة : 22 .	" لا تضع يديك أبدا على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين "	39
متى ، الإصحاح 10 ، الفقرة : 1 .	" واستدعى تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطة "	39
متى ، الإصحاح 18 ، الفقرة : 18 .	" الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون المربوط في السماء وما تحلونه على الأرض يكون المحلول في السماء "	39
متى ، الإصحاح 18 ، الفقرة : 18 .	" الحق أقول لكم إن ما تربطونه على الأرض يكون المربوط في السماء وما تحلونه على الأرض يكون المحلول في السماء "	39
يوحنا ، إصحاح 1 ، فقرة 1 .	" في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله "	26 52/

فهرس الأعلام والشخصيات

الاسم	الصفحة
بولس	21
أريوس	47
برنابا	48
هيراقليطوس	49
جوستين	50
أثينا غورس	50
كليمان (كليمنضوس الإسكندري)	50
أوريجين الإسكندري	50
أوغسطين	50
فيلون الإسكندري	52
هيرقليطس	52
أكليمندس السكندري	54
أوريجانوس	54
أفلوطين	59
أمونيوس سكاس	63
ابن عربي	116
الفارابي	127
أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا	130
فالنتينوس باسيليوس	132
السهروردي	135
إنباذوقلس الإغريغنتي	136

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدّمة أ

الفصل الأول مدخل

المبحث الأول تحليل مفاهيم مفردات العنوان
المطلب الأول مفهوم الوسيط الكهنوتي
المطلب الثاني مفهوم الفكر المسيحي
المطلب الثالث مفهوم الفكر الإسلامي

المبحث الثاني فكرة الوساطة الكهنوتية عند القدماء
المطلب الأول في العصور القديمة
المطلب الثاني عند الرومان والفرس
المطلب الثالث عند البابليين والصابئة
المطلب الرابع عند قدماء المصريين
المطلب الخامس عند البراهمة
المطلب السادس عند مشركي العرب في الجاهلية

المبحث الثالث الوساطة الكهنوتية في الفكر الديني اليهودي
المطلب الأول الكهنوت في نصوص التوراة
المطلب الثاني تأثر الفكر الديني اليهودي بفكرة الوساطة

الفصل الثاني الوسيط الكهنوتي في الفكر المسيحي

المبحث الأول فكرة الوساطة في بدايات المسيحية
المطلب الأول المسيح في نصوص الكتاب المقدس
المطلب الثاني اختلاف النصارى حول طبيعة المسيح
المطلب الثالث المجامع المسيحية
المطلب الرابع النظام الكنسي وتكريس فكرة الوساطة
المطلب الخامس الأسرار الكنسية
المطلب السادس البروتستانت وفكرة الوساطة الكهنوتية

المبحث الثاني تأثر الفكر المسيحي بغيره من الفلسفات والأديان
المطلب الأول الفلسفات والأديان القديمة
المطلب الثاني الفلسفة اليونانية والأفلاطونية المحدثة
المطلب الثالث فيلون الإسكندري وفكرة الوسيط
المطلب الرابع أفلوطين وأثره في الفكر المسيحي - م
ـ نظرية العقول العشرة عند أفلوطين

الفصل الثالث الوسيط الكهنوتي في الفكر الإسلامي

المبحث الأول فكرة الوساطة في مصادر الإسلام الأولى
المطلب الأول في القرآن والسنة
المطلب الثاني الحوار العقدي في القرآن الكريم حول فكرة الوساطة

المطلب الثالث بداية تأثر الفكر الإسلامي بغيره من الأفكار والفلسفات

المبحث الثاني الوساطة في الفكر الشيعي

المطلب الأول عند عموم الشيعة
المطلب الثاني لمحة عن فكرة الوسيط عند بعض فرق الشيعة
ـ المطلب الثالث سلطة الإمام عند الشيعة الإسماعيلية
ـ المطلب الرابع الإمامة ركن من الدين عند الشيعة
ـ المطلب الخامس تأثر الفكر الشيعي بالأفلاطونية المحدثة
المطلب السادس إخوان الصفا وفكرة الوساطة

المبحث الثالث الوساطة في الفكر الصوفي

المطلب الأول مفهوم التصوف
المطلب الثاني أصل التصوف ونشأته
المطلب الثالث مكانة الأولياء والشيوخ عند الصوفية
المطلب الرابع تأثر الفكر الصوفي بالفلسفة والأفلاطونية المحدثة

المبحث الرابع الفلسفة الإسلامية وفكرة الوساطة الفارابي وابن سينا نموذجا

المطلب الأول الفارابي وفكرة الوساطة
المطلب الثاني ابن سينا
المطلب الثالث الغنوصية

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

الفهارس

الملخص باللغة العربية

الملخص : لقد جاء هذا البحث محاولة منا لتسليط الضوء على فكرة عقدية بالغة الأثر لدى معتنقي الأديان ، حيث تتمثل هذه الفكرة في مفهوم الوساطة الكهنوتية بمختلف تطبيقاته ، وقد لاحظنا من خلال بحثنا ما تعرضت له فكرة التقديس من انحراف عن المسار الصحيح الذي رسمه الأنبياء والرسل وبشروا به ، لتخرجه في أغلب الأحوال إلى دائرة التأليه .

والمشكلة لدى مختلف الطوائف التي جعلت من قضية الوساطة عقيدة راسخة ، أنها بالغت في كثير من الأحيان في تقديس الأشخاص والغلو في مقاماتهم إلى أن جعلت منهم أقانيم مقدسة ، مثل ما حدث مع المسيحية .

و الملاحظ أن الفكرة ضاربة القدم ، حيث وجدناها ماثلة لدى أصحاب النحل القديمة كالمصرية والهندوسية والبابلية وغيرها ، كما شهدت اليهودية هي الأخرى نماذج لهذه الفكرة .

وأما الذي حدث في تاريخ الكنيسة المسيحية فيما يتعلق بإحكام قبضتها على عقيدة الأتباع ، وفرض سيطرتها من خلال مجموعة من الأسرار و الطقوس المعقدة . لاسيما سر الكهنوت ، فلا يمكن لأحد إنكار دوره في تنكبها عن جادة الصواب التي دعا إليها المسيح عليه السلام .

وقد لاحظنا من خلال البحث أن سلطة الكهنوت إنما برزت في عصور متأخرة ، خصوصا بعد مجمع نيقية وما تلاه من اضطهاد وتضييق على الطوائف الموحدة .

ولا ننسى بعد ذلك ما تعرضت له طوائف تنسب نفسها للإسلام في هذه الفكرة ، فهاهي الشيعة والمتصوفة على سبيل المثال تنحو منحى المسيحية ، فتتقاطع معها في كثير من التعقيدات التي تتعلق بتقديس الأشخاص فمثل ما رفعت المسيحية المسيح ورجال الدين إلى مقام العصمة والتقديس ، فعل غلاة الشيعة والصوفية بالأئمة والأولياء .

وإن مما نهلت منه كل هذه الفرق هو ذلكم المورد الفلسفي اليوناني ، حيث كان للأفلوطينية المحدثة الحصة الأكبر من هذا الأثر ، فقد كانت مصدرا لا يستهان به للكثير من الأفكار العقدية فيما بعد .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك الأثر : اللغة التي كتب بها إنجيل يوحنا ، وفكرة الكلمة أو ما يسمى أيضا باللوغوس ، ثم ما وجدناه عند فلاسفة المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا وتأثرهم بفكرة الفيض والصدور الأفلوطينية .

كما أن الغنوصية كانت حاضرة هي الأخرى عند مختلف الطوائف الدينية ويمثلها في جانب الفلاسفة المسلمين : السهرورودي والحلاج وغيرهم .

و ختاما نقول بأن كل هذا التعقيد الذي شاب التصور العقدي لفكرة الوساطة على اختلاف النيات والمقاصد ، إنما أبعد الإنسان عن الصفاء والبساطة التي جاء بها الأنبياء والرسل من خلال دعوتهم إلى التوحيد والتسامح .

الملخص باللغة الفرنسية

Résumé :

Cette recherche est une tentative de notre part de mettre en lumière une idée doctrinale qui a un grand impact sur les adeptes de la religion, telle que cette idée est représentée par le concept de médiation sacerdotale dans ses diverses applications que nous avons constatées à travers nos travaux. recherchez la déviation que l'idée de sanctification a subie par rapport au chemin correct tracé par les prophètes et les messagers ont prêché à son sujet, l'amenant dans la plupart des cas au cercle de la déification. Le problème avec les différentes sectes qui ont fait de la question de la médiation une doctrine établie est qu'elles exagèrent souvent en sanctifiant les gens et en exagérant leur statut jusqu'à les transformer en hypostases sacrées, comme cela s'est produit avec le christianisme. Il est à noter que l'idée est très ancienne, car nous l'avons trouvée présente chez les anciens apiculteurs tels que les Égyptiens, les Hindous, les Babyloniens et d'autres, et le judaïsme a également été témoin d'exemples de cette idée. Quant à ce qui s'est passé dans l'histoire de l'Église chrétienne en ce qui concerne son emprise plus étroite sur la foi de ses fidèles et son contrôle à travers un ensemble de secrets et de rituels complexes - en particulier le secret du sacerdoce, personne ne peut nier son rôle dans c'est s'éloigner du chemin de la justice que Christ, que la paix soit sur lui, a appelé. Nous avons remarqué grâce à nos recherches que l'autorité du sacerdoce n'a émergé qu'à des époques ultérieures, notamment après le Concile de Nicée et les persécutions et restrictions imposées aux sectes unifiées qui ont suivi. Et n'oublions pas après cela quelles sectes qui s'attribuent à l'Islam ont été soumises au regard de cette idée. Ici, les chiites et les soufis, par exemple, penchent vers le christianisme, et le croisent dans de nombreuses complexités liées à la sanctification de l'islam. personnes. Tout comme le christianisme a élevé le Christ et le clergé à la position d'infaillibilité et de sanctification, les extrémistes chiites et les soufis avec les imams et les saints l'ont fait. Ce dont toutes ces sectes ont puisé, c'est la ressource philosophique grecque, car le néo-plotinisme a eu la plus grande part de cette influence, car il a été une source importante pour de nombreuses idées doctrinales plus tard. Parmi les exemples les plus marquants de cet impact : la langue dans laquelle l'Évangile de Jean a été écrit, l'idée de la parole ou ce qu'on appelle aussi le Logos, puis ce que l'on a trouvé chez des philosophes musulmans comme Al-Farabi et Ibn Sina. et leur influence par l'idée d'émanation et les seins plotiniens. Le gnosticisme était également présent parmi diverses sectes religieuses et était représenté par les philosophes musulmans : Al-Suhraudi, Al-Hallaj et d'autres. En conclusion, nous disons que toute cette complexité, qui a gâché la perception doctrinale de l'idée de médiation avec des intentions et des finalités différentes, n'a fait qu'éloigner l'homme de la pureté et de la simplicité que les prophètes et les messagers apportaient à travers leur appel au monothéisme et à la tolérance.

الملخص باللغة الإنجليزية

Abstract

This research is an attempt to shed light on a doctrinal concept of significant impact among adherents of various religions. This concept is embodied in the idea of priestly mediation in its various applications. Through our research, we observed the deviation of the idea of sanctification from the correct path outlined and preached by the prophets and messengers, often leading it into the realm of deification.

The problem among various sects that have made the issue of mediation a firmly established doctrine is that they have often exaggerated in the veneration of individuals and in glorifying their status to the point of making them sacred entities, as seen in Christianity.

It is noteworthy that this idea is ancient, as we found it present among followers of ancient sects such as the Egyptian, Hindu, and Babylonian religions, among others. Judaism also witnessed similar manifestations of this idea.

What happened in the history of the Christian Church, particularly in its firm grip on the beliefs of its followers and its imposition of control through a set of complex sacraments and rituals—especially the sacrament of priesthood—cannot be denied as a factor that led it away from the path of righteousness that Jesus Christ (peace be upon him) called for.

Through our research, we noticed that the authority of the priesthood emerged in later periods, especially after the Council of Nicaea and the subsequent persecution and suppression of monotheistic sects.

We must also not forget what happened to sects that associate themselves with Islam in this regard. For example, the Shia and Sufis have followed the Christian path, intersecting with it in many of the complexities related to the veneration of individuals. Just as Christianity elevated Jesus and the clergy to a status of infallibility and sanctification, the extremists among the Shia and Sufis did the same with the Imams and saints.

All these groups have drawn from the same philosophical well, particularly from Neoplatonism, which had a significant influence on many subsequent doctrinal ideas. One of the most notable examples of this influence is the language in which the Gospel of John was written, the concept of the Word, or Logos, and the impact of this on Muslim philosophers such as Al-Farabi and Ibn Sina, who were influenced by the Neoplatonic ideas of emanation and procession.

Gnosticism also had a presence among various religious sects, represented among Muslim philosophers by figures like Suhrawardi and Al-Hallaj, among others.

In conclusion, we can say that all this complexity that marred the doctrinal perception of the idea of mediation, despite the different intentions and

purposes, ultimately distanced humanity from the simplicity and purity brought by the prophets and messengers through their call to monotheism and tolerance

ABSTRACT

République algérienne démocratique et populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université des Sciences Islamiques Prince Abdelkader - Constantine

Faculté des Fondements des Religions — Département : Doctrine et Religions Comparées

Numéro d'enregistrement : …… — Spécialisation : Dialogue interreligieux

Numéro de série : …….

Le médiateur sacerdotal dans la pensée chrétienne et son impact sur la pensée islamique

Une thèse soumise pour l'obtention d'un doctorat ès sciences en religions comparées

- Spécialisation en dialogue interreligieux -

Comité de discussion :

Nom et prénom	Rang scientifique	L'université d'origine	Qualité
Prof. Dr. Saleh Boujemaa	Professeur	Université Prince Abdelkader pour les Sciences Islamiques – Constantine	Président
Dr. Abdullah Belmahdi	Professeur	Université Prince Abdelkader pour les Sciences Islamiques – Constantine	Superviseur et rapporteur
Dr. Masoud Boudarbala	Professeur	Université Prince Abdelkader pour les Sciences Islamiques – Constantine,	Membre Examinateur
Prof. Dr Abdelhafid Laamch	Professeur	Université Mohamed Bachir El Ibrahimi – Bordj Bou Arreridj,	Membre examinateur
Dr Asmahan Bouaicha	Professeur	Université Hadj Lakhdar – Batna,	Membre examinateur
Dr Sofiane Chtioui	Professeur	Université Hadj Lakhdar – Batna,	Membre examinateur

Préparation L'étudiant : Nadji alloui — encadré par le professeur : D/ Abdallah Belmahdi

Année universitaire : 1445-1446 AH / 2024-2025 AD

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Prince Abdelkader University of Islamic Sciences - Constantine -

Faculty of Fundamentals of Religion Department: Doctrine and Comparative Religions

Serial number : ..... Specialization: Interfaith Dialogue

Registration number :.....

The priestly mediator in Christian thought and its impact on Islamic thought

A dissertation submitted to obtain a Doctorate of Science in Comparative Religions

- Specialization in interfaith dialogue -

Discussion committee:

Name and surname	Academic degree	The original university	Description
Prof. Dr. Saleh Boujemaa	Professor	University of Prince Abdelkader for Islamic Sciences - Constantine	Chairperson
Dr. Abdullah Belmahdi	Professor	University of Prince Abdelkader for Islamic Sciences - Constantine,	Supervisor and Rapporteur
Dr. Masoud Boudarbala	Professor	University of Prince Abdelkader for Islamic Sciences - Constantine	Examining Member
Prof. Dr. Abdelhafid Laamch	Professor	, University of Mohamed Bachir El Ibrahimi - Bordj Bou Arreridj,	Examining Member
Dr. Asmahan Bouaicha	Professor	University of Hadj Lakhdar - Batna	Examining Member
Dr. Sofiane Chtioui	Professor	University of Hadj Lakhdar - Batna	Examining Member

Student preparation : Nadji alloui Supervision by Professor Dr : Abdullah Belmahdi

University year: 1445-1446 AH/2024-2025 AD